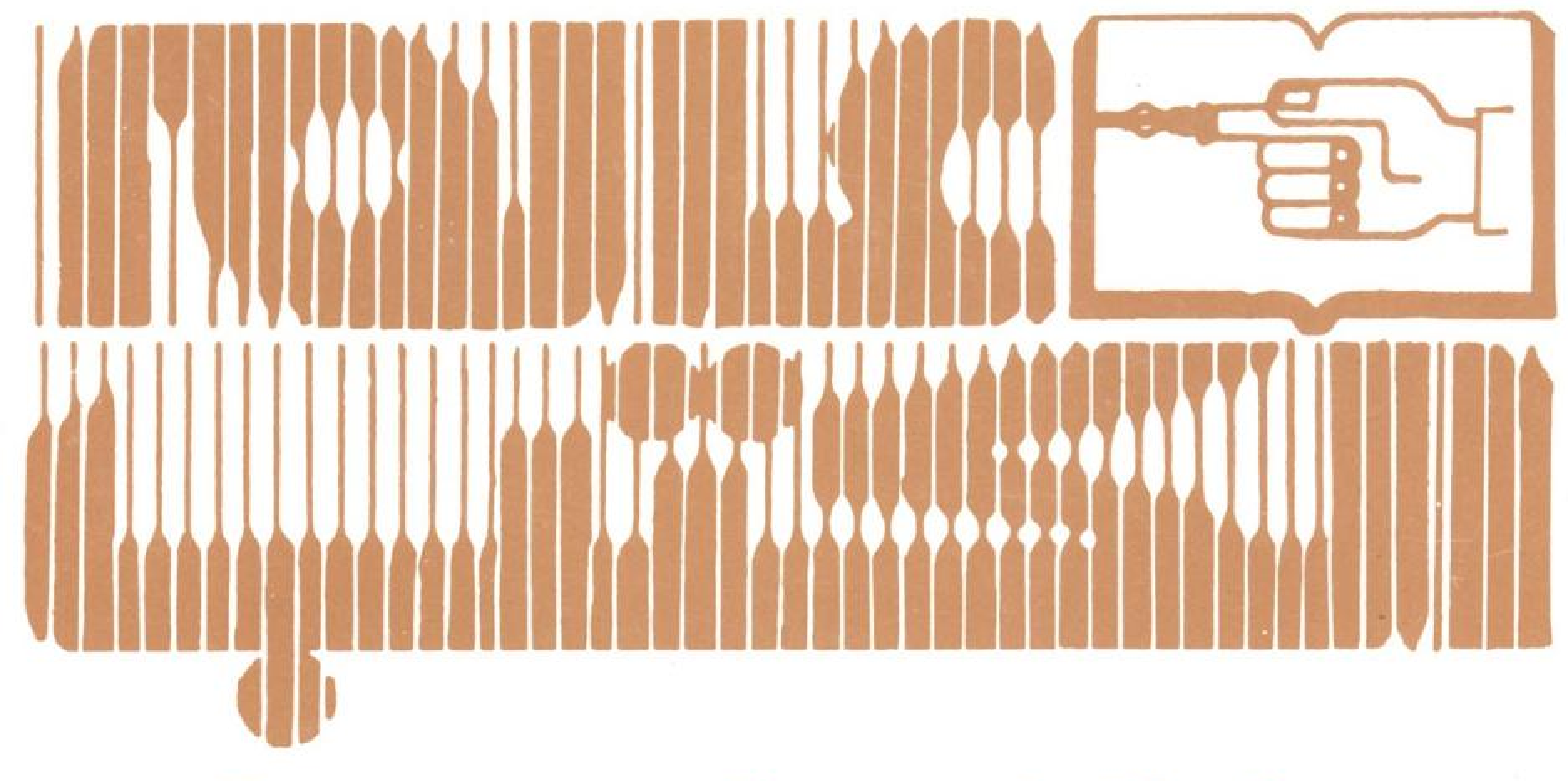
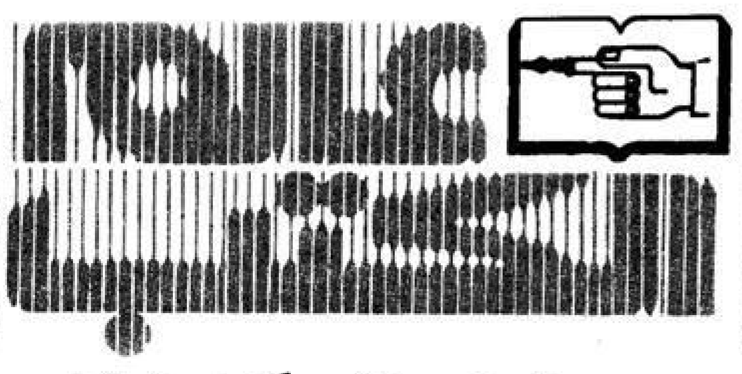


مجلة فصلية متخصصة

المجلد العاشر | العدد الرابع | ربيع الآخر ١٤١٠هـ - نوفمبر ١٩٨٩م



بسم الله الرحمن الرحيم



المؤسسان
عبد العزيز أحمد الرفاعي
عبد الرحمن فيصل المعمر

رئيس التحرير
يحيى محمود ساعاتي

مجلة فصلية متخصصة تهتم بالكتاب وقضاياه
الناشر: دار ثقيف للنشر والتأليف - الرياض - المملكة العربية السعودية

المجلد العاشر — العدد الرابع — ربيع الآخر ١٤١٠هـ - نوفمبر ١٩٨٩م

منهاج النشر

- يشترط في المواد المراد نشرها:
١- أن تكون في إطار تخصص المجلة.
٢- مكتوبة بالآلة الكاتبة أو بخط واضح.
٣- لم تنشر من قبل.
٤- معتمدة على المنهجية والموضوعية في المعالجة.
- تخضع الدراسات والبحوث للتحكيم قبل نشرها.
- ترتب المواد وفقاً لأمور فنية بحتة.
- لايجوز إعادة نشر أية مادة من مواد المجلة كاملة إلا بإذن مسبق. وفي حالة الاقتباس يرجى الإشارة إلى المصدر.
- ما ينشر يعبر عن رأي كاتبه فقط ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.

بيانات إدارية

- المراسلات الخاصة بالتحرير توجه باسم رئيس التحرير (٤٧٧٧٢٦٩).
- المراسلات الخاصة بالاشتراكات والإعلانات توجه باسم مدير الإدارة (٤٧٦٥٤٢٢).
- عنوان المجلة :
- عالم الكتب
ص.ب: (١٥٩٠) الرياض : (١١٤٤١)
المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٧٦٥٤٢٢
- الاشتراك السنوي في الداخل والخارج ١٠٠ ريال سعودي أو ما يقابلها بالدولار الأمريكي.
- الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة.

المحتويات

خدمات المعلومات وإتاحة استخدام الوثائق والأوراق المخطوطة

وضعه
سو. إ. هولبرت
ترجمه واستخلصه
عبدالرحمن عبدالله الشيخ
مكتبة الملك فهد - الرياض

توطئة[1]:

لم تَحْظ دور الوثائق الوطنية ــ في حالِ وجودها ــ بِنَفْسِ القَدْرِ من الاهتمام الذي حَظِيت به المكتبات ، من حيثُ إيجاد الوسائل والأدوات اللّازمة لِتَيْسير استخْدام موادّها للقرّاءِ والباحثين . ولم تَحْظ مجموعات الوثائق والأوراق المخطوطة في مكتباتنا العامَّة والوطنيَّة والجامعيَّة والمتخصِّصة بِنَفْس القدر الذي حظيت به الكُتب والدوْريات وغيرها من المواد المَطْبوعة ، حيث قَنَّن أُمناء المكتبات في عالمنا العربي ــ من زَمَنٍ ــ وسائل خدمة المراجع وإرشاد القرّاء وما إلى ذلك ، بينما تُرِكت مجموعة الوثائق في المكتبة في رُكْنٍ قَصِي ، لا يكاد يَعْرِف محتواها أحد ، وإذا عَنَّ لباحثٍ أو قارىءٍ أن يُطالع ما في بطونها من مَعْلومات ، لم يَجِد في المكتبة مُعيناً ، ولا دالاً يهديه سواء السبيل ، والواقع أنَّ طبيعة الوثائق ، من حيث عدم وجود بديل لها إن ضاعت ، ومن حيث سُرْعة تَلَفِها يَجْعل مَهَمَّة المسئولين في المكتبة أو دار الوثائق هي الحِفَاظ عليها في المقام الأوّل . ومع أهمية حِفْظ الوثائق ، إلّا أنَّ هذا الحفظ يجبُ ألّا يكون عائقاً يعوق الاستفادة منها في البحث ، وإلّا فما جَدْواها ؟ وهناك سببٌ آخر ــ نرجو ألّا يكون قاصراً على العالم العربي ــ ذلك أنَّ الوثائق والأوراق المخطوطة غالبا ما تَحوى معلومات تاريخية أو أفكارا تنظيمية جديدة ــ مما يجعل القيِّم عليها يَضِنُّ باسْتِخْدامها وتَصَفُّحِها إلّا لمن كانت له به مَعْرفة وثيقة .

ولقد عُقِدَت اللجان والمؤتمرات في الولايات المتحدة وكندا ــ على سبيل المثال ــ لدراسة أثر إتاحة استخدام الوثائق وكيفية تقديم خِدْمة معلومات ممتازة للباحثين والدارسين والقرّاء ، بل وتوصيل المعلومات لهم ــ حَيْثُما كانوا ــ عن طريق مَنْشورات عن الوثائق ، تقدِّمُها وتُعرِّف بها ...

ففي سنة ١٩٧٣ ــ على سبيل المثال شكّل ولفرد سميث Wilfred I. Smith الأرشيفي الكندي المشهور ورئيس جمعية الأرشيفيين الأمريكية ــ لجنة مُخَصَّصَة لدراسة الإعلام الأرشيفي أو المنشورات التي تَنْشرها دور الوثائق ، والمكتبات للتعريف بمجموعاتها الوثائقية . وقد ركّزت اللجنةُ على آراء مائتي أرشيفي من الولايات المتحدة وكندا ، حَوْل أنواع المنشورات الأكثر جدوى وفائدتها من حيث تطويرها لمهنة المشتغلين بالأرشيفات ولتحسين النظريات والممارسات الأرشيفية والوثائقية . وقد أكدّ على أهمية هذه اللّجنة كل من أنْجل Herbert Angel مسئول الخدمات الوثائقية في الأرشيف الوطني (دار الوثائق الوطنية) من الولايات المتحدة الأمريكية ، وبرتشفورد Maynard Brichford بجامعة إلينوى I. Illinois وقد اعترفت هذه اللجنة التي أشرنا إليها بأهمية المَطْبوعَيْن التالِيَيْن :

ــ الأرْشيفيّ الأمريكي American Archivist

ــ أخبار جمعية الأرشيفيين الأمريكية SAA Newsletter

ويذكر هولبرت ــ الذي ترجم كتابه ونستخلصه الآن ــ أنَّ الأرشيفيين الأمريكيين يَخْتلفون اختلافاً بيِّنا من حيث خلفيَّاتهم التعليمية وخبراتهم ، كما أنَّ الوثائق والأوراق متباينة أيضا من حيثُ أصلها ، وأهدافها الوظيفية ومجالاتها ، **لذلك** كان تقنين وسائل خدمة المعلومات وطرائق تيسير استخدام الوثائق للقرّاء والباحثين ، أمراً ضرورياً[2].

والواقع أن هذه الملاحظة التي أبداها الكاتب عن الأرشيفيين الأمريكيين ، تنطبق ــ ولكن بشكل صارخ ــ على الأرشيفيين العرب ، ذلك إن كان لهم وجود ، فلَيْس ثمّة مؤلِّف واحدٌ باللغة العربية ــ كما سبق القول ــ عن تنظيم الوثائق التاريخية وَوَصْفِها

وتيسيرها للباحثين ، وكل ما اهتم به المشتغلون بالوثائق في عالمنا العربي — وهم قلة قليلة — هو نَشْر الوثائق ، ذلك أن معظم هذه القلّة تشكّل الدراسات التاريخية مِحْور اهتمامها ، ولا يكاد يوجد من بينها من جمع بين الدراسات التاريخية ، والدراسات التنظيمية في المكتبات أو الأرشيفات .

لكل هذا كان تقديم أفكار عمليَّة وتقديم عَرْض بالوسائل التي استخدمها الآخرون — خاصة في الولايات المتحدة لخدمة المعلومات وتيسير استخدام الوثائق — من الأمور الضرورية .

(١) إتاحة استخدام الوثائق والأوراق المخطوطة ACCESS :

إن مَهمَّة العاملين في دور الوثائق وفي المجموعات الوثائقية بالمكتبات ، مهمة صَعْبة ومزدوجة من حيث أن هدف عملهم هو المحافظة على الوثائق نظراً لطبيعتها الخاصَّة ، وإتاحة استخدامها في الوقت نفسه . وقد كتب بورين ووارنر في كتابهما عن المكتبة المخطوطة The Modern Manuscript Library عن ضرورة استخدام الباحثين والدارسين لمجموعة المواد المخطوطة في المكتبة استخداما إلى أقصى حد ، ذاكرين أن الهدف الأساسي ليس حفظ الوثائق والمخطوطات ، وإنما تيسير استخدامها .

فَبَعْد تلقِّي الأوراق والوثائق ، وترتيبها وَخَزْنها ، يجب أن توضع الخُطَط وتُكرَّس الوسائل لوَضْعِها في خدمة البحث وإجابة أسئلة المستفسرين . ويجب إتاحة استخدامها في ساعات محدّدة وبشكل مُنتظم . ويجب أن يعرِّف مسئولُ الأرشيف ، أو مسئولُ المجموعات في المكتبة بالمقتنيات ويُساعِد على استخدامها وأن تكون في جوٍّ أو ظروف تُساعد على استخدامها من حيث المكان النظيف ذى التَهْوِية الملائمة والإضاءة الكافية . ومن حيث توفر آلات التصوير وأدوات الاستنساخ إذا كانت الامكانات تَسْمح بذلك .

عدم التمييز بين مستخدمي الوثائق Equality of access :

ورد في مطبوع جمعية الأرشيفيين الأمريكية المَوْسُومِ باسم «تَقْنِيَات لتيسير الوثائق والمخطوطات وإتاحة استخدامها لأغراض بحثية» أنه من بين مسئوليات دور الوثائق وأقسام الوثائق بالمكتبات **أنْ يتيحوا** استخدام **المواد البحثية** للباحثين بشروط واحدة يتساوى إزاءها الجميع ، سواء الباحثون في مجال التاريخ المحلّي أو النسّابون ، أو الطلبة الجامعيون ، أو الباحثون الأكاديميون ... الخ .

وبعض مسئولي الوثائق والمخطوطات في مكتبات الكليات والجامعات يُقَدِّمون الخدمات البحثية على مستويين ؟ المستوى الأوَّل والأهم لهيئة التدريس في الجامعة وللطلّاب ، ثم يأتي في المقام الثاني تلك الخدمات المقدَّمة للجمهور خارج نطاق الجامعة ، **فهؤلاء** يَحِقُّ لهم ارتياد الأرشيف الجامعي للبحث . وحتى الأرشيفات الخاصّة التابعة لمؤسَّسات بعينها ، فإن قانون حقِّ التأليف الأمريكي الصادر سنة ١٩٧٦ ، قد أُجْبرها على إتاحة محتويات مجموعاتها لجمهور الباحثين **فالعقيدة** الأمريكية في إتاحة المعلومات وتيسيرها لا تسْمح بحجبِ المعلومات عن جمهور الباحثين .

بيان سياسة الأرشيف Statement of Policy :

يجبُ أن تُعلن دار الوثائق الوطنية أو مسئول الوثائق والأوراق التاريخية في المكتبة — سياسة إتاحة الوثائق واستخدامها بوضوح لا لَبْس فيه . ويجب أن يشمل بيان دار الوثائق أو المكتبة القواعِد والتنظيمات والأدلة البحثية وغيرها من المنشورات والمواد التي يصدرها الأرشيف أو المكتبة . ومثل هذه البيانات ستُساعد مُسْتَخْدمي الأرشيف الحاليين والذين يُتوقَّع استخدامهم له ، وتعمل على تفهّم العاملين لعملهم مما يجعل قراراتهم المتعلقة باستخدام الوثائق متناسقة .

الرسوم Fees :

اضطُرَّت بعضُ المكتبات ودور الوثائق **إلى فرض** رسوم مالية على الباحثين ومُستخدمي الأرشيف ، لكثرة المصروفات والتكاليف . وإذا كان هذا أمراً ضرورياً ، فمن المحتَّم أن تكون هذه الرسوم قليلة أو رَمْزية . فالجمعية التاريخية في ميريلاند Maryland — على سبيل المثال — ترى هذه الرسوم أمراً مقبولا . وهذه الرسوم هي دولاران في اليوم ، أو عشرة دولارات في العام بالنسبة للأعضاء . وثمَّة تخفيض للطلّاب وهو ١٢ دولاراً للعُضْوية ويشمل هذا المبلغ الحصول على مجلة الجمعية ومنافع أخرى .

الإعلان عن المُقْتَنيات Publicizing Holdings :

يأخذ قسم الوثائق بالمكتبة أو دار الوثائق على عاتقه أن يجعل المُقْتنيات معروفة . ولهذا سبيلان ؛ **أولهما** يتمثل في الإعلان عن وجود دار الوثائق أو قسم الوثائق التابع للمكتبة أو الجمعية وما إلى ذلك . ووصف الطبيعة العامة للمقتنيات ونشرُ أدلَّةٍ وفهارسَ مُوَحّدة ، والإجابة عن الاستفسارات المتعلقة بكمية بعض المجموعات المُعيَّنة وطبيعتها ومحتوياتها أو الإجابة عن بعض مجالاتها والأعلام أو الشخوص الذين تردَّدت أسماؤهم بين ثنايا المجموعة ، «**فليس ثمة أرشيفي أو أمين مخطوطات يستحق الوجود إذا كان غير قادر على إخبار الدارسين بمصادر المعلومات المتعلقة بمجالات اهتماماتهم**» **أمّا السبيل الثاني** لِجَعْل المقتنيات معروفة فيتمثل في النشاطات داخل قاعة البَحْث ، وذلك من خلال مُعينات البحث Finding Clids والتعليمات الواضحة الخاصة بإجراءات الحصول على المواد المطلوبة وكيفية استخدامها بالإضافة للإرشاد الشخصي وتقديم المعونة للباحثين .

أمن الوثائق والحفاظ عليها Security :

تناولنا هذا العُنصر بالتفصيل في نشرة أخرى ، ونكتفي هنا بفقرة سريعة استكمالاً للعناصر . فعلى المسئولين في دور الوثائق الوطنية وأقسام الوثائق بالمكتبات أن يضعوا من القواعد والإجراءات اللازمة لاستخدام الوثائق والأوراق بطريقة تَضْمن حمايتها واستمرار صلاحيتها . ومن بين إجراءات أُخرى فإنَّه يتعيَّن التعرُّف على الباحثين وتحديد هويَّاتهم والإشراف والمراقبة في قاعة البحث وإغلاق المخازن وغيرها من الأماكن غير المعدَّة لدخول الجمهور غَلقا محكما ، ووضع نُظم **للتصرُّف** في قاعة البحث ، ويمكن منع الأشخاص الذين لا يُبْدون اهتماما أو سلوكاً مُنْضَبِطاً من الدخول ... الخ .

الإباحة الكاملة Full access :

يجب ضمان إباحة كلِّ مواد دار الوثائق أو قسم الوثائق بالمكتبة ، باستثناء تلك المواد التي يَحْظر القانون تداولها أو التي وُضِعت قيودٌ على استخدامها .

وفي سنة ١٩٦٨ اشتكى أحد الباحثين في الولايات المتحدة من أنَّ العاملين في الأرشيف لم يُعاونوه في البحث أَوْ أنَّهم حَجَبُوا عَنْه بَعْض الوثائق والأوراق التاريخية ، وعلى الفور شُكِّلت لَجْنة للتأكد من حقيقة دعواه ، وقد توصلت هذه اللجنة إلى أمور هي :

١) ضرورة تَحْسين وتطوير مُعينات البحث Finding aids وإكمال خطط صناعة الكشافات بشكل منتظم ، وجعل هذه الوسائل في خِدْمة الباحثين .

٢) الإعلان عن القيود والمحاذير ، العام مِنْها والمحدَّد التي تمنع من الإباحة الكاملة أو الجزئية للمقتنيات ، لتكون مَعْلومة للباحثين قبل وصولهم إلى المكتبة .

٣) الإعلان عن مواعيد إباحة استخدام المجموعات المحظورة .

٤) إحاطة الباحثين عِلْماً بمنشورات المكتبة ، ومواعيد نَشْرِها .

وليس معنى كل هذا أنه يتعيَّن على العاملين من دور الوثائق أو أقسام الوثائق بالمكتبات أن يقوموا بأنفسهم بإجراء البحث نيابة عن الدَّارِس ، «فمستخدمو المكتبة يجب أن يَحْظَوْا بكلِّ مساعدة في استخدام مُعينات البحث Finding aids المتاحة .. لكنها مسئولية الباحث وَحْده أن يستخرج المعلومات المطلوبة لبحثه وأن يستخدم المخطوطة الضرورية له ، وتيسيرا على الباحث يتعيَّن على العاملين أن يجعلوا مُعينات البحث ضَامَّةً لكلِّ جديد ، وألَّا يتركوها لِتتقادم .

حَقُّ المعْرفة وحقُّ الخصوصيَّة Right to know & Right to Privacy :

صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية ثلاثة قوانين فِدْراليَّة تُعالج هذه القضايا المهمة التي نَطْرحها على هَيْئة أسئلة :

ــ أَنُطْلِق حَقَّ المعرفةِ إطلاقا كاملاً ، فَنُتيح الاطلاع على الوثائق والأوراق التاريخية ــ حتى الحديث منها ــ إتاحة كاملة ؟

ــ أَنُطْلِق حَقَّ الخصوصيَّة فنحظر الاطِّلاع الكامل على الوثائق والأوراق الخاصة المتعلِّقة بالأفراد ؟

ــ أنقفُ مَوْقِفاً عواناً بين هَذا وذاك ؟

أما تشريع حُرية المعلومات (الذي صدر له مُلْحقان سنة ١٩٧٤ وسنة ١٩٧٦) The freedom of information Act فإنَّه يَضْمن الحق الأوَّل (حق المعرفة) وذلك بنصِّه على إنشاء دار فِدْرالية للوثائق الحكومية تكون مُتاحة للجمهور ، وبوَضْعِه الخُطوط العَريضة لإجراءات استخدامها من قِبَل المواطنين ، إلَّا أنَّ القانون اسْتثنى تِسْع فئاتٍ من الوثائق والأوراق نُدْرِجها فيما يلي :

١) المواد ذات الأبعاد التنفيذيَّة تُحْفظ سِرِّية لأغراض دفاعيَّة أو أغْراضٍ مُتعلِّقة بالسياسة الخارجيَّة .

٢) المواد المتعلِّقة بالمواعيد الخاصّة للأفراد وإجراءاتهم القضائية rules ، والمُمَارسات المتعلقة بأيِّ هيئة من الهيئات (المقصود الأفراد الأمريكيون والهيئات الأمريكية internal) .

٣) المواد التي تستثنيها التّشْريعات البرلمانية والقوانين النّظامية Statute .

٤) الأسرار التجاريَّة والمالية ذات الطبيعة الخاصَّة .

٥) المذكِّرات والخطابات المتبادلة بين الهيئات أو المتداولة داخلها لا يجب أن يحوزها أفراد ــ بحكم القانون ــ لاستخدامها في منازعات قضائية مع هيئة من الهيئات .

٦) الملفّات الطبيَّة والشخصيَّة وما يُشْبِهها مما يُشكِّل اعتداءً على خصوصيَّات الأفراد .

٧) ملفّات البحوث القانونيَّة المنشأة لأغْراض جَمْع الحُجج القانونية .

٨) المعلومات المتعلِّقة بالاختبارات والتشغيل وتقارير الحالة التي أعدَّتها أي هيئة ، أو أُعِدَّت لها أو باسمها أو لاستخدامها ــ تكون ــ أي هذه الهيئة ــ مسئولة عن تنظيم المؤسسات المالية أو الإشراف عليها .

٩) المعلومات الجيولوجية والجيوفيزيقية (بما في ذلك الخرائط) المتعلِّقة بالآبار .

وتلك الاستثناءات التِسْعة هي مجال المعركة الدائرة بين حقِّ المعرفة وحقّ الخصوصيَّة في الولايات المتحدة الأمريكية .

وفي سنة ١٩٧٤ صدر قانون الخصوصيَّة Privacy Act ليضمن حماية البيانات الشخصية في وثائق الحكومة الفِدْرالية .

وحقيقة الأمر أنَّ المقصود بكلِّ ذلك هو الوثائق والمحرّرات التي لم تمضِ عليها فترة زمنية مَعْقولة (في حدود ٥٠ سنة في الغالب) أمّا تلك الوثائق والمحرَّرات التي طال عليها الأَمَد فإن الأرشيفات التاريخية تتيح استخدامها عادة .

القيود Restriction :

إن الأُسس المنطقية لفرْض قيود على استخدام الوثائق ، تكمن في منبعها من اعتبارات مُتعلّقة باحترام «الخصوصية» ومثل هذه القيود يجب أن يحكمها القانون أو الإجراءات التنظيمية كما في حالة بعض الوثائق العامة أو غيرها من الوثائق التي تضم نوعيّات خاصة من المعلومات . وقد يَفرِض مانح ((مُهْدى)) المجموعة قيوداً على استخدامها لحماية خُصوصيَّتِهِ أو مصالحه . وفي بعض الأحيان تجد دار الوثائق أو أقسام الوثائق أنه من الضروري فرض قيود لحماية نفسها من انتهاك خصوصية مجموعاتها نتيجة سوء استخدام البيانات والمعلومات الشخصية . وعلى أية حال ، ما دام حقُّ المعرفة حق ثابت وموثّق تماما كحق الخصوصيّة ، **فإنَّ على دور الوثائق أن تقاوم القيود غير الضروريّة التي يَفْرضها المانح على مجموعته** كما يَجِبُ عليها **أن تقيد استخدام الوثائق بقيود هيِّنة أو شديدة** . وعلى الرغم من ظهور حالات قليلة يتوقع فيها أن يطلب الباحث استخدام وثائق غير عامة (غير مطروحة للاطلاع العام) ، فقد ظهر أن عبء تَقْنين حجب الوثائق سيقع على عاتق دار الوثائق أو أقسام الوثائق بالمكتبات .

وعلى أية حال عند فَرْض مثل هذه القيود فإن على دار الوثائق أو أقسام الوثائق بالمكتبات أن تعلم الباحثين بشروط الاطلاع عليها (أي على هذه الوثائق المقيّدة) وأن تحتفظ بسجل مُنْضَبِط يكتب فيه أسماء الأشخاص الذين استخدموها وغير ذلك من البيانات . ويجب أن يُنَص على هذه القيود في «مُعينات البحث finding aids»وفي قوائم المجموعات «الحاويات المخزنية للمجموعات Storage Containers of Collections» وذلك لتَنْبيه العاملين .

وإذا كان المانح هو الذي فرض القيود ففي هذه الحالة لابد من عَقْد «اتفاقية مكتوبة written agreement» بينه وبين دار الوثائق أو قسم الوثائق في المكتبة . وذلك لتوضيح شروط والتزامات كلٍّ من دار الوثائق والمانح على أن توقع من الطرفين (المانح وممثل دار الوثائق أو المكتبة) وإذا كانت القيود أو الشروط مفروضة من قِبَل دار الوثائق ــ أو كانت مفروضة بِحُكم القانون أو التشريع البرلماني أو إجراءات هيئة حكومية ــ فلا بُد من إعداد تقرير يفصِّل هذه القيود ويبين بنودها . وإذا كانت القيود قد فُرِضت من قبل المانح فلابد للباحث من توقيع تعهد يفيد معرفته بشروط المانح وموافقته عليها (انظر أحد نماذج هذه التعهدات في الصفحة التالية) وقد ينص التعهد على عدم السماح بالتصوير أو النشر الكامل أو الاقتباس ، وقد يشترط جواز ذلك أو بعضه بعد موافقة المانح ودار الوثائق أو قسم الوثائق بالمكتبة ، وقد تفرض أنواع أخرى من الحظر أو القيود ومن ذلك :

ختم المجموعات أو إغلاقها Sealing or closing : وهذا إجراء قاسٍ يجب عدم استخدامه إلّا للضرورة القصوى ولا يكون ذلك إلا للمجموعات المعاصرة . وكحل مقبول يمكن بالنسبة للمجموعات المعاصرة **الحساسّة** أن نسمح باستخدامها دون السماح بالنشر .

السماح للأشخاص المصرَّح لهم أو لأغراض مأذونة (مصرَّح بها) : في بعض الحالات قد تستثنى بعض الأغراض البحثية من هذه القيود المفروضة . وإذا كانت الاستثناءات تنطوي على نوع من التمييز (عدم المساواة بين المواطنين) فإنه يتعين على دار الوثائق أو قسم الوثائق في المكتبات أن يقاوم ذلك . وعلى أية حال ففي معظم الحالات نجد أن القيود المفروضة لا تمثل إلا صعوبات قليلة إذا كانت واضحة ومنطقية ولا تستثنى أشخاصاً بعينهم أو طبقة أو فئة من الناس .

وقد يرغب رجال الأعمال والسياسيون أو المنظمات والمؤسسات الخاصة أو الأفراد في ضبط استخدام بعض المجموعات وذلك لمنع إفشاء الأسرار التجارية وتوفير حماية للمعلومات التي قد تؤدي إلى تدمير بعض الأشخاص ، وللتقليل من احتمالات الاستخدام المُغْرِض للوثائق .. فقد برز في الأعوام الأخيرة اتجاه يؤيد حق الأفراد في الاطلاع على المعلومات ، ومواجهتها أو **تحديها** ببيان البراهين على كذبها ــ إذا كانت هذه المعلومات متعلقة به .

منع الاقتباس والنشر أو وضع حدود لهما : الاقتباس والنشر قضيتان متعلقتان بإتاحة استخدام الوثائق ، ومتعلقتان أيضاً بمبدأ «الخصوصية» فكثير من دور الوثائق وأقسام الوثائق بالمكتبات تمنع الاقتباس والنشر بشكل مباشر «بالنص الحرفي» دون إذن مسبق . والواقع أن اختلاف أصول (مصادر) الوثائق واختلاف أنواعها (مراسلات ، مذكرات .. الخ) والترتيب الخاص للأوراق والوثائق من قِبَل المانحين ، وغير ذلك من الأمور الاستثنائية ــ كل هذا يجب أن يوضع في الاعتبار عند النظر في طلبات الاقتباس والنشر .

جمعية مينوسوتا التاريخية
طلب سماح باستخدام مواد مقيَّدة الاستعمال
أوراق أورفيل فريمان[٣]

بيانات شخصية

الاسم :

العنوان الدائم :

اسم الهيئة أو المعهد (جهة العمل) :

فقرة عن مشروع البحث : ____________________

____

____

____

____

تعهّد : يحكم الاطلاع على أوراق أورفيل ل . فريمان عقد بين الجمعية وفريمان مؤرّخ في ١٤ مايو ١٩٧٣ . وهذا التعهّد يتضمّن بنود الاتفاق :

بالنظر إلى الموافقة الممنوحة لي باستخدام أوراق فريمان المحفوظة بجمعية مينوسوتا التاريخية بشارع بول (بولس) بمنوسوتا، فإنني أوافق ــ على هذا ــ على ألاّ أنشر أو أسمح بنشر أي مادة أحصل عليها نتيجة تفحص ودراسة وثائق المجموعة دون تقديم المادة الموضوعية المقترح نشرها للجمعية ولفريمان . كما أنني أوافق أيضا على أنه إذا اعترضت الجمعية أو فريمان على أيِّ مادة أُعدها للنشر فإنني أقوم بتعديل ما يُراد نشره بشكل يحوز الموافقة قبل النشر . كما أنني أفهم تماماً أنه من الممنوع تماماً أن أقوم بتصوير أيٍّ من الأوراق المقيدة الاستعمال .

يتعين على مقدم الطلب التوقيع على هذا التعهد :

التاريخ :　　　　التوقيع :

موافقة فريمان :

التاريخ :

موافقة جمعية مينوسوتا التاريخية :

التاريخ :

والواقع أن هذا لا يمثل القاعدة العامة ، فمعظم الوثائق العامة مُباحة للباحثين ينشرون منها ما شاؤوا ويقتبسون منها كما يحلو لهم ، دون إذن مسبق .

أما بالنسبة للأوراق التاريخية المخطوطة غير المنشورة والوثائق (فيما عدا الوثائق العامة والحكومية غير مقيدة الاستعمال) فإن الإذن باستخدامها ونشرها يجب أن يدرس كحالات فردية أي دون أن يكون هناك حظر كامل أو منع كامل ، وإنما يتم تناول كل حالة على حدة ، وقد يكون من الضروري منع استخدام الأسماء والبيانات الشخصية من ملفات القضايا الفردية . وقد تنشر المؤسسة نفسها (صاحبة الأوراق أو الوثائق) مجموعتها أو بعضها ومن ثم يحق لها أن تمنع الآخرين من نشرها (وقد ناقشنا حق التأليف أو الملكية الأدبية والاستخدام المشروع Fair use عند حديثنا عن خدمة المعلومات).

إغلاق المجموعات الأصلية أو الحدُّ من استخدامها تمييزها عن النُسخ (الصور المستنسخة) :

خوفاً من تعرّض الوثائق والأوراق الأصليتين للضياع أو السَّرِقة أو التَّلَف لكثرة تداولها ، ففي كثير من الحالات يُسْتعاض عن الوثائق والأوراق الأصلية بصور عنها لاستخدامها في الأغراض البحثية ، وإذا رغب الباحث لأسباب قوية في مراجعة الأصول ، فقد يسمح له بذلك تحت الإشراف المباشر للأرشيفي أو مسئول الوثاق بالمكتبة .

الاستخدام المشروط Conditional use :

قد يطلب قسم الوثائق بالمكتبة أو دار الوثائق من الباحث ملخصاً لبحثه للتأكد من أنه لم يستخدم أسماءً من الملفات الشخصية . وقد يطلب مسودة من بحثه قبل نشره . والواقع أن هذه مسألة حساسة بالنسبة للأوراق والوثائق الحديثة جداً (المعاصرة) وقد يرغب المانح في عدم نشر بعض المواد ، وفي هذه الحالة فإن علاقة الأرشيف أو قسم الوثائق بالمكتبة بالمانح ، يكون لها الأولوية على علاقته بالباحث . على أن هذه الملخصات ومسوّدات البحوث يجب ألّا تُطلب إلا في حالات نادرة ولأسباب معقولة ومفهومة أهمّها حماية حقِّ الخصوصية .

الإخلال بالشروط أو تجاوز القيود المفروضة Violation of Restrictions :

إن الإخلال بالشروط أو تجاوز القيود التي أشرنا إليها آنفاً قد يؤدِّي إلى اتخاذ إجراءات قانونية . فقد يضطر المانح لاتخاذ إجراء ضد الباحث الذي لا يلتزم بشروطه في استخدام مجموعته ، وقد يتخذ أيضا ــ أي المانح ــ إجراءات ضد قسم الوثائق بالمكتبة أو دار الوثائق ، إذا ثبت الإخلال ببنود الاتفاقية المعقودة بينهما . ومن حق القسم أو الدار أيضا اتخاذ اجراءات قانونية ضد الباحث إن أخل بالشروط أو قام بسرقة الوثائق أو إتلافها أو قام بالسرقة الأدبية من محتوياتها «أي نسب إلى نفسه مالم يؤلِّفه» .

الاستخدام المقصور Exclusive Use :

ينص تقرير جمعية الأرشيفيين الأمريكيين على التوصية بألّا تمنح

دار الوثائق أو قسم الوثائق بالمكتبة أية مزايا خاصة لشخص أو أشخاص بعينهم وألاّ تجعل استخدام الوثائق مقصورا عليه أو عليهم . وبعض أقسام الوثائق بالمكتبات الجامعية تحظر على غير أعضاء هيئة التدريس بالجامعة الاطلاع على المخطوطات والمجموعات الوثائقية الجديدة ، وذلك لتعطي لمنسوبي الجامعة الأولوية ، وتتيح لهم فرصة السبق ، إلاّ أن الرأي الغالب لدى الأرشيفيين هو أن «ما يُتاح استخدامه لفرد يجب أن يكون متاحاً للجميع» وبالنسبة للجامعات التي تفضِّل لأعضاء هيئة التدريس بها إحراز قصب السبق ، فإن حجب الوثائق والأوراق عن سواهم لا يجب أن يزيد عن فترة قوامها سنة على الأكثر[٤]. وهذه مسألة مهمة فلا أحد يجادل بأن من طبيعة الأشياء أن تفضِّل المؤسسة العلمية أن يحرز أفرادها قصب السبق ، لكن ماذا إن كانوا يتسمون بالكسل والبلادة ! إذن فإن حجب هذه المواد المخطوطة لصالحهم يجب ألّا تزيد عن سنة ، ثم بعد ذلك تُترك متاحة لكل الباحثين ، ومن أي مكان ، وإلّا عدنا لعصر الكهانة العلمية ، وحجب المعرفة ، وسدِّ أبواب العلم أمام من يستحقونه .

(٢) خدمات المعلومات

تَتَّخِذُ خدمات المَعْلومات أشكالاً مختلفة ، إذ تقدِّم دار الوثائق أو قسم الوثائق بالمكتبة معلومات **عن** المقتنيات للروّاد ، ولأولئك الذين يستخدمون الفهارس والأدلة المطبوعة أو الذين يستفسرون هاتفيا أو بالبريد ، كما تقدم معلومات **من** مقتنياتها للفئة الأخيرة أي المستفسرين هاتفياً أو بالبريد . أما الوظيفة الأولى ــ وهي تقديم معلومات **عن** المقتنيات ، فتبدو مقبولة وواسعة الانتشار باعتبارها الواجب الأساسي أو الالتزام الأوّل لدار الوثائق أو أقسام الوثائق بالمكتبات ، أما تقديم معلومات **من** الوثائق والأوراق التاريخية فمسألة خِلافية ، كما أنها أصعب ممارسة ، وتعتبرها بعض دور الوثائق وأقسام الوثائق بالمكتبات من المهام غير المنطقية أو التي لا يلتزمون بها .

تقديم معلومات عن المقتنيات :

نذكرُ فيما يلي بعض الطرائق التي يمكن لدار الوثائق أو قسم الوثائق بالمكتبة تقديم معلومات عن المقتنيات :

أ ــ الفهارس القومية ، والأدلة القومية

توجد بالفعل مثل هذه الفهارس والأدلة ، فهناك دليل الوثائق والأوراق المخطوطة في الولايات المتحدة Guide to Archives & Manuscripts الذي وصفه فيليب هامر Philip M. Hamer ونشرته في سنة ١٩٦١ لجنة منشورات التاريخ الوطني National Historical publications Commission ويصف هذا المطبوع مقتنيات ١٣٠٠ دار وثائق وقسم وثائق تابع لمكتبة أو جمعية ، وثمة مطبوع آخر هو دليل الوثائق والمخطوطات Directory of Archives & Manuscripts Repositories وقد نشرته في واشنطن لجنة منشورات التاريخ الوطني ووثائقه National Historical publications & Record Commission في سنة ١٩٧٨ . وهذا المطبوع يصف مقتنيات ٢٦٧٥ هيئة ويقدم مستخلصات لها . وثمة دليل آخر مألوف لكل الباحثين والعاملين في مجال خدمة المعلومات الوثائقية وهو الفهرس الوطني الموحّد لمجموعات الأوراق المخطوطة National Union Catalog of Manuscript Collections وقد صدر في ستة عشر مجلداً ، ظهر أولها سنة ١٩٦٢ ويشتمل على كشّافات . ويصف هذا المطبوع باختصار المجموعات الأساسية في ألف مستودع أوراق مخطوطة في الولايات المتحدة ، وعلى الرغم من أنه تقادم (لم تصدر له ملاحق) إلا أنه ما زال مفيداً ، وثمة نوع آخر موضوعي من الأدلّة مثل الدليل الموضوعي الوطني الموحّد National Union Subject guide كذلك الدليل الموسوم باسم مَسْح لمصادر تاريخ المرأة Women's History Sources .

ب ــ أدلة مستودعات الوثائق Repository Guides :

إنها مسألة ضرورية أن يُصْدر مستودع الوثائق (دار الوثائق أو قسم الوثائق بالمكتبة أو الهيئة البحثية) دليلا بمقتنياته . وليس من الضروري أن يكون هذا الدليل مفصّلا ، وإنما يتعين ــ كحد أدنى ــ أن يضم المعلومات الأساسية المطلوبة للفهرس الوطني الموحّد للأوراق المخطوطة NUCMC وهذه المعلومات هي :

ــ عنوان المجموعة .

ــ التواريخ الحاصرة inclusive dates أي التواريخ التي تحصر بينها مجموعة الوثائق أو الأوراق ، وبعبارة أخرى تاريخ أقدم وثيقة أو ورقة في المجموعة وتاريخ آخر وثيقة أو ورقة في المجموعة . مثال (١٩٠٠ ــ ١٩١٠)

ــ عدد الوثائق أو الأوراق في المجموعة .

ــ أنواع الوثائق أو الأوراق (خطابات صادرة ، خطابات واردة ، مذكرات ، سجلّات حسابات ، كشوف رواتب ، عقود ، تعهدّات ... الخ)

ــ فكرة عامة عن **موضوع** (محتوى) الوثائق والأوراق التاريخية .

ــ الأشخاص والمواضع والأحداث الأساسية التي تمثل مجموعة الوثائق أو الأوراق المخطوطة .

ومثل هذا الدليل مفيد للباحثين لذا يجب توفيره في المكتبات وطرحه للبيع ، كما أنه مفيد للعاملين في دار الوثائق أو مستودع الوثائق أياً كان . ومن الضروري أن نحافظ على حداثته (جِدَّته)

وذلك بإضافة ملاحق له ، لكن ذلك لا يحل المشكلة تماما ، لأن المداخل القديمة الموجودة في المجلدات الأولى قد تتقادم بظهور معلومات جديدة عن المجموعة أو إضافة أوراق أخرى لها مما يغير على سبيل المثال التواريخ الحاصرة المتعلقة بها وغير ذلك . لهذا فقد اقترح رندل Walter Rundell استخدام **أدلّة متحرِّكة الأوراق** loose-leaf guides .

جـ ــ استنساخ مُعينات البحث Duplicated finding aids :

استنساخ معينات البحث الموجودة في مستودع الوثائق بوسائل غير مكلفة من الأمور التي تيسِّر تقديم معلومات عن المقتنيات من حيث استخدام هذه المستنسخات في الإجابة عن الاستفسارات البريدية والتليفونية . ويمكن أيضاً تصوير بطاقات الفهرس أو قوائم الرفوف البطاقية Shelf-list Cards . وإذا تجاوزت تكاليف التصوير مبلغاً بسيطاً (لنقل دولارين) فلابد من إحاطة المُستَفْسِر بذلك قبل إتمام النَسْخ أو التصوير . كما يمكن تصوير السجلات التي تصف المجموعات الفردية ، وفي كل الأحوال لابد من إرسال اسم المجموعة ورقم الفهرس مع الصفحات المصوّرة المرسلة للمستفسر . وبعض مستودعات الوثائق تنشر معينات البحث فيها وتعرضها بسعر رخيص لطالبيها ، فأرشيف كندا العام The public Archives of Canada على سبيل المثال يُصدر معينات البحث فيه على هيئة مصغرات بطاقية Microfiche بتكلفة زهيدة . وبعض مستودعات الوثائق تنشر أدلة موضوعية لمقتنياتها Subject matter Guides .

د ــ المطبوعات المسبقة والخطابات النمطية Near-Print Materials & form letters :

قد يجد المسئولون في مستودع الوثائق بعد ممارسة خدمة المعلومات الوثائقية لفترة من الزمن ، أن استفسارات بعينها تتكرَّر كثيراً . ففي هذه الحالة يمكن تطوير وإعداد أدلة موضوعية ، ونشرات (صحائف) معلومات information sheets ، واستمارات (نماذج مطبوعة) لتقديم الاستفسارات ــ فمثل هذه المطبوعات المعدَّة سلفاً تسهِّل عمل هيئة خدمة المعلومات الوثائقية وتوفر وقتهم ، وتضمن اكتمال الإجابات واتّساقها . فالجمعية التاريخية في وسكنسن The State Historical Society of Wisconsin ، على سبيل المثال ، نشرت كرَّاسة Leaflet تبين للقارىء كيف وأين يجد معلومات عن المرأة في مجموعاتها ، وتلك هي بيانات هذا المطبوع :

James p. Danky & Eleanor Mckay, Womens history: Resources at the State Historical Society of wisconsin (Madison, 1975)

وتصلح الخطابات النمطية للإجابة على نوعيات من الأسئلة تزى هيئة خدمة المعلومات الوثائقية تكرارها ، كالاستفسارات عن الانتماءات الأسرية (الأنساب) والمقصود بالخطابات النمطية ، هو تلك الخطابات المطبوعة ، وقد ترك بين ثناياها فراغات لملئها حسب مقتضى الحال .

> بسم الله الرحمن الرحيم
>
> ________
>
> ________
>
> ________
>
> السيد المحترم ________
>
> السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
>
> إشارة إلى خطابكم/اتصالكم الهاتفي ، بتاريخ ________
>
> بشأن استفساركم عن ________
>
> نفيدكم أنه بمراجعة المجموعة الوثائقية/مجموعة الأوراق التاريخية المعنونة ________ برقم ________
>
> في الوحدات الوثائقية أرقام/رقم ________
>
> تبيَّن أن المعلومات الخاصة بموضوع استفساركم كما يلي : ــ
>
> ________
>
> ________
>
> ________
>
> توقيع مرشد المعلومات الوثائقية

وقد يطلب مستودع الوثائق بعض الرسوم المالية مقابل تعبئة أي نموذج استفساري ، أو مقابل إرسال أي مطبوع ، أو أي رد بريدي أو إمداد بمعلومات وثائقية ، ويتوقف الرسم المدفوع على الوقت الذي تتطلبه الإجابة أو البحث . ومعظم الاستفسارات الموجهة لمرشدي المعلومات الوثائقية يُجاب عنها استفسارا استفسارا أي تبحث كل حالة على حدة ، ويجب أن يكون مسئولو المستودع قادرين على تقديم إجابة وافية شافية وتتَّسِم بالكياسة . ونظراً لما تتطلبه الإجابة المكتوبة عن الاستفسارات من جُهد ، يمكن لمستودع الوثائق أن يحدد عدد الخطابات التي يرسلها في اليوم وفقا لظروفه وعدد العاملين به .

هـ ــ النشاطات التعليمية Educational Activities :

قد يؤدي برنامج العلاقات العامة لمستودع الوثائق إلى توثيق العلاقة مع المدرسين والأساتذة الذين يقررون على طلابهم موضوعات دراسية وبحثية تستوجب لجوء الطلاب لدار الوثائق أو قسم الوثائق بالمكتبة . وقد يقوم المسئولون بعقد دورات تعليمية عن أنواع Types المواد الوثائقية وكيفية استخدامها وعن «مُعينات

البحث «finding aids» الموجودة بالدار أو القسم . ويمكن تقديم هذه البرامج التعليمية والتدريبية على مستويات مختلفة وفقاً لنوعية الدارسين ، وقد يتعاون مسئولو الوثائق مع الجمعيات المهنية أو هيئات الخدمة العامة بعقد اجتماعات حيث يتم شرح خدمات مستودع الوثائق والتعريف بمجموعاته .

و ــ مُعينات البحث في القاعة المخصصة للقراءة والبحث Research room finding aids :

يجب أن يكون الباحثون قادرين على التعرف على قدر كبير من المقتنيات عن طريق استخدام «مُعينات البحث» التي قد تعنى الفهرس البطاقي وسجلات المجموعات inventories or registers (سواء أكان على هيئة ملفات في أدراج أو على هيئة سجل ذي أوراق متحركة losse-leaf notebooks) والكشافات الخاصّة . ومن المهم وجود أشخاص ذوي خبرة ودُربة على التعامل مع المجموعات وإدارة المعلومات الوثائقية ، لكن قيام الباحثين والروّاد بالاعتماد اعتماداً كبيراً على معلومات ومعارف هؤلاء الأشخاص العاملين في مستودع الوثائق يعد من الأمور التي لا ينصح بها ، إذ يجب أن يكون الاعتماد الأساسى على «معينات البحث» المكتوبة والمعدة لهذا الغرض .

وإذا كانت المجموعات الوثائقية موزعة بين أقسام مختلفة داخل الهيئة أو المؤسسة (مثال : قسم الأوراق المخطوطة ، قسم الوثائق ، المكتبة ، قسم الوسائل السمعية والبصرية ... الخ) ففي هذه الحالة ، يستحسن وجود قسم مركزي لخدمات المعلومات الوثائقية .

ز ــ المراجع العامة والخاصة (المطبوعة) بقسم الوثائق General & Special Reference Works :

قد يكون مستودع الوثائق جزءاً (قسماً) من مكتبة وقد لا يكون ، لكنه في كل الأحوال لابد من وجود مراجع عامة وخاصة في المستودع تتلاءم مع طبيعة الخدمة الوثائقية ، وذلك لاستخدام العاملين في مستودع الوثائق ومصالح الباحثين .

وهذه المراجع يجب أن تشتمل على المستخلصات الوافية لتراجم الشخصيات Various biographical Compendiums والمعاجم والأطالس والببليوجرافيات المتعلقة بتاريخ الدولة ، وأدلّة مقتنيات المستودعات الأخرى للوثائق ونسخ من منشورات ومطبوعات دار الوثائق ذاتها أو قسم الوثائق بالمكتبة .

أما المراجع الخاصة التي يجب اقتناؤها فمن الضروري أن تعتمد على طبيعة المجموعة الوثائقية ، فجمعية التاريخ المحلية (التي تهتم بتاريخ منطقة أو مدينة أوقرية ...) يجب أن تجمع التواريخ المحلية المنشورة والأعمال ذات الاهتمام المحلّي ... الخ .

إجراءات قاعة البحث Research Room procedures :

أ ــ خدمات المعلومات الوثائقية بالبريد وعبر الهاتف :

يعد تعريف سياسة مستودع الوثائق إزاء هذه الخدمة من الأمور الضرورية . فإلى أيّ مدى يمكن للعاملين في مستودع الوثائق أن يصلوا في خدمة الباحثين ؟ إن بعض الأرشيفيين يوافقون فيليب س بروكس Brooks في أنه لا يجب أن يتوقع منهم أحد أن يفسروا الوثائق أو يقرؤوها للباحث أو الدارس . والواقع أنه يجب وضع الوقت والجهد المبذول في الاعتبار عند تقرير ذلك . وبعض المكتبات تفرض رسوماً مالية «رسوم بحث» وبعض مستودعات الوثائق تحيل المستفسرين إلى أسماء أشخاص مؤهّلين للبحث الوثائقي خارج مستودع الوثائق ليبحثوا لهم ــ نيابة عنهم ــ عن المعلومات المطلوبة لقاء أجر يتقاضونه عن كل ساعة بحث .

ب ــ نماذج تسجيل الباحثين Registration Records :

تستخدم بعض مستودعات الوثائق نماذج مطبوعة لتسجيل بيانات تعريفية عن الباحثين ومجالات بحوثهم (انظر نموذجاً لذلك فيما يأتي) . وقد تشتمل هذه النماذج على إجراءات وشروط دار الوثائق أو قسم الوثائق بالمكتبة . وملاحظات عن الالتزامات القانونية للباحثين ومعلومات عن الاستشهاد Citation والاقتباس quotation . ولنماذج تسجيل الباحثين عِدّة أغراض . الغرض الأول : متعلق بأمن الوثائق وحمايتها فلابد من إثبات شخصية الباحث ، والغرض الثاني هو اعتبار نماذج التسجيل هذه بمثابة دليل للعاملين في مستودع الوثائق لتقديم مساعدات علمية وخدمات بحثية للباحثين . والغرض الثالث : هو معرفة الاتجاهات البحثية ومجالات الاهتمام ، مما يفيد في التخطيط وإعداد التقارير ، كما تفيد هذه النماذج في تنبيه الباحثين إلى من سبقهم في بحث الموضوع ذاته . وبعض مستودعات الوثائق ترتب هذه النماذج عاما بعد عام وفقا لاسم الباحث (أي أن مدخل الترتيب هو اسم الباحث) مع إحالات موضوعية بمجالات أو عناوين البحوث . وبالإضافة إلى هذا فإن بعض مستودعات الوثائق تعد سجلاً للمتردِّدين يكتبون فيه أسماءهم ، ويوقعون بصرف النظر عن استخدامهم الجاد للوثائق والأوراق التاريخية ، ويفيد هذا في إنشاء احصاءات يومية وشهرية وسنوية بالمترددين ، كما يفيد في التحقيق في حالة حدوث سرقة .

قسم الوثائق
يناير ١٩٧٣ م

جامعة ولاية أوهايو
بيانات عن حالة باحث

الاسم :
اسم العائلة الاسم الأول الأحرف الأولى من باقي الاسم
التاريخ :
العنوان :
الشارع المدينة الولاية رقم المنطقة
طبيعة البحث :
( ) رسالة دكتوراه ____________
العنوان المقترح
( ) رسالة ماجستير ____________
العنوان المقترح
( ) منشور ____________
العنوان المقترح
( ) ورقة بحث (للتخرج) ____________
القسم رقم المقرر
(ما قبل التخرج) ____________
القسم رقم المقرر
____
العنوان المقترح للبحث
( ) استقصاء إداري ____________
الموضوع
( ) بحوث أخرى ____________
حددها من فضلك
معلومات عن الباحث :
( ) من جامعة أوهايو ــ عضو هيئة تدريس ــ القسم ــ
( ) من جامعة أوهايو ــ من العاملين ــ القسم ــ
( ) خريج جامعة أوهايو ماجستير دكتوراه
( ) طالب بجامعة أوهايو السنة
( ) من جامعة أخرى : اسم الجامعة الكلية
خريج طالب
( ) موظف حكومي ــ اسم الجهة
( ) مجرد مواطن ____________

(هذا الجزء للاستخدام الرسمي يعبأ بمعرفة مسئولي الأرشيف)
المجموعة الوثائقية المستخدمة ____________
الوثائق المصوّرة ____________
____
(لقسم التصوير فقط)
قواعد ونظم استخدام المواد الأرشيفية
١ ــ كل المواد يجب استخدامها داخل أرشيف الجامعة .
٢ ــ يمنع كتابة الملاحظات بالقلم الحبر .
٣ ــ يحظر التأشير أو التخطيط على الوثائق .
٤ ــ أبلغ مسئول الأرشيف من انتهائك من بحث وثائق الملف أو الصندوق حتى يعيده في موضعه ، قبل أن تطلب موادَّ جديدة .
٥ ــ لا تغير من ترتيب مجموعة الوثائق التي طلبتها ، اتركها كما هي بنفس ترتيبها الذي تسلمتها به .
٦ ــ التصوير يتم في قسم التصوير بالجامعة لقاء رسوم .
٧ ــ على الباحث أن يعلم أن أرشيف الجامعة لا يمتلك حقوقا أدبية (فكرية) على المواد التي في حوزته ، وبناء عليه فمن مسئوليات الباحث أن يحصل على هذا الحق من صاحبه ، إن احتاج ــ أي الباحث ــ إلى ذلك .
(بتوقيع الباحث على هذا النموذج يكون قد أدرك مسئولياته وتعهد بالتزاماته المدرجة عاليه ، وفي حالة تجاوزه لهذه القواعد فسيمنع من التردد على أرشيف الجامعة)
توقيع الباحث

الشكل التوضيحي (٢) جانبا نموذج تسجيل ، يستخدمه أرشيف جامعة أوهايو لتسجيل معلومات عن الباحثين والروّاد ومجالات بحوثهم .

جـ ــ اللّقاءات الشخصية interviews :

اللقاءات الشخصية ــ داخل مستودع الوثائق وخارجه ــ بالباحثين والمهتمين تعد مسألة مهمة . فبعيداً عن المجال الوظيفي الرسمي ، يمكن أن تؤدي اللقاءات إلى معرفة اهتمامات الباحث وحاجاته ، مما يفيد هيئة خدمة المعلومات الوثائقية . وهذا قد يؤدي إلى خدمة أفضل للباحث وسيوفر وقته على المدى البعيد . أما بالنسبة للأرشيفي فإن ذلك سيتيح له أن يقترح مزيداً من المواد ذات الصلة بموضوع الباحث أو مجال اهتمامه كما يتيح له أن يشرح نظام معينات البحث finding aids المعمول به في مستودع الوثائق ، ومن ناحية أخرى فإن هذا يتيح للأرشيفي معرفة مدى جدّية الباحث وما

يستغرق بحثه من وقت . فقد يكون من إهدار الوقت إمداد أحد المترددين الذين يزمعون قضاء بضع دقائق في مستودع الوثائق بمزيد من معينات البحث . ويمكن شرح قواعد المستودع ونظمه خلال هذا اللقاء الشخصي . وإذا كان الباحث يزمع استخدام بعض المجموعات المقيدة restricted فلابد من شرح التزامات الباحث وما يجب أن يتعهد به بوضوح كامل .

ويمكن للّقاءات الخارجية Exit interviews أن تساعد الأرشيفي في القيام بخدمة أفضل مستقبلا ، وذلك باستجلاء الأسئلة والقضايا أو المشكلات . فعلى سبيل المثال ، يمكنه تعديل الأخطاء في الترتيب والوصف كما يمكنه إثراء سجلات الوثائق Inventories or registers بما يتفق مع احتياجات الباحثين . ولابد ـــ خلال اللقاء الشخصي ـــ من إعادة القول عن شروط الاقتباس والاستشهاد والنشر . ولابد أن يذكّر مسئول المعلومات الوثائقية الباحث بضرورة تزويد مستودع الوثائق بنسخة من البحوث أو الكتب أو المقالات التي استُقِيت معلوماتها من المجموعات الوثائقية بالمستودع ، والتي نشرها (أي الباحث) وقد تفيد ملاحظات الباحث واستقصاءاته هيئة المستودع في معرفة معلومات عن مجموعات أخرى ـــ في المجال نفسه ـــ في المستودعات الأخرى .

د ـــ سرّية البحث وخصوصيته Confidentiality in Research :

على الرغم من وجود بعض الاعتراضات على الاحتفاظ بأسرار البحوث ، إلّا أنّ الرأي السائد هو أن يحتفظ الأرشيفيون بأسرار تفاصيل البحوث التي يقوم بها الدارسون والباحثون ، لكنه يتعيّن عليهم إخبار الباحثين والأفراد الآخرين الذين يرغبون في إجراء بحوث في المجال أو الموضوع نفسه تحاشيا للتكرار . فقد أثبتت بعض التجارب أنّ على الأرشيفي أن يحمي عمل الباحث فلا يخبر الآخرين بتفاصيل الوثائق والمحرّرات التي استخدمها باحث آخر أو بالطريقة التي طوّر بها موضوع بَحْثه .

هـ ـــ الإجراءات الأمنية داخل القاعة Security measures :

من بين مسئوليات العاملين في حقل الوثائق أن يحافظوا عليها ، فلا يدعونها تتلف أو تُسْرق ، ويمنعون استخدامها استخداما غير مسئول يعرضها للتشقق والتمزق وما إلى ذلك ، وفيما يلي نذكر بعض الخطوات المقترحة ، وبالرغم من أننا خصصنا بابا كاملاً لأمن الوثائق ، إلا أن عرض هذه الخطوات بإيجاز هنا يعد ضرورياً لاستكمال عناصر موضوعنا ، وهو إجراءات قاعة البحث .

هـ/١ ـــ تسجيل كافة البيانات الشخصية عن الباحث قبل دخوله قاعة البحث .

هـ/٢ ـــ إغلاق غرفة الإعداد وغيرها من المواضع غير المعدّة للباحثين أو الروّاد ، حيث يتم خزن الوثائق وتداولها .

هـ/٣ ـــ ضبط الدخول إلى قاعة البحث بأن يكون لها باب واحد للدخول والخروج وأن يكون مسئولو القاعة بالقرب من الباب لمنع الأشخاص غير المصرح لهم من الدخول .

هـ/٤ ـــ منع الباحثين والروّاد من اصطحاب حقائبهم ومعاطفهم .. الخ إلى قاعة البحث ، وإذا كان يتعذّر ترك أدوات الباحث خارج القاعة ، ففي هذه الحالة لابد من تدبير مكان خاص للباحث بالقرب من المشرفين على القاعة لمراقبته ، وبعض مستودعات الوثائق تمنع دخول أوراق الكتابة والأقلام ، على أن تقوم هي ـــ أي المستودعات بتدبيرها ـــ أوراق الكتابة والأقلام ـــ للباحثين والروّاد .

هـ/٥ ـــ لا يسمح باستخدام مواد المستودع إلّا بحضور المسئولين ولا يسمح للباحث ببناء جدارٍ عازل من الكتب والمجلات والمراجع يحجبه عن الرؤية . (توجد في مستودعات الوثائق كما سبق القول مراجع مطبوعة لاستخدامها في تحقيق الوثائق) .

هـ/٦ ـــ عند اللقاء الشخصي بين مسئولي القاعة والباحث ـــ عند دخوله ـــ يوضحون له من خلال الحديث ومن خلال النماذج المطبوعة القواعد والاجراءات التي يجب مراعاتها ، ويوضحون له أن نقل المواد الوثائقية خارج القاعة ممنوع ، وبعض مستودعات الوثائق تحصل على توقيع الباحث على نسخة من القواعد والاجراءات تتضمن أنه ـــ أي الباحث ـــ قد ألمّ بها وفهمها ووافق عليها .

هـ/٧ ـــ إذا كان التصوير مباحاً فلابد أن يتم ذلك بواسطة أحد مسئولي القاعة ، إن تيسر ذلك أو تحت إشرافه ، ويحتفظ مسئول القاعة بهذه الصور لديه لتسليمها للباحث عند مغادرة القاعة . (ففي الولايات المتحدة لوحظ أن معظم السرقات الكبيرة للوثائق ، كانت تتم بِدَسِّ الوثائق المراد سرقتها داخل الصور)

هـ/٨ ـــ يجب إبعاد الأصول الهامة من بين المجموعة ، والاستعاضة عنها بصور ميكروفيلمية أو نسخ مصوّرة ، كلما أمكن .

هـ/٩ ـــ تراجع محتويات الإضبارة أو الصندوق قبل استخدام الباحث وبعد استخدامه **وذلك إذا أمكن** .

هـ/١٠ ـــ تختم أو تعلم emboss الوثائق والأوراق المهمة للدلالة على ملكية المستودع لها .

هـ/١١ ـــ الاجراءات الوقائية ضد السرقة أفضل من القبض على السارق .

ويجب التأمين (لدى شركات التأمين) على الوثائق والأوراق التاريخية المخطوطة ويجب الاستعانة بقانونيين لمراجعة العقود مع شركات التأمين للتأكد من أن العقد يغطى مقتنيات المستودع بشكل جيد .

وتشير قواعد جمعية الأرشيفيين الأمريكية إلى مَنْع الشخص الذي يتعامل مع الوثائق بعدم اهتمام أو يهددها بالتدمير ، لكن مسئولي المستودع قد يحتاجون إلى استشارة قانونية قبل تبنّي هذا الإجراء وذلك تجنباً للوقوع في مشكلات قانونية . وفي حالة الاتجاه نحو منع باحث من استخدام الوثاق ، للأسباب المشار إليها آنفا ، فلابد من توجيه تحذير كتابي له قبل اتخاذ اجراء المنع .

و ــ نماذج طلب الوثائق والأوراق التاريخية Request forms :

إذا كانت مجموعات مستودع الوثائق ضخمة ، أو إذا كان أحد مسئولي المستودع منوطا به إحضار retrive الوثائق التي يرغب الباحث في دراستها ، ففي هذه الحالة نجد أن النماذج المطبوعة لطلب الوثائق من الأمور المفيدة ، ويجب أن يشتمل الطلب على البيانات الأساسية مثل :

ــ رقم الفهرس أو مفتاح الموضع locator .
ــ عنوان المجموعة الوثائقية أو الأوراق التاريخية أو أي وصف لها أو إشارة إليها ، أو تعريف بها .
ــ رقم الصندوق أو الملف (الإضبارة) .

وإذا كان النموذج مُعَداً من أكثر من نسخة (بالاستنساخ الكربوني) ففي هذه الحالة تبقى نسخة على المنضدة dest والأخرى يأخذها مناول الوثائق . أما النماذج (المستنسخة بالكربون) من ثلاث نسخ فبالرغم من أنها مكلفة إلا أنها أفضل ، فالصورة الكربونية الأولى تبقى على المنضدة ، والنسخة الثانية لاستخدام (المناول) وتترك على الرَّف في مكان الوثيقة أو الملف الذي سيأخذه المناوِل ويُناوله للباحث ، حتى إذا أراد المناول إرجاع الوثيقة أو الملف إلى موضعه ــ بعد انتهاء الباحث من بحثه ــ فإن وجود نسخة من الطلب على الرف أو في الدولاب أو الدرج ... الخ يساعد على إعادة الوثيقة أو الملف إلى موضعه . أما النسخة الثالثة من الطلب فتترك للباحث ويتم أخذها منه بعد انتهائه من القراءة والبحث مع الوثائق التي طلبها (أي تؤخذ منه الوثائق ونسخة الطلب) فهذا يساعد على وضع الوثائق في موضعها الأول بمقارنة هذه النسخة (التي كانت مع الباحث) بالنسخة التي كانت مع المناوِل التي وضعها على الرف أو في الدرج ... الخ .

الاسم :		التاريخ :
(عنوان المجموعة)		تأشيرة المراجعة لمسئولي الأرشيف
رقم الفهرس	الصندوق	
أو أرقام الطلب	أرقام اللُّفافات Roll numbers	قبل الاستخدام / بعد الاستخدام
ــــــ	ــــــ	ــــــ / ــــــ
ــــــ	ــــــ	ــــــ / ــــــ
ــــــ	ــــــ	ــــــ / ــــــ
ــــــ	ــــــ	ــــــ / ــــــ
ــــــ	ــــــ	ــــــ / ــــــ
ــــــ	ــــــ	ــــــ / ــــــ
جمعية مينوسوتا التاريخية/استمارة طلب وثائق أو أوراق مخطوطة		

نموذج يستخدمه الباحثون والروّاد لطلب مواد بحثية (وثائق أو أوراق مخطوطة) في جمعية مينوسوتا التاريخية .
الشكل التوضيحي (٣)

لاحظ أن نماذج الطلب (مثل نموذج جمعية مينوسوتا التاريخية) يضم بَحْرين (خانتين) إحداهما لمراجعة الوثيقة أو الملف أو المجموعة قبل استخدام الباحث لها ، والأخرى لمراجعتها بعد استخدامه لها .
ويمكن الاحتفاظ بنماذج الطلب لدى المستودع وترتيبها كالآتي :
ــ نسخة ترتب هجائيا باسم الباحث . وتفيد إذا نَسِي الباحث المواد التي سبق له استخدامها وأراد طلبها من جديد لاستكمال بحثه .
ــ نسخة ترتب وفقاً لرقم الفهرس أو رقم مفتاح الموضع locator وقد تفيد في التحقيق في حال حدوث سرقة .

ز ــ الخزن والاسترجاع Storage & retirieval :

ضبط الأوراق التاريخية والوثائق ، يستلزم وجود نظام خزن معقول ومنطقي . أما عمليات الاسترجاع retrieval فيمكن أن تتم بسهولة عن طريق أرقام الفهرس Catalog numbers أو رموز تحديد الموضع location symbals . ويجب أن يتفهم مسئولو خدمة المعلومات الوثائقية هذا النظام (نظام الخزن والاسترجاع) ويجب إعداد وصف مكتوب للنظام ليكون متاحاً للعاملين على شكل كُتَيِّب إرشادي . وعادة ما تكون منطقة التخزين متاحة فقط للعاملين في مستودع الوثائق ، خوفاً من وضع المواد في غير

موضعها ، ولاعتبارات أمنية . وفي بعض المستودعات الصغيرة توضع الوثائق في غرفة المطالعة أو قاعة البحث ، ومع هذا فلا يسمح للباحثين بجلب المواد التي يريدونها ، وإنما يكون ذلك عن طريق هيئة العاملين بالقاعة .

وإذا كانت الوثائق والأوراق التي تم استخدامها من قبل الباحثين ستستخدم مرة أخرى بعد فترة يسيرة (خلال يوم أو يومين) ففي هذه الحالة قد يرغب المستودع في الاحتفاظ بهذه المواد في مكان قريب (مكان مخصص للمواد المطلوبة للاستخدام خلال يوم أو يومين) بدلاً من إعادتها إلى مكانها على الرف أو في الأدراج ، وذلك لتوفير الوقت ، ويفضل ألا يكون ذلك المكان عاماً أي يكثر التردد عليه ، كما يفضل ألّا يكون ذلك المكان هو قاعة البحث . ويلاحظ أن عدم وضع المادة الوثائقية في مكانها misshelving قد يعني فقدانها أو توهّم ضياعها لسنين كثيرة .

حـ ــ استخدام المواد المقيَّدة use of restricted materials :

إن المواد التي لا تستخدم بإباحة كاملة ، وإنما يحد من استخدامها بعض المحاذير بسبب تقادمها أو قيمتها أو لأن إعدادها لم يتم ــ مثل هذه المواد تتطلب معاملة خاصة . ففي حالة هذه المواد المقيدة يجب التأكد من أن الباحثين أو القراء الذين يبحثون فيها تنطبق عليهم الشروط التي وضعها المستودع أو مانح المجموعة . ويجب أن يتم إحضار إضبارة واحدة أو ملف واحد ، أو وثيقة واحدة من بين المجموعة ، وإعادتها لمكانها فور انتهاء الباحث منها ولا يُسمح للأشخاص غير **المأذونين** باستخدامها .

ويجب أن تقدَّم صور الوثائق المهترئة بدلاً من الوثائق الأصلية . وإذا لم يكن هذا الإجراء عملياً أو معقولا فلابد أن يقوم مسئولو المستودع بالإشراف المباشر على استخدامها . وقد يمنع مستودع الوثائق تصوير هذه المواد المقيدة للباحثين . أما المقتنيات التي لم يتم إعدادها أو وصفها فتمثل مشكلة حقيقية . وأحد حلول هذه المشكلة هو إعداد سجل مبدئي لها prelimenary Inventory يشتمل على الأقل قائمة بالملفات والصناديق التي وصلت مرتبة على نحو ما ، مع وصف عام لمحتوياتها . ويمكن الاحتفاظ بسجل متحرك الأوراق losse leafnotebook أو أي سجل آخر مركزي لتسجَّل فيه المجموعات التي لم ينته المستودع من إعدادها . وأحد هذه السجلات يشتمل على : ــ وصف موجز ــ تقدير الكمية ــ وغير ذلك من المعلومات الأساسية عن المجموعة مما يرى مسئولو المستودع إضافته . ومعنى هذا أن المجموعة التي لم يتم إعدادها فنيا يمكن أن تطرح لاستخدام الباحثين حتى لا تكون كم معلومات معطّلا . ويمكن إعداد سجل آخر مبدئي للمواد التي لم تُعد فنيا لاستخدام هيئة العاملين بالمستودع . ولأن المجموعات المقيدة التي لم يتم إعدادها فنياً تعد مجهولة المحتوى على نحو ما ، لذا لا بد من الحذر من سرقتها أو إساءة استخدام محتواها . والفارق بين السجل المبدئي للمواد غير المعدَّة فنيا والموجّه للباحثين ، والسجل المبدئي للمجموعة نفسها الموجّه لهيئة العاملين ، أن **الأول** يضم جانب المجموعة القابل للاستخدام من قبل الباحثين **على نحو** ما ، أما الثاني فيضم المواد السابقة بالإضافة للمواد التي لم تضبط ببليوجرافيا ولا يعرف محتواها بالضبط .

ط ــ التصوير والاستِنْساخ Reproduction :

يعد تطور تقنيات التصوير نعمة كبيرة للعاملين في مجال البحث ونشر المعلومات . لكنها أوجدت للعاملين في مجال الأرشيف اعتبارات جديدة يجب وضعها في الحسبان . وقد أعدت جمعية الأرشيفيين الأمريكيين تقريرا عن استخدام التصوير وأجهزة الاستنساخ في مجال خدمة المعلومات الوثائقية ، وقد ترجمناه وألحقناه بهذا الباب (الملحق ــ ٢) وتقدم هذه الوثيقة المهمة الخطوط العريضة لهذا الموضوع المعقد . وبعض مواد هذا التقرير يستحق مزيداً من التفصيل لأنها لا تعكس ممارسات بعض مؤسسات (هيئات) بعينها ، بالإضافة إلى أن قانون حق الملكية الفكرية الأمريكي الصادر سنة ١٩٧٦ قد تأثر بهذا التقرير . واتجاه هذا التقرير هو الإلحاح على أن تقوم مستودعات الوثائق بتيسير مقتنياتها وإتاحتها للباحثين عن طريق تقديم خدمات تصوير (وقد سمح التقرير ببعض الاستثناءات) . غير أن الأوضاع السيئة للأصول بالإضافة إلى القيود المفروضة على استخدام الوثائق والأوراق التي تنص عليها الاتفاقات مع المانحين أو الشروط المدرجة في عقود الشراء (في حالة شراء المجموعة) أو المحاذير التي تضمها التشريعات البرلمانية ــ كل ذلك يعد من الأسس القانونية لرفض تصوير الوثائق والأوراق التاريخية . وحتى بعد أن تدخل الأوراق التاريخية والوثائق في نطاق الملكية العامة ، فإن المجموعات المقيدة والمجموعات التي تضم مواد ينطبق عليها قانون حماية حق الملكية الفكرية Copyright ــ مثل هذه المواد لا يُسْمح بتصويرها دون إذن مسبق من مانحها أو من صاحب حق الملكية الفكرية لها ، وهذا أمر ضروري لأن مستودع الوثائق لا يملك حق السيطرة على استخدام هذه الصور خارج المستودع أو لا يستطيع (أي لايستطيع ضبط استخدام هذه الصور من الأوراق التي يشملها حق الملكية الفكرية) . كما أن الباحثين الذين يمتلكون صورا من هذه الأوراق يمكنهم الاقتباس والنشر واستخراج نسخ جديدة من نسخهم .. الخ بطريقة لم يجزها مستودع الوثائق (دار الوثائق أو قسم الوثائق بالمكتبة) فإذا

وضعت قيود على استخدام الصور فلابد من كتابة ذلك ، ولابد من توقيع الباحث (موافقته) قبل التصوير . ويمكن استخدام ختم مطاطي في ماكينة التصوير (أو تكتب (تطبع) ملاحظة على زجاج آلة التصوير ، فتظهر تلقائياً على الورق المصور) ويمكن أن تظهر هذه الملاحظة بوضوح في صدر الفلم الميكروفلمي المعد لاستخدام الباحث . ومن الطبيعي أن تمنع هذه القيود النشر دون إذن من صاحب الحق الفكري ، كما تمنع استنساخ مزيد من الصورة المعطاة كما تمنع إعطاء الصور لأي مستودع وثائقي آخر . وبعض المستودعات تشترط إعادة الصور مرة أخرى بعد الانتهاء منها .

ى ــ تصوير (واستنساخ) المواد التي يشملها حق الملكية الفكرية Reproduction of Copyrighted Materials :

كانت ثمة مراجعة عامة لقانون حق الملكية الفكرية في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك في سنة ١٩٧٦ (سنناقش ذلك فيما بعد) ففي أول يناير سنة ١٩٧٨ كانت الأعمال التي يحميها القانون العام قد شملها نظام فدرالي موحد مستمد من تشريع سنة ١٩٧٦ . والقانون الجديد لم يغير ــ تغييرا جوهريا ــ القاعدة ضد حق الملكية الفكرية في أعمال حكومة الولايات المتحدة (الأعمال والأوراق الحكومية) كما أنه لم يُرجع حق الملكية الفكرية للأعمال التي سقط عنها هذا الحق وآلت للملكية العامة . وعلى هذا فكثير من الأوراق والوثائق غير المنشورة والموجودة الآن في مستودعات الوثائق التي قد تقتنى بعد ذلك قد أصبحت موضوعا (مجالاً) لتطبيق مواد قانون حق الملكية الفكرية ــ الجديد . لذا فقد كان الأرشيفيون مضطرين لقراءة هذا التشريع ليعرفوا خطوطه العامة وليفسروه تفسيراً قانونياً ومهنياً ، فالقانون لا يفهم تماماً ولا يعرف مدى أثره الحقيقي إلا من خلال الممارسة والتجربة . وعلى الرغم من أن البند المتعلق بالتصوير والاستنساخ في ظل قانون حق الملكية الفكرية لم يقدم نصيحة قانونية، إلا أن بعض المحاولات قد جرت لاستنباط بعض البنود والشروط من هذا القانون الجديد .

فالمادة رقم ١٠٨ من قانون حق الملكية الفكرية الجديد في الولايات المتحدة ، موجهة أساساً للاستنساخ والتصوير بالنسبة للأعمال والمواد التي تنضوي تحت حق الملكية الفكرية الموجودة في المكتبات والأرشيفات . ويمكن تصوير المواد غير المنشورة بطريقة الفاكسميلي facsimile لنقلها للمكتبات والمستودعات الأخرى ، ولاعتبارات أمنية . ويمكن إحلال الصورة الفاكسميلية بدلا من الصورة المفقودة أو الأصل المفقود أو التالف .. ويتناول هولبرت Sue E. Holbert في كتابه : "Archives & Manuscripts : Reference & Access" الذي نستخلص منه كثيراً من التفاصيل عن قانون حق الملكية الفكرية في الولايات المتحدة ، فليرجع إليه من شاء لمزيد من التفاصيل .

ك ــ الاستخدام المباح fair use :

الاستخدام المباح fair use مسموح به وفقا للقوانين الأمريكية ووفقا لتفسير مجلس الشيوخ لقانون حق الملكية الفكرية ، وليس هنا تعريف عام لهذا المصطلح ، فالمحاكم قد تعتبر الاستشهاد الحرفي Quotation بفقرة قصيرة في عمل دراسي أو تقني من قبيل الاستخدام المباح . ومن ناحية أخرى فقد ورد في مذكرة مجلس الشيوخ الآنفة الذكر أنه يجب تطبيق الاستخدام المباح في أضيق الحدود لأن صاحب حق الملكية الفكرية هو وحده الذي يمتلك حق النشر الكامل لأوّل مرة . وفيمايتعلق بالاستخدام المباح فقد وجدنا ممثل مكتب حق الملكية الفكرية يذكر أنه ليس ثمة قانون محدد وحاسم فيما يتعلق بهذه المسألة ، ووفقا لقانون حق الملكية الفكرية الأمريكي فإن الاستخدام المباح يشمل : الاستشهادات الحرفية المختصرة لأغراض النقد والتعليق وكتابة تقارير إخبارية ، والتدريس والبحث .

ل ــ تصوير المجموعات لمؤسسات (أو هيئات) أخرى Reproduction Collections for other Institutions :

بعض مستودعات الوثائق تعارض السماح لمؤسسات وهيئات أخرى بتصوير مقتنياتها خوفاً من فقدان السيطرة على استخدامها ، ولأن المستودع يعتبر أن امتلاكه هو وحده دون سواه لمجموعة بذاتها يساعد على جذب الباحثين إليه . وعلى أية حال فإن جمعية الأرشيفيين الأمريكيين في تقريرها قد شجعت التصوير الميكروفيلمي للأوراق والوثائق لتيسير استخدام المجموعات ، ولتحاشي المحاذير القانونية فإن المستودع المالك للمجموعة قد يشترط على الجهة التي صورت المجموعة ألا تصورها بدورها (تصوير الصور) وقد لا يوضع هذا الشرط بالنسبة للوثائق العامة .

م ــ معايير التصوير للمؤسسات Institutional Considerations in Copying :

بالإضافة إلى العوامل التي ذكرناها في الفقرة السابقة ، فإن صف أعداد كبيرة من المصورات قد يربك العمل في المؤسسة (المستودع) ، كما أن سحب المواد المراد تصويرها من بين مجموعاتها وتصويرها وختمها وإعادة صفها في مواضعها من جديد ــ كل ذلك يستغرق وقتاً طويلاً من هيئة العاملين مما قد يعوقهم عن أداء أعمالهم الأخرى المنوطة بهم والتي لها الأولوية . بالاضافة إلى أنه أثناء عملية التصوير للمجموعة بغرض إعطائها لمستودع آخر أو هيئة أخرى ، فإن المجموعة تكون معطلة بمعنى حرمان الباحثين من دراستها في هذه الأثناء . وقد نص تقرير جمعية الأرشيفيين

الأمريكيين بغض الطرف عن الاستجابة لطلبات التصوير الواردة للمستودع بالبريد إن كانت عملية استخراج المواد المراد تصويرها، ثم تصويرها — تستغرق وقتا طويلا من هيئة العاملين مما يعوقهم عن أداء واجباتهم ذات الأولوية، وإذا ما اختار باحث كميات كبيرة من الوثائق، لتصويرها، فمن حق المستودع اختيار طريقة التصوير الأكثر ملاءمة (ميكروفلم مثلا، وليس التصوير العادي الذي يخرج الوثيقة بنفس حجمها).

وقد تحدد القواعد والنظم الخاصة بالمستودع طريقة الباحث ومنهجه في التعريف بالمواد الوثائقية، كما تحدد مدى مسئوليته عن المواد المصورة كما تشير الرسوم المدفوعة (انظر الشكل التوضيحي رقم ٤). وبعض المستودعات تفرض رسوما إضافية تضاف لتكاليف التصوير في حالة طلب تصوير عدد كبير من الوثائق والأوراق. وبعض دور الوثائق وأقسام الوثائق في المكتبات تطلب من الباحث وضع بديل (شارة) Flage (انظر الشكل التوضيحي رقم ٥) بين ثنايا المجموعة في موضع المواد المراد تصويرها حتى يسهل إعادتها لموضعها، وحتى يعرف مسئولو المستودع موضع المواد المراد تصويرها.

ن — إعارة الأصول Loans of original Materials :

سواء سمح مسئولو المستودع بإعارة الأصول أم منعوا ذلك، فمن المحتم وضع سياسة واضحة إزاء هذا الأمر. ومستودعات الوثائق العامة أو غيرها من الهيئات الأرشيفية قد تعيد الأصول إلى جهاتها الأصلية، وفي حالة استعارة المستودع لأصول وثائقية فيجب مراعاة الآتي: (أ) الاحتفاظ بالترتيب الأصلي للمادة. (ب) المحافظة عليها بمعنى عدم تعريضها للتمزق وغيره. (جـ) العمل على الحفاظ عليها من السرقة والحريق وما إلى ذلك. (د) إعادتها في التاريخ المحدد أو قبل ذلك. وإذا كانت المجموعة خاصة أي لها مانح قدَّمها للمستودع، ففي هذه الحالة يتحتم في بعض الأحيان استئذان المانح قبل إعارة المجموعة لمخزن آخر لتصويرها أو لاستخدام الباحثين لها في مخزن آخر.

س — إعارة الصور وَبَيْعها Loans & Sales of Copies :

تصوير المجموعات ميكروفلميا وعرضها للبيع (أي الصور الميكروفلمية) أو للإعارة المتبادلة بين المكتبات — وهي مما شجعت عليه المنشورات التاريخية الوطنية وبرامج لجان الوثائق — له فوائد جمة بالنسبة لتنشيط حركة البحث، كما أن ذلك يوفر الوقت والجهد والمال بالنسبة لمستودعات الوثائق على المدى البعيد. وإذا كان قانون حق الملكية الفكرية يجيز (يسمح) فإن الأوراق ذات الأهمية التي يكثر الطلب عليها، تكون مرشحة للتصوير الميكروفلمي. فعلى سبيل المثال، نجد أن الإحصاءات السكانية (مرفقة بالكشافات) يكثر الطلب عليها، لذا فإن تداولها يكون بشكل أفضل في حالة تصويرها ميكروفلميا. ويمكن إعداد فهرس بالميكروفلمات للإجابة عن الاستفسارات.

ع — تبادل الإعارة بين المكتبات Interlibrary Loans :

قد يدخل مستودع الوثائق العريق في تبادل الاعارة مع المكتبات — وعادة ما لا يعير المستودع إلا النسخ أو الصور الميكروفلمية. وثمة نماذج تملأ لعملية التبادل اعتمدتها جمعية المكتبات الأمريكية. وثمة نماذج من أربع قطع تشير إلى الاجراءات التي يمكن اتخاذها عند تبادل الاعارة، ويجب أن يعد المستودع سجلاً لتسجيل حركة التبادل والاعارة ومعرفة المواد الموجودة خارج المستودع، وقد يفضل المستودع وضع بدائل flags مكان المواد المعادة لتيسير إعادتها لمواضعها عند إرجاعها.

ف — قيام الباحثين بالتصوير Copying by Researchers :

قد يحضر بعض الباحثين أجهزة التصوير الخاصة بهم لتصوير بعض المواد المختارة، ولامانع من ذلك إذا لم تكن هناك قيود على تصوير المجموعة وإذا لم يضر ذلك بالمواد المراد تصويرها أو يزعج الباحثين في قاعة البحث.

وفي كل الأحوال لابد من الإشراف المباشر على عملية التصوير خوفاً من السرقة أو تدمير الوثائق.

ص — تسجيل الوثائق صوتيا من قبل الباحثين Taping by Researchers :

تعد الزيادة في أعداد الباحثين الذين يحضرون معهم في قاعة البحث أجهزة تسجيل، لتسجيل الوثائق والأوراق صوتيا عليها، ليتسنى لهم بعد ذلك كتابة الملاحظات البحثية، مسألة مفيدة، إلا أن ذلك قد يزعج الباحثين الآخرين؛ وعلى أية حال فإن هذه الوسيلة هي من بين الأمور المسموح بها إذا لم تكن مجموعة الأوراق أو الوثائق من المواد المقيّدة. ويجب ملاحظة أن التسجيل الصوتي هو كالتصوير يدخل ضمن مفهوم قانون حق الملكية الفكرية. وعلى أية حال فنظراً لزيادة استخدام أجهزة التسجيل في قاعات البحث، فإن على المستودع أن يتدبر عوازل زجاجية لمنع إزعاج الباحثين بعضهم البعض الآخر.

ق — الاستشهاد الحرفي والنشر Quotation & Publication :

تعد مقتنيات الأرشيفات من الوثائق العامة ملكية عامة يمكن — بناء على ذلك — الاقتباس منها ونشرها دون قيد ولا شرط. وفي بعض الأحيان تضع الجهة المنشئة للوثائق originating agency بعض القيود في ظل القانون. أما بالنسبة للمجموعات المقيدة بشكل أو

آخر فقد سبق أن تعرضنا لها في فقرات سابقة .

ويعتبر التصوير بالفاكسميللي لغرض التوزيع أو البيع من قبل الأفراد ومن قبل هيئات ـــ غير المستودع ذاته ـــ نوعاً من النشر يتطلب وضعه في الاعتبار . ولم ينشر في هذا الموضوع إلا القليل أو لم ينشر شيء على الإطلاق . ولا يمكن منع نشر أو استنساخ الوثائق العامة كوثيقة إعلان الاستقلال في الولايات المتحدة ، مهما كان الغرض المسموح به قانونيا سواء أكان تجاريا أو غير تجاري .

ر ـــ الإشارات المرجعية Citations :

قد يوصي مستودع الوثائق بطريقة خاصة للإشارة المرجعية لوثائقه . فعلى سبيل المثال نجد أن الأرشيف الوطني الأمريكي يقدم للباحثين طريقة للإشارة لوثائقه . ويجب أن تشتمل الإشارة على العنوان الكامل للمجموعة أو مقسم الوثائق records series ، واسم مستودع الوثائق المالك للأصول ، وإشارة لصور من مستودعات أخرى تحدد موضع الأصول ، وجملة اعتراضية تبين موضع الصور المستخدمة (Copies in XYZ historical Society) والتاريخ ، واسم المؤلف ، واسم المتسلم recipient ، والمكان ، ومعلومات عن موضع الوثيقة بين المجموعة ، ومعلومات أخرى تتوقف على طريقة الباحث في النشر ، ومدى تصعيد المجموعة . (انظر الشكل التوضيحي رقم ٦) .

ش ـــ التعاون بين المؤسسات Interinstitutional Cooperation

لاشك أن هذا التعاون سوف يمكن هيئات خدمة المعلومات الوثائقية من أداء عملهم على نحو أفضل ، وتبادل الاعارة بين المكتبات مثال على ذلك . كما أن تبادل المعلومات عن السياسات الأرشيفية والإجراءات يمكن أن يؤدي إلى عملية تطوير (من خلال استبيانات وزيارات ومشاركات في منظمات مهنية ...) كما أن تبادل المعلومات عن المقتنيات يمكن أن يساعد هيئة خدمة المعلومات في مساعدة الروّاد والباحثين . ويعد تبادل السجلات بالنسبة للمجموعات المتقاربة من الأمور المفيدة .

طلب تصوير

إلى : قسم المجموعات الخاصة ______ التاريخ ______

______

______

______

من فضلك ، أريد تصوير المواد المدرجة أدناه ، وأقبل بالشروط الواردة في الاتفاقية المبينة بهذا النموذج .

توقيع ______

(من فضلك اكتب فيما يلي اسم المؤسسة (الهيئة) أو القسم أو الشخص الذي ستصور له المواد ، مع بيان العنوان كاملا

الاسم ______ العنوان ______

نوع التصوير

ميكروفلم (نيجاتيف) ______ التكاليف التقريبية : ______

زيروكس ______

ميكروفلم (طبع) ______

وصف المادة المراد تصويرها

بيِّن المؤلف والعنوان والناشر والتاريخ والصفحات بالنسبة لكل مجلد ، وإذا كان المطلوب تصويره من الأوراق المخطوطة وضح ذلك بالتفصيل كلما أمكن ، وإذا ضاق هذا المكان عن الوصف أرفق ورقة مفصلة بها كل ما تريد .

______

______

______

اتفاقية

١ ـــ المواد المصورة بمعرفة المكتبة تستخدم لأغراض بحثية أو لأغراض الدراسة الخاصة .

٢ ـــ تستخرج صورة واحدة من أي جزء من أيِّ عمل له حق تأليف (حق ملكية فكرية) فإذا أُريد تصوير العمل كله ، فعلى مقدم الطلب أن يحصل على إذن كتابي من صاحب الحق .

٣ ـــ الأذون الخاصة بنشر أي جزء من المواد المخطوطة يجب أن تعتمد من قبل قسم الأوراق والمجموعات الخاصة ـــ مساعد أمين مكتبة الجامعة .

٤ ـــ على مقدم الطلب أن يدفع فورا التكاليف الكاملة للصور التي طلبها .

أسعار التصوير

أكزوركس ، للصورة الواحدة	١٠ سنت
طبع من الميكروفلم	١٥ سنت
ميكروفلم	٤ سنت
اللفافة ، لكل واحدة	١٥ سنت
كارتون ، للواحدة	١٠ سنت .

الشكل التوضيحي (٤) جانبا طلب تصوير يستخدمه الباحثون في مكتبة وودرف Woodruff ـــ جامعة إموري Emory

ت ــ رسوم الخدمة Charging for Services :

قلما يغطي الدَّخل الناتج عن بيع الصور العادية أو الميكروفلمية ، التكاليف إذا وضعنا وقت العاملين في المستودع في الحسبان . فمعظم المستودعات ليست مؤسسات ربحية ولا يمكنها تحقيق ربح من عمليات بيع الصور ، وإن كانت تتوقع أن تغطي التكاليف الفعلية . وثمة رسوم أخرى للخدمات التي يقدمها المستودع منها : تكاليف التصوير والاستنساخ ، ورسوم لتكبير الأصول الصغيرة الحجم ، واستنساخ التصميمات المعمارية والتصميمات الميكانيكية أو أية مواد أخرى تستلزم إعداداً خاصاً ، وتكاليف النقل والبريد ، ورسوم تدفع لتوثيق المستندات أو التصديق على صحة الوثائق المستخدمة من المستودع (شهادة اعتماد أو توثيق) .

ث ــ إعداد نماذج للمستندات المالية Billing :

تتطلب عملية إعداد فواتير بتكاليف التصوير وإيصالات بتسلّم الصور المطلوبة وغيرها من الخدمات التي تتطلب إجراءات مالية ، ومن الضروري أن تكون المستندات المالية المستخدمة مكونة من أصل ونسخ ، فالنسخة الأولى ترفق بالمواد المرسلة للباحث والثانية تحفظ للمحاسبة . ونسخ الإيصالات بالنسبة للخدمات المدفوعة الأجر تستخدم في حصر الأموال التي يتم تسلمها ، والواقع أن مثل هذه الإجراءات المالية قد تختلف من مكان لآخر .

خ ــ سجلّات خدمة المعلومات الوثائقية Keeping Records an Reference Services :

تعتبر هذه السجلات أمراً حيوياً لخدمة رواد مستودع الوثائق ، كما تفيد في إعداد التقرير السنوي . فتسجيل أعداد مستخدمي الأرشيف ونوعياتهم والجهات التي يعملون بها أو ينتمون إليها ، وما إلى ذلك يتيح للمستودع أن يصمم برامج خدمة فعالة ، ويبين ما إذا كان ــ أي المستودع ــ يعكس (يمثل) الاحتياجات الفعلية أم لا ؟ كما أن تسجيل مجالات البحوث التي يعمل فيها الرواد ، يبين أي المجموعات تستخدم أكثر من غيرها ؟ ومن ثم يمكن اتخاذ قرار بتصويرها ميكروفلميا أو نشرها على أي نحو كان ؟ هل معينات البحث كافية أم تحتاج لمزيد من التفاصيل ؟ وبعض السجلات تبين عدد الاستفسارات التليفونية وعدد الطلبات البريدية ؟ ومن ثم يمكن اتخاذ قرار بإدراج هذا النوع من الخدمة (البريدية والتليفونية) في الخطة أم لا ؟ والواقع أن هذه السجلات إن كانت دقيقة ومفصلة فإنها تفيد في رسم كل جوانب سياسة المستودع .

ذ ــ الدليل الإرشادي للعاملين Staff manual :

من المفيد تطوير دليل إرشادي للعاملين نظراً لتعقد جوانب خدمة المعلومات وتعدد الجوانب القانونية والأخلاقية للعاملين في

وثائق
الصفحات : ميكروفلم : ____________ زيروكس : ____________ اسم الباحث :
المجموعة : الصندوق : الاضبارة (الملف) :

شكل توضيحي رقم (٥) الكارت الدال (البديل) أو (الشارة flag) الذي يحدد موضع المواد التي نزعت من مكانها بغرض التصوير . (من ورق مقوى) .

Commissioner of Indian Affairs to Chu-he-sa-da, January 12, 1883, *Letter Book 106, pp. 127-128,* Letters Sent, Land Division, Records of the Bureau of Indian Affairs, Record Group 75, National Archives Building.

Military Attaché Report, National Archives Building, Records of the War Department General and Special Staffs, Record Group 165, *File 2657-I-281/120.*

Dispatch No. 1988, James G. Bailey to Philander C. Knox, December 25, 1909, *Case 13367/54, Vol. 941,* Numerical File, National Archives Building, General Records of the Department of State, Record Group 59.

شكل توضيحي رقم (٦)
اقتراحات بالإشارة المرجعية للوثائق ــ من الأرشيف الوطني الأمريكي .

المستودع . كما أن هذا الدليل يفيد في تدريب الموظفين الجدد ويساعد على إحاطتهم بجوانب العمل . ويمكن أن يكون هذا الدليل على هيئة ملف متحرك الأوراق loose leaf ليسهل اضافة الجديد إليه وسحب الأوراق التي تضم أموراً استقر الرأي على إلغائها . وعادة ما يشتمل هذا الدليل على : تقرير عن سياسة إتاحة المجموعات وخدمات المعلومات ــ إجراءات استخدام المجموعات المقيدة . ــ النظم والاجراءات التي يتعين على الباحثين اتباعها ــ اجراءات تبادل الاعارة بين المكتبات ، وإعادة المواد لموضعها ، إجراءات طلب المواد واستخراجها retvieval ــ جداول الرسوم المالية ــ توزيع العمل ــ وصف العمل ... الخ .

(٣) العاملون

لمستودعات الوثائق ــ كما سبق أن اتضح ــ مهمة مزدوجة ، فهي من ناحية تحافظ على الوثائق والأوراق المخطوطة ، ومن ناحية أخرى تعمل على تيسيرها للباحثين وتقديمها لهم من خلال برنامج خدمات معلومات حي نابض ، ولا يمكن انجاز هذا البرنامج من غير هيئة عاملة في المستودع من المهنيين وأشباه المهنيين ، وموظفي الأعمال الكتابية والمتطوعين .

واختيار العاملين في المستودع يعتمد على أمور فيها الميزانية ، والأفراد المتقدمون وقوانين الخدمة المدنية ، وقبل كل ذلك حاجة المستودع للعاملين ، ويمكن للمستودع الذي لا يمتلك الامكانات أن ينتدب لبعض الوقت كفاءات مدربة مهنيا في مجال خدمة المعلومات الوثائقية ، يمتلكون إلى جانب خبراتهم المهنية مزايا شخصية وقدرة على الخدمة . وقد يعقد المستودع دورات تدريبية للعاملين به . ومن المتطلبات التي يجب توفرها في العاملين بمستودع الوثائق أن يكون متمرساً بطرق البحث وملما بأساليب الترتيب والوصف «التقنيات الأرشيفية» بالاضافة إلى إتقانه لأساليب الاتصال الشفهية والكتابية .

ومن الضروري بالإضافة إلى كل هذا ، أن يكون العاملون ملمين بموضوع المجموعات التي يعملون خلالها ، أي أن تكون للعاملين في الأرشيف خلفية موضوعية (تاريخ ، قانون ، إدارة ... الخ) وباستثناء المستودعات الصغيرة التي تخزن المجموعات البحثية الخاصة بها في قاعة البحث ، لابد من وجود اثنين من العاملين في خدمة المعلومات الوثائقية على الأقل مما يضمن وجود مسئول واحد على الأقل طوال الوقت في القاعة لخدمة الباحثين ، ولاعتبارات أمنية . ويمكن أن يشارك مسئولا خدمة المعلومات في هذه الحالة في القيام بالأعمال المتعلقة بالإعداد والأعمال الكتابية والمتعلقة بالسكرتارية وغير ذلك من الأعمال في حالة الضرورة ، وهذه الأعمال الأخرى التي قد يضطر مسئول خدمة المعلومات للقيام بها لن تخلو من فائدة . فعلى سبيل المثال يمكن أن يقوم مفهرس مجموعة الأوراق بخدمة معلومات لا تقدر بثمن ، كما أن معينات البحث ستكون أكثر فائدة وامتلاءً بالمعلومات إذا عمل واضعها في مجال خدمة المعلومات . وبالنسبة للمستودعات الكبيرة حيث تتباين الوظائف والمهام المنوطة بالعاملين ، يستحسن صياغة برنامج لتبادل الأعمال والمهام يتسم بالدقة والانضباط .

ويجب أن يشارك مسئولو خدمة المعلومات في التخطيط والإدارة . وقد يشاركون في إبداء وجهات النظر فيما يتعلق بالاحتياجات لتجميع بعض الوثائق والأوراق وفيما يتعلق بتصميم معينات البحث finding Aids وتطويرها . فالعاملون في مجال خدمة المعلومات هم الأقدر على نقل وجهات نظر الباحثين واهتماماتهم إلى مسئولي مستودع الوثائق .

ويجب تشجيع هيئة العاملين في الخدمة الوثائقية على المشاركة في المنظمات والجمعيات المهنية وقراءة الانتاج الفكري في مجال الوثائق والأرشيفات ، وقراءة الكتب والمراجع والدراسات المتعلقة بموضوع ومجال المجموعات الوثائقية .

وحتى المستودعات الصغيرة يمكن أن تشترك في الجمعيات والهيئات المهنية التي تركز على الجهود التعاونية والمشتركة والتي تعقد دورات عملية Practical ''how to'' sessions والاشتراك في هذه الدورات والمؤتمرات المهنية لا يزيد من مهارة العاملين في المستودع فحسب وإنما يعطيهم حافزاً وفهما لأهمية عملهم ويعطيهم الإحساس بالانتماء إلى جماعة مهنية ، وفي كل الأحوال يجب أن نعي أن العاملين في مجال خدمة المعلومات هم الخط الأول وهم الواجهة الأساسية للمستودع (دار الوثائق أو قسم الوثائق بالمكتبة) فكل الأعمال المتعلقة بالتزويد والإعداد والترتيب والوصف تصب في النهاية لتحقيق الغرض الأساسي وهو خدمة البحث ، وخدمة المعلومات .

الملاحق

ملحق (١) : قواعد لإتاحة وتيسير المواد البحثية في مستودعات (دور الوثائق وأقسام الوثائق بالمكتبات) الوثائق والأوراق التاريخية المخطوطة .

ملحق (٢) : تقرير عن تصوير واستنساخ الأوراق المخطوطة والوثائق لاستخدامها من قبل الباحثين .

ملحق رقم (١)
قواعد لإتاحة وتيسير المواد البحثية في مستودعات (دور الوثائق وأقسام الوثائق بالمكتبات) الوثائق، والأوراق التاريخية المخطوطة[٥]:

١ ــ إن مسئولية مستودع الوثائق والأوراق المخطوطة أن يتيح للباحثين استخدام مقتنياته بشروط واحدة (دون تمييز) ولأن تيسير استخدام المواد وإتاحتها يعتمد باديء ذي بدء على العلم بوجودها، لذا فإنها مسئولية المستودع أن يحيط الباحثين علماً بما هو موجود لديه. وقد يكون ذلك من خلال الفهرس البطاقي والسجلات، وغير ذلك من «معينات البحث» الموجودة داخل المستودع، ومن خلال الأدلة المنشورة ومن خلال تقارير يرسلها لفهرس المخطوطات الموحد NUCMC إن كان ذلك مناسباً، ومن خلال تقديم مساعدات للباحثين على قدم المساواة.

٢ ــ لحماية وتأمين الاستفادة الدائمة من مقتنياته، فإن الأرشيفيين قد يضعون شروطاً مختلفة (أ) التقليل من استخدام الأصول المهترئة والمتآكلة والمواد ذات القيمة غير العادية حتى يتيسر استنساخها أو تصويرها لتكون متاحة لكل الباحثين. (ب) يجب استخدام كل المواد وفقا لقواعد ونظم المستودع وتحت إشرافه، وعلى هيئة المستودع أن تنشر القواعد والنظم التي تحكم إتاحة المواد واستخدامها. (ج) قد يرفض الأرشيفي إتاحة استخدام المواد التي لم يتم إعدادها على أن يشمل هذا الحظر جميع الباحثين على سواء. (د) قد يرفض الأرشيفي تقديم المواد للباحث الذي أبدى عدم اهتمام بالوثائق والأوراق مما عرضها للتلف.

٣ ــ على كل مستودع أن ينشر نموذجاً مقترحاً للاقتباس والنقل يحيل للمستودع، ويشير للمواد التي تم الاقتباس منها، كما أن الاقتباس من صور توجد أصولها في مستودعات أخرى يعنى الاشارة إلى مكان الأصول.

٤ ــ يجب أن ينصح مسئولو المستودع الباحث أنه هو ــ أي الباحث ــ والناشر (الذي سيقوم بالنشر له) هما وحدهما اللذان يتحملان المسئولية في الحصول على إذن بالنشر بالنسبة للمواد غير المباح نشرها والتي ينطبق عليها قانون حق الملكية الفكرية.

٥ ــ لا يجب على مسئولي المستودع أن يمنحوا أية مزايا استثنائية في استخدام مقتنيات المستودع لأي شخص أو أشخاص أو أن يحجبوا عنه أو عنهم أياً من المجموعات إلّا إذا كان هذا وفقاً للقانون أو وفقاً لشروط المانح أو وفقاً لبنود عقد الشراء.

٦ ــ يجب أن يخبر مسئولو المستودع الباحث ــ إن كان ذلك ممكناً ــ بأن هناك أفراداً آخرين يستخدمون الأوراق نفسها لأغراض بحثية، ويمكن ذكر الأسماء في حالة طلبها.

٧ ــ مستودعات الوثائق والأوراق التاريخية منوط بها حفظ المواد الأرشيفية والمخطوطة وتيسيرها للباحثين بالسرعة الممكنة، وفي الوقت نفسه، لابد من الاعتراف بأن لكل مؤسسة أو هيئة عامة إجراءاتها لحماية مقتنياتها من التعدي على حق الخصوصية ولحماية المعلومات الشخصية المدونة في وثائقها وفقاً للقانون، كما أن لكل مانح الحق في أن يضع قيوداً منطقية على أوراقه لفترة معقولة من الزمن. (أ) من مسئولية المستودع أن يخبر الباحثين بالقيود والممنوعات المطبقة على مجموعات الأفراد والمجموعات الحكومية. (ب) يجب عدم تشجيع المانحين على وضع قيود غير معقولة على استخدام مجموعاتهم. (ج) يجب أن يطلب مسئول مستودع الوثائق تحديد فترة زمنية معينة تسرى القيود خلالها (أي تصبح المجموعة مباحة للجميع بعد هذه الفترة) (د) يجب أن يراجع مسئولو المستودع بشكل دوري الوثائق المقيدة ويقومها ويعمل على إتاحة استخدامها إذا كانت محاذير استخدامها لم تعد ذات جدوى ولم تعد ثمة خطورة على الأفراد أو المصالح القومية من استخدامها.

ملحق رقم (٢)
تقرير عن تصوير واستنساخ الأوراق المخطوطة والوثائق لاستخدامها من قبل الباحثين[٦]

١ ــ من مسئولية المكتبة أو الأرشيف أو مستودع الأوراق المخطوطة أن يساعد الباحثين بتصوير أو استنساخ أي مادة من مقتنياته لأغراض البحث وفقا لظروف خاصة، (أ) إذا كانت حالة الأصل (أصل الوثيقة أو الورقة) تسمح بذلك. (ب) إذا لم تكن هناك موانع قانونية أو من قبل المانح أو منصوص عليها في عقد الشراء تمنع التصوير.

٢ ــ رغبة في جعل المجموعات البحثية أكثر إتاحة وتيسيرا للباحثين، فإن التصوير الميكروفلمي للوثائق بشكل منتظم، وكذلك تصوير مجموعات الأوراق المخطوطة مع وجود أدلة مناسبة ــ يجب أن يحظى بالتشجيع.

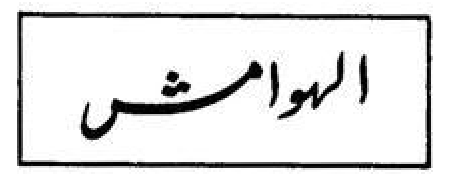
٣ ــ أسعار التصوير يحددها مستودع الوثائق ويجب أن تكون بأقل مبلغ مالي ممكن.

٤ ــ عند التصوير يجب مراعاة الآتي: (أ) عند السماح بالتصوير الكلي أو الجزئي لمجموعات المستودع لابد من التأكد من عدم وجود موانع وقيود على التصوير. (ب) قد يطلب المستودع موافقة المانح أو من باع المجموعة (موافقة كتابية). (ج) لابد من تحديد مصدر الأصول سواء أكانت المواد المصورة مجموعة أوراق مخطوطة أم مجموعة وثائق حكومية.

٥ ـــ يجب أن يخبر مسئولو المستودع الباحث بما يلي : (أ) متى ـــ وفي ظل أي ظروف ـــ يسمح بالاقتباس والنقل المباشر من الوثائق والأوراق المصورة ، ومتى يسمح بطبعها كاملة أو إعادة تصويرها ، وهل من الضروري الحصول على إذن من الهيئة أو المؤسسة أو الجهة التي تمتلك الأصول . (ب) وإذا كانت المواد المصورة مشمولة بقانون حق الملكية الفكرية فلابد من أن يحصل الباحث على موافقة صاحب الحق قبل نشرها كاملة (كون المادة مشمولة بقانون حق الملكية الفكرية لايمنع استخدامها كمصدر أو مرجع fair use) . (جـ) يتحمل الباحث المسئولية القانونية إزاء الحقوق الأدبية والفكرية التي نص عليها القانون العام ، وحقوق الملكية ، وقانون القذف والتشهير . (د) ليكن معلوماً أن حق الملكية الأدبية والفكرية ساري المفعول .

٦ ـــ قد لا يستطيع مستودع الوثائق أن يؤدي خدمات الاستنساخ والتصوير بالنسبة للطلبات البريدية التي تحتاج إلى معايير موضوعية لتخير المواد المطلوب تصويرها أو لأن أداء ذلك يستهلك وقتا كبيرا من العاملين في المستودع .

٧ ـــ في الحالات التي يطلب فيها الباحثون تصوير كميات كبيرة من الوثائق لتضمينها بحوثهم فإن على المسئولين في المستودع تفضيل الطريقة المناسبة للتصوير (مثال : الميكرفلم أو الأكزوركس Xerox) وأن يقدموا في فترة زمنية معقولة النسخ (الصور أو الفلم) المطلوبة .



(١) من وضع المترجم .

(٢) Holbert, S.E., p.1

(٣) قبل استخدام الوثائق والأوراق المقيدة الاستعمال يتحتم على الباحثين توقيع تعهد بالموافقة على شروط الاستخدام . مثال من الجمعية التاريخية بمنوسوتا .

(٤) Holbert, S. E., op. cit. p. 9 Col. 1

(٥) prepared the SAA committee on Reference, Access, & photoduplication & endorsed by the Council of the Society in Dec 1973. It was printed in American Archivist 37 (January 1974) : 153 - 154.

(٦) Prepared by the SAA Committee on Reference & Access Policies & approved by the Council of the Society in April 1976. It was printed in American Archivist 39 (July 1976) : 411.

المراجع

American Historical Association & organization & Organization of American Historians : Final Report of the joint ad Hoc Committee to investigate the charges against the Frank D. Roosevelt Library & related matters. Washington : 1970.

وهو مطبوع مهم يتناول مسألة الإباحة الكاملة للمواد التاريخية كما يتناول أخلاقيات النشر الوثائقي والعلاقات بين الأرشيفيين (العاملين في مجال الوثائق) والباحثين .

Barker, Carol M., & Fox, Matthew H. Classified files: THE YELLOWING PAGES, Areport on Scholars access to Government documents, New York: Twentieth Century Fund, 1972.

نظرة تاريخية على تصنيف الاعتبارات الأمنية ودراسة للعلاقة بين الباحثين والحكومة ، يشتمل هذا المطبوع على قانون حرية المعلومات الصادر في الولايات المتحدة سنة ١٩٦٦ كما يشتمل على الأمر التنفيذي للرئيس الأمريكي نكسون المتعلق باسقاط بعض الاعتبارات الأمنية declassification الصادر سنة ١٩٧٢ .

(*) Bordin, Ruth B., & Warner, Robert M. The Modern Manuscripts Library. New york : Scarecrow Press, 1966.

كتاب إرشادي مفيد وحسن التبويب موجه أساساً لخدمة مستودعات الأوراق التاريخية ، ويناقش عملية التجميع (من يقوم بها ؟ وماذا يجمع ؟ وكيف ؟) وإعداد وتجهيز معينات البحث finding aids والقضايا التى تثيرها الأوراق المعاصرة ، كما يناقش مسائل الإدارة والنشر والبحث وخدمة المعلومات ، ويضم الكتاب بيليوجرافيا قصيرة ، لكنها متخيرة تخيراً حسناً ـــ في نهاية كل فصل ، ويقدم أمثلة من معينات البحث ونماذج forms أدرجها في ملاحق الكتاب ، يمكن الحصول على هذا الكتاب من جمعية الأرشيفيين الأمريكية .

Brooks, Philip C. Research in Archives: The use of unpublished primary sources. Chicago: University of Chicago press, 1969.

كتاب كتبه أرشيفي للباحثين . ويقدم هذا الكتاب نظرة متوازنة عن مسئوليات والتزامات كل من الأرشيفيين والباحثين ، ويناقش الفصل الأخير المعنون «changing ways» القضايا الأرشيفية الحديثة مثل : كثرة الأوراق (انفجار الأوراق أو زيادتها زيادة مفرطة) إدارة الوثائق ، التاريخ المروى oral history ، الميكنة ، ويضم الكتاب ببليوجرافية مختارة موجهة للباحثين .

Burckel, Nicholas C. "The expanding role of a College or University Archives" Midwestern Archivist 1 (1976) : 9-15.

ترجمة عبد الرحمن الشيخ

وهو مقال ملفت للانتباه يقدم بعض الأفكار الجديدة لأرشيفات الكليات والجامعات والفقرة الخاصة بزيادة الاستخدام الجاري للمقتنيات وتلك المتعلقة بخدمة الباحث والجامعة ــ لها أهمية خاصة للعاملين في خدمة المعلومات .

Copyright office, Circular R 159, December 1976. "Duratiȯn of Copyright under the new law".

Copyright office, Circular R 99, December 1976. "Highlights of the new Copyright law".

Duckett, Keneth W. Modern Manuscripts: A Practical Manual for their management, Care, and use. Nashville: American Association for state & local history, 1975.

كتاب شامل ، يتابع التطورات في مجال الموضوع فيما عدا الفصل الخاص بحقوق التأليف ، ويغطي معظم أوجه العمل الأرشيفي ، والعمل في مجال الأوراق المخطوطة ، إلا أنه لا يتناول الوثائق الحكومية وقد أعد ليكون كتابا دراسيا لطلبة الوثائق والمكتبات وككتاب مرجعي للأرشيفين وأمناء الأوراق المخطوطة ، وهو كتاب شيق خاصة في فصليه : استخدام المجموعات والخدمة العامة، ويضم قراءات مختارة في نهاية كل فصل ، وفي آخره بيليوجرافية جيدة ومعجم مصطلحات وملاحق مفيدة .

Eleston, Charles B. "University Student Records: Research use, Privacy and rights & Buckley law." Midewestern Archivist 1 (1976): 16-32.

Evans, Fran B., Comp. Modern Archives & Manuscripts : A select bibliography n.p.: 1975.

ببليوجرافيا في ٢٠٩ صفحة بها كشافان بالموضوع والمؤلف ، وهو مرجع نفيس يضم أهم المعلومات في هذا المجال ، ويغطي مساحة واسعة من الموضوعات التي يتناولها فقد رتب ٣٣ موضوعا تحت أربعة رؤوس أساسية ، ويشتمل كل موضوع على قسم بعنوان «القراءات الأساسية» .

Jordan, Philip. "The Scholar & the Archivist - Apartnevship. American Archivist 31 (1968) : 57 - 65.

Kahn, Herman. "The long range implications for Historians & Archivist of the charges against the Franklin Roosvelt library" American Archivist 34 (1971) : 265 - 275.

Kane, Lucile M. A Guide to the Care and Administration of Manuscripts. 24 ed. Nashville : American Association for State & local Histroy, 1966.

دليل صغير ، ظل لفترة طويلة عملاً أساسياً في مجال إعداد المخطوطات . يتناول الضبط الأوّلي ، وتنظيم المجموعات ، والخزن ، والتقويم والحفظ ، ويضم قائمة ببليوجرافية .

Polienberg, Richard. "The Roosevel library Case: A review article "American Archivist 34 (1971) : 277 - 284.

Reitman, Alana "Freedom of Information & Privacy: the Civil Libertarian's Dilemma." American Archivist 38 (1975) : 501-508.

* Rundell, Walter, Jr. In pursuit of American histroy: Research & training in the United states. Norman: University of oklahoma Press, 1970.

بحث شيق كتب من وجهة نظر أحد الباحثين عن الوثائق والأرشيفين ، وبالرغم من أن له بعض الآراء التي قد تصادم آراء الأرشيفيين ، إلا أنه متعاطف مع الاهتمامات الأرشيفية ، وهو مفيد في خدمة المعلومات الوثائقية . يضم ببليوجرافيا .

* Schellenberg, Theodore R. The management of archives. New york: Columbia University Press, 1965.

عمل أساسي يتناول تطوير المبادىء والقواعد والتقنيات الأرشيفية . وقد تطورت الوسائل التقنية كثيراً منذ نشر هذا الكتاب ، وقد ركز على الوثائق الحكومية ، ومع ذلك فقد ناقش مجموعات الأوراق المخطوطة ، ووجه كتابه للأرشيفيين وأمناء الأوراق المخطوطة وأمناء المكتبات .

* Schellenberg, Theodore R. Modern Archives: Principles & Techniques. Chicagor: University of chicago Press, 1956.

مسح ومناقشة لتطوير وإدارة الأرشيفات العامة في الولايات المتحدة وأماكن أخرى . يضم قسماً عن إدارة الوثائق ، وبه فصول عن الشروط الأساسية التي يجب توفرها في إدارة الأرشيفات وممارسات حفظ الوثائق والوصف وبرامج النشر وخدمات المعلومات الوثائقية . وبالرغم من أن تقنيات المهنة قد تطورت منذ سنة ١٩٥٦ ، إلا أنه ما زال مرجعاً أساسياً في إدارة الوثائق الحكومية .

* Society of American Archivists Archival Secuirty Bibliography, Chicago: 1976.

* Society of American Archivists, Abasic Glossary for Archivists, Manuscript Curators, & Records Managers.

* Society of American Archivists, College & University Archives Committee. Forms Manual n.p.: 1973.

تجميع لثلاثمائة وخمسة من عينات النماذج forms التي تستخدمها المؤسسات التعليمية في الولايات المتحدة وكندا .

Stewart, Virginia R. "problems of Confidentiality in the Adiminstration of Personal Case Records" American Archivist 37 (1974): 387-39&.

United States Code, Title 17, "Copyrights" go statutes at large 2541-2602.

United States library of Congress. "Copyright revision bill becomes law, most provisions take effect January 1, 1978." LC information Bulletin 35 (Nov. 19, 1976): 716-718.

مختصر شديد لقانون الملكية الفكرية الصادر ١٩٧٦ في الولايات المتحدة .

United States House of Representatives, General Revision of the Copyright Law, Title 17 of the United State Code, 94th Cong., 2 sess., Report 94-1733.

تقرير المؤتمر .

United States Senate, Copyright law Revision, 94th Cong., 1 sess., Report 94-473.

رُؤوس الموضوعات العربيّة المقلوبة أفضل من الرُؤوس الطبيعيَة

قاسم يوسف

١ ـ تمهيد

ثمة جدل قائم منذ زمن بين المكتبيين العرب ، بشأن قلب أو عدم قلب رؤوس الموضوعات العربية المستخدمة في فهارس المكتبات . ولقد انقسم المكتبيون العرب في هذا الشأن إلى فريقين .

الفريق الأول ، ويفضل استخدام الرؤوس ذات الصياغة الطبيعية ، مثل :

الإدارة المدرسية

الإخراج السينمائي

مجلة عالم الكتب

تربية الدواجن

أما الفريق الثاني ، فيفضل استخدام الرؤوس المقلوبة ، الناجمة عن تقديم الكلمات الأكثر أهمية على الكلمات الأقل منها أهمية ، مثل :

المدارس ـ إدارة

السينما ـ إخراج

عالم الكتب (مجلة)

الأوبك (منظمة)

ومع احترامي وتقديري لمن يفضل الرؤوس العربية الطبيعية ، إلا أنني أرى أن الرؤوس المقلوبة أفضل وأكثر نفعاً . وينبغي عدم التشبث بما هو طبيعي لمجرد أنه طبيعي ، وإنما ينبغي إخضاع الشيء الطبيعي والشيء غير الطبيعي لعملية مقارنة أو تقويم موضوعية ، ومن ثم اختيار الشيء الذي تثبت عملية المقارنة أو التقويم الموضوعية أنه الأفضل . ولو كان الشيء الطبيعي هو الأفضل دائماً ، فلماذا إذاً ترك الإنسان الكهوف الطبيعية ليسكن في البيوت والعمارات ؟ ولماذا أقلع عن ارتداء جلود الحيوانات الطبيعية ليرتدي الملابس المصنوعة من النسيج ؟

٢ ـ التقديم والتأخير في المجالات المختلفة

إن بعضاً ممن يرفضون مبدأ استخدام القلب أو التقديم والتأخير في رؤوس موضوعات الفهارس العربية ، يتجاهلون أو هم يغضُّون الطرف ـ على ما يبدو ـ عن حقيقة مهمة . وهي أن التقديم والتأخير مستخدم في مجالات عديدة ومختلفة ، ومن هذه المجالات :

أ ـ القرآن الكريم : فقد استخدم تقديم الكلمات وتأخيرها في القرآن الكريم في مواضع عديدة ، ولأغراض شتى ، وقد تناولت ذلك مؤلفات كثيرة .

ب ـ الحياة اليومية : فنحن في حياتنا اليومية العادية ، نقدم العالم على الجاهل ، ونقدم كبير السن على الصغير . كما نقدم الأعلى رتبة على الأقل منه رتبة .

جـ ـ البلاغة : حيث يعتبر «التقديم والتأخير» من أهم موضوعات البلاغة العربية . وثمة عدة دواع وأغراض بلاغية ـ لا مجال للخوض فيها ـ توجب التقديم والتأخير في اللغة العربية .

د ـ قواعد النحو العربي : فهناك العديد من الحالات ، التي يرى فيها النحاة العرب ضرورة أو وجوب أن يتقدم أحد أركان الجملة على ركن آخر فيها . وثمة حالات أخرى ، يرى هؤلاء النحاة فيها إمكانية أو جواز تقديم ركن في الجملة على ركن آخر .

هـ ـ عناوين الكتب : فمن يستعرض مجموعة من عناوين الكتب ويتمعن فيها ، يلاحظ ـ في أحيان كثيرة ـ أن نسبة من هذه العناوين ـ لا بأس بها ـ تتضمن كلمات قدمت على غيرها نظراً لأهميتها . كما يتضح من عناوين الكتب الفعلية التالية :

المكتبات المدرسية : تنظيمها وطرق إدارتها

الرياضيات : مناهجها وأصول تدريسها

الهوكي : تاريخ ـ تدريب ـ تحكيم

الصحافة : تاريخاً وتطوراً وفناً ومسؤوليةً

الموظف العام : حقوقه وواجباته

ابن خلدون : فلسفته الاجتماعية

و ـــ عناوين مقالات الدوريات : فعناوين مقالات الدوريات ، تتضمن في كثير من الأحيان ، تقديماً للكلمات الأكثر أهمية من سواها . ومن أمثلة تلك العناوين ، نذكر ما يلي :

النفط : استهلاكه وعائداته

البحث العلمي : أهميته وطرقه

الدفتريا : المرض الخانق للأطفال

دبي : الإمارة العربية في الخليج العربي

البنوك : نشأتها ، تطورها ، أنواعها ، فروعها

ز ـــ كشافات أنظمة التصنيف : فهذه الكشافات ، تقدم ـــ عادة ـــ الموضوع على جوانبه . وهذا يتضح من المثالين التاليين ، المأخوذين من كشاف تصنيف ديوي :

ـــ دم
  أمراض
  أوعية
  بنوك
  ضغط
  فسيولوجيا
  نقل
  جراحة
  علاج

ـــ دماغ
  أمراض
  جراحة

ح ـــ كشافات الكتب التحليلية : وفي هذه الكشافات تدرج الموضوعات ، بحيث تكون متقدمة على جوانبها التي عولجت من خلالها . ومن أحد كتب الكيمياء المكشفة تحليلياً ، نذكر المثالين التاليين لتوضيح ذلك :

ـــ أكسجين
  استعمالاته
  تحضيره
  مركباته
  من التمثيل الضوئي
  وجوده

ـــ الحديد
  تآكله

وبما أن التقديم والتأخير ، مستخدم في المجالات السالفة الذكر وغيرها ، فلماذا لا يستخدم في رؤوس موضوعات الفهارس العربية ؟ لاسيما وأن لذلك الاستخدام ، فوائد وإيجابيات سيأتي ذكرها فيما بعد ، ضمن هذا المقال .

٣ ـــ التقديم والتأخير في رؤوس الموضوعات العربية

ينبغي على من يريد استخدام التقديم والتأخير (القلب) في رؤوس الموضوعات العربية ، أن يعرف ويعي تماماً الحالات التي يتم فيها هذا التقديم والتأخير . وهذه الحالات هي :

أ ـــ عندما يكون الموضوع المركب مكوناً من موضوع ، ووجهة نظر ، عولج الموضوع من زاويتها . وفي هذه الحالة ، يقدم الموضوع ـــ لأنه أكثر أهمية ـــ على وجهة النظر ، وتوضع بينهما شرطة «ـــ» ، كما في رؤوس الموضوعات التالية :

محمد (صلى الله عليه وسلم) ـــ أخلاق

الأعصاب ـــ تشريح

البترول ـــ أسعار

الطائرات ـــ صيانة

المعادن ـــ تنقيب

الإعلام ـــ وسائل

المكتبات ـــ أثاث

ب ـــ عندما يكون الموضوع المركب مكوناً من لفظ استهلالي عام ، واسم مخصص يدل وحده على الموضوع دلالة جزئية . وفي هذه الحالة ، يقدم الاسم المخصص ـــ لأنه أكثر أهمية ـــ على اللفظ الاستهلالي العام ، الذي يوضع بين قوسين هلاليين ، لتوضيح الاسم المخصص ، وليصبح الرأس دالاً على الموضوع دلالة كاملة ، كما في الأمثلة التالية :

السكري (مرض)

أبو ظبي (إمارة)

حطين (معركة)

اليرموك (معركة)

اليرموك (نهر)

تغلب (قبيلة)

ألف ليلة وليلة (قصص)

جـ ـــ عندما يكون الموضوع عبارة عن اسم شخص ، يتضمن مقطعاً متأخراً ، يدل وحده على الشخص أكثر من المقاطع الأخرى . وفي هذه الحالة ، يقدم ذلك المقطع المتأخر ـــ لأنه أكثر أهمية ـــ على مقاطع الاسم الأخرى ، التي تُسبق بفاصلة « ، » .
مثل : السياب ، بدر شاكر

الأفغاني ، جمال الدين
دحبور ، صادق
الإصطخري ، أبو إسحق
الخطيب ، فوزي
الخطيب ، محمود
نوبل ، ألفرد
شو ، جورج برنارد

٤ ــ فوائد الرؤوس المقلوبة بالنسبة لمستخدمي الفهرس

إذا تمعنا النظر والتفكير في رؤوس الموضوعات العربية ، فإننا ــ بلا شك ــ سندرك وبسهولة الفوائد التي ستعود على القارىء ، الذي يبحث في فهرس مداخله (رؤوسه) الموضوعية مقلوبة . ويمكن تلخيص هذه الفوائد في النقطتين التاليتين :

أ ــ تمكن القارىء الذي يبحث في الفهرس من العثور على الموضوع الذي يريده بسرعة ، وذلك لأن المداخل الموضوعية المقلوبة تبدأ بالكلمات الأكثر أهمية من سواها ، وهي التي يفكر فيها القارىء أكثر من غيرها ، ويبحث عن الموضوعات في الفهرس تحتها عادة ، قبل أن يبحث تحت غيرها من الكلمات .

ب ــ عثور مستخدم الفهرس على أوجه أو جوانب الموضوع الواحد المختلفة متجمعة معاً ــ بعد الموضوع مباشرة ــ دون أن تفصل بعضها عن بعض مداخلُ موضوعية أخرى . والفضل في ذلك يرجع إلى تقديم الموضوع على وجهة النظر ، وذلك ضمن رأس الموضوع المقلوب ، كما يتضح من رؤوس الموضوعات التالية :

ــ الحبوب
الحبوب ــ استهلاك
الحبوب ــ أسعار
الحبوب ــ آفات
الحبوب ــ اقتصاديات
الحبوب ــ إنتاج
الحبوب ــ تجارة
الحبوب ــ تسويق
الحبوب ــ حفظ وتخزين
الحبوب ــ زراعة

ــ المساجد
المساجد ــ أبواب
المساجد ــ إنارة
المساجد ــ تاريخ
المساجد ــ ترميم
المساجد ــ زخرفة
المساجد ــ عقود
المساجد ــ عمارة
المساجد ــ قباب
المساجد ــ مآذن
المساجد ــ محاريب
المساجد ــ منابر

ولقارىء هذا المقال أن يتخيل مدى تباعد أو تفرق جوانب الموضوع الواحد المختلفة في الفهرس ، وذلك فيما لو صيغت رؤوس الموضوعات السابقة صياغة طبيعية كما يلي :

ــ استهلاك الحبوب
أسعار الحبوب
آفات الحبوب ... إلخ

ــ أبواب المساجد
إنارة المساجد
تاريخ المساجد
ترميم المساجد ... إلخ

٥ ــ إيجابيات الرؤوس المقلوبة بالنسبة للمكتبة

ثمة أمور إيجابية ، لا بد وأن تحققها رؤوس الموضوعات المقلوبة ، وذلك للمكتبات التي تستخدم في فهارسها هذه الرؤوس . وهذه الأمور الإيجابية ثلاثة ، وهي :

أ ــ تقليل عدد إحالات «انظر» في الفهرس . فاستخدام الرؤوس المقلوبة ، يمكن مفهرسي المكتبة من إعداد إحالات عامة ، تحيل القارىء من الألفاظ التي تم تأخيرها إلى الرؤوس المقلوبة . وعدد هذه الإحالات العامة أقل بكثير من عدد إحالات «انظر المخصصة» التي كان ينبغي إعدادها ، فيما لو كانت المكتبة تستخدم الرؤوس الطبيعية ، وذلك لإحالة القارىء من الصيغ المقلوبة إلى الصيغ الطبيعية لرؤوس الموضوعات .

ولتوضيح ما تقدم نذكر المثالين التاليين :

●مثال (١) ــ لنفترض أن قسم الفهرسة في مكتبة ما ، قام بفهرسة عشرين كتاباً ، يتناول كل واحد منها التهابات جزء من أجزاء الجسم . ففي هذه الحالة إذا كانت هذه المكتبة تستخدم الرؤوس المقلوبة ، فإنه يكفيها إعداد الإحالة العامة التالية :

الالتهابات

إذا كنت تبحث عن عمل يتناول التهابات جزء من أجزاء الجسم ، فانظر اسم ذلك الجزء متبوعاً بالتهابات ، مثل :

العيون ــ التهابات	المعدة ــ التهابات
الأذن ــ التهابات	المريء ــ التهابات

أما إذا كانت هذه المكتبة تستخدم رؤوساً طبيعية ، فإنه يتوجب عليها ــ والحالة هذه ــ أن تقوم بإعداد عشرين إحالة «انظر مخصصة» ، كل واحدة منها تحيل القارىء من صيغة مقلوبة واحدة إلى رأس طبيعي واحد محدد ، كما يلي :

الأذن ــ التهابات	انظر	التهابات الأذن
الأمعاء ــ التهابات	انظر	التهابات الأمعاء
الأنف ــ التهابات	انظر	التهابات الأنف
الجلد ــ التهابات	انظر	التهابات الجلد ... إلخ .

●مثال (٢) ــ لنفترض أن مكتبة ما قامت بفهرسة ثلاثين كتاباً ، يتناول كل كتاب منها معركة تُعرف باسمها المخصص . فحينئذٍ ، إذا كانت هذه المكتبة تستخدم الرؤوس المقلوبة ، فإنه يكفي تلك المكتبة أن تعد الإحالة العامة التالية في فهرسها :

معركة ...

إذا كنت تبحث عن عمل يتناول معركة تُعرف باسمها الخاص ، فانظر ذلك الاسم متبوعاً بمعركة ، مثل :

القادسية (معركة)

العلمين (معركة)

ولكن ، إذا كانت هذه المكتبة تستخدم في فهارسها الرؤوس الطبيعية ، فإنه ينبغي عليها ــ بسبب ذلك ــ أن تقوم بإعداد ثلاثين إحالة «انظر مخصصة» كما يلي :

ذات الصواري (معركة)	انظر	معركة ذات الصواري
صفين (معركة)	انظر	معركة صفين
الطرف الأغر (معركة)	انظر	معركة الطرف الأغر
عين جالوت (معركة)	انظر	معركة عين جالوت ... الخ .

ب ــ تقليل عدد أو حجم إحالات «انظر أيضاً الموضوعية المخصصة» . فاستخدام الرؤوس المقلوبة ، يمكن المكتبة التي تربط مداخلها الموضوعية المتصلة بواسطة إحالات «انظر أيضاً المخصصة» من تقليل عدد أو حجم هذه الإحالات في الفهرس . وذلك لأنه لا مبرر لإحالة القارىء من الموضوع إلى جوانبه المختلفة ، ما دام أن هذه الجوانب متجمعة بعد الموضوع مباشرة بفضل رؤوس الموضوعات المقلوبة .

ولتوضيح ما تقدم ، لنفترض أن هناك مكتبة تستخدم الرؤوس الطبيعية ، وتستخدم إحالات «انظر أيضاً الموضوعية المخصصة» ، وتوفرت فيها مواد عن المرأة وحجابها ، وحقوقها ومشكلاتها ، وتعليمها . ففي هذه الحالة يجب على تلك المكتبة أن تُعد في فهرسها ، الإحالة التالية :

المرأة

انظر أيضاً

تعليم المرأة	حقوق المرأة
حجاب المرأة	مشكلات المرأة

وطبعاً ، لا حاجة لإعداد مثل تلك الإحالة السابقة في فهرس مكتبة مماثلة تستخدم الرؤوس المقلوبة . وذلك لأن تلك الجوانب المختلفة لموضوع المرأة ستكون متجمعة ــ في فهرس تلك المكتبة ــ بعد موضوع المرأة العام مباشرة ، من خلال الرؤوس المقلوبة ، كما يلي :

المرأة

المرأة ــ تعليم

المرأة ــ حجاب

المرأة ــ حقوق

المرأة ــ مشكلات

جـ ــ تعويض عيب أو نقص مهم قد يكون موجوداً في الكشاف المصنف ، الذي قد تعده للمداخل الموضوعية في فهرسها المكتبة التي لا تستخدم إحالات «انظر أيضاً الموضوعية المخصصة» . وهذا الكشاف المصنف ، يمكن استخدامه ــ كبديل لإحالات انظر أيضاً المخصصة ــ لتجميع المداخل الموضوعية التي بينها رابطة منطقية معاً .

ويتشكل الكشاف المذكور ، من رموز التصنيف المرتبة تصاعدياً ، والمداخل الموضوعية المقابلة لتلك الرموز .

وفي بعض الأحيان ، قد ينشأ في ذلك الكشاف المصنف عيب ، يتمثل في بعثرة أوجه أو جوانب الموضوع الواحد المختلفة تحت رموز تصنيف متباعدة . وهنا تبرز أهمية رؤوس الموضوعات المقلوبة ، التي تقوم بتجميع جوانب الموضوع الواحد المختلفة ، في المكان الهجائي نفسه ، داخل الفهرس نفسه ، معوضة التشتت الذي قد يحصل لجوانب الموضوع الواحد في الكشاف المصنف . ولتوضيح ذلك نذكر المثالين التاليين :

● مثال (١) ــ إذا كانت ثمة مكتبة تستخدم الرؤوس المقلوبة وتربط مداخلها الموضوعية المتصلة بواسطة كشاف مصنف ، وتوفرت فيها مواد تتناول موضوعات : هندسة الكمبيوتر ، وألعاب الكمبيوتر ، وبرمجة الكمبيوتر ، ورياضيات الكمبيوتر ، وكانت هذه المكتبة تستخدم نظام تصنيف ديوي ، فسوف تتفرق في هذه الحالة ،

جوانب موضوع الكمبيوتر السالفة الذكر ، وذلك في كشاف هذه المكتبة المصنف ، تحت رموز تصنيف متباعدة كما يلي :

٠٠١,٦٤	الكمبيوتر ــ برمجة
٥١٩,٤	الكمبيوتر ــ رياضيات
٦٢١,٣٨١٩	الكمبيوتر ــ هندسة
٧٩٤	الكمبيوتر ــ ألعاب

ولكن جوانب موضوع الكمبيوتر ، التي تفرقت في الكشاف المصنف تحت رموز تصنيف متباعدة ، ستكون متجمعة «معاً» في الفهرس نفسه ، بفضل رؤوس الموضوعات المقلوبة ، كما يلي :

الكمبيوتر ــ ألعاب
الكمبيوتر ــ برمجة
الكمبيوتر ــ رياضيات
الكمبيوتر ــ هندسة

ولو كانت تلك المكتبة تستخدم الرؤوس الطبيعية ، مثل : ألعاب الكمبيوتر ، وبرمجة الكمبيوتر ... إلخ ، لتشتتت جوانب موضوع الكمبيوتر ــ المذكورة آنفاً ــ في الفهرس ، بالإضافة إلى تشتتها في الكشاف المصنف . ومن ثم لن يجدها القارىء أو الباحث متجمعة أبداً .

● مثال (٢) ــ لنفترض أن هناك مكتبة تستخدم الرؤوس المقلوبة ، و تستخدم لربط موضوعاتها المتصلة كشافاً مصنفاً ، وتستخدم نظام تصنيف مكتبة الكونجرس ، وتوفرت فيها أوعية معلومات تتناول : رعاية الأطفال ، وكتب الأطفال ، وتشريح الأطفال ، وأمراض الأطفال المزمنة . ففي هذه الحالة ، ستتفرق جوانب موضوع الأطفال ــ الآنفة الذكر ــ داخل كشاف هذه المكتبة المصنف ، تحت رموز تصنيف متباعدة كما يلي :

HQ 769	الأطفال ــ رعاية
QM 24.5	الأطفال ــ تشريح
RJ 380	الأطفال ــ أمراض مزمنة
Z 1037	الأطفال ــ كتب

ولكن القارىء ، إذا بحث في الفهرس نفسه ، فسيجد أن جوانب موضوع الأطفال المذكورة سابقاً قد تجمعت معاً ، بفضل الرؤوس المقلوبة ، كما يلي :

الأطفال ــ أمراض مزمنة
الأطفال ــ تشريح
الأطفال ــ رعاية
الأطفال ــ كتب

ولو كانت رؤوس موضوعات الفهرس طبيعية الصياغة ، مثل : رعاية الأطفال ، وأمراض الأطفال المزمنة ، لتفرقت جوانب موضوع الأطفال السابقة في الفهرس ، إضافة إلى تفرقها في الكشاف المصنف .

٦ ــ خاتمة

وبعد أن ظهرت لنا واضحة جلية فوائد وإيجابيات رؤوس الموضوعات المقلوبة ، فإنني أوصي بضرورة استخدامها في فهارس المكتبات العربية على نطاق واسع ، بحيث يكون استخدام الرؤوس المقلوبة هو القاعدة الأساسية ، وقلتُ : «القاعدة الأساسية» ؛ لأن الصياغة الطبيعية تبدأ في أغلب الأحوال بكلمات قليلة الأهمية ، ينبغي تأخيرها وتقديم الكلمات الأكثر منها أهمية عليها . ومن أمثلة تلك الصياغات الطبيعية الكثيرة ، التي تبدأ بكلمات قليلة الأهمية ما يلي :

أسباب الحروب
أنواع المكتبات
أسعار البترول
انتقال الحرارة
مشكلات المرأة
إبراهيم عبد القادر المازني
بابلو بيكاسو
جبل أحد
نهر دجلة

وأما استخدام الرؤوس الطبيعية ، فإنني أرى أن يكون مقتصراً على الحالات الاستثنائية القليلة نسبياً ، التي تكون فيها الصياغة الطبيعية خالية من أية كلمات مهمة متأخرة ينبغي تقديمها ، كما في الأمثلة التالية :

الأقمار الصناعية
الأمراض المتوطنة
حافظ إبراهيم
مصطفى كامل
الجبل الأخضر (ليبيا)
الجبل الأخضر (سلطنة عمان)
النهر الأصفر

المصادر الرئيسية

ـــ ديوي ، ملفيل . تصنيف ديوي العشري : الطبعة العربية الأولى للطبعة الحادية عشرة المختصرة : الجداول والكشاف التحليلي/[ترجمة وتعديل] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ؛ تحرير محمود الأخرس .ـــ الكويت : شركة المكتبات الكويتية ، ١٩٨٤ .

ـــ محمد فتحي عبد الهادي . الفهرسة الموضوعية : دراسة في رؤوس الموضوعات العربية .ـــ ط ٢ ، مزيدة ومنقحة .ـــ جدة : دار الشروق ، ١٩٨١ .

ـــ محمد فتحي عبد الهادي . المدخل إلى علم الفهرسة .ـــ ط ٣ ، مراجعة ومزيدة ومعدلة .ـــ [القاهرة] : مكتبة غريب ، ١٩٨٢ .

Library of Congress. Subject Catalogin Division. Library of Congress Classification: [Schedules].__ Washington [,D.C.]: The Library, 1924. - __ 1985.

تصنيف وترفيف الدوريات في المكتبات الأكاديمية في نيجيريا

إعداد

دوكن فاديرن

ترجمة

صالح محمود القاسم

مكتبة جامعة اليرموك - إربد - الأردن

ملخص

هذه الدراسة أجريت على المكتبات الأكاديمية في نيجيريا للتحقق من الطرق الأكثر فعالية في تنظيم الدوريات على الرفوف في المكتبات الأكاديمية . تحليل إجابات الاستبيان عن هذه المكتبات أظهر أن استعمال أرقام كتر مع أرقام نظام تصنيف موضوعي مفضلة على أية طريقة أخرى متبعة في تنظيم الدوريات . فمثل هذا النظام يساعد على تحديد مكان الدورية على الرفوف بدقة ، كما أنه يسهل على الموظفين قراءة الرفوف [القراءة الرفية اليومية] ، ويضاعف من استرجاع المعلومات في المكتبات من قبل المستفيدين .

تعتبر الدوريات ـــ بشكل عام ـــ جزءاً مهماً جداً ضمن مجموعة مقتنيات المكتبة ، ولها النصيب الأكبر دائماً في ميزانية المكتبة ، وتكمن أهميتها ـــ في الحقيقة ـــ في أنها تزوّدنا بالمعلومات الموجزة والحديثة عن أحدث التطورات والأحداث . لذلك يجب أن توضع عوامل قوية تساعد على استرجاع المعلومات التي تحتويها هذه الدوريات كي نحقق أكبر فائدة للمستفيدين من المكتبات .

وعندما تصل المجلة إلى المكتبة الأكاديمية ، فإنها تجهز من قبل قسم الدوريات عادة قبل وضعها على الرفوف . وإذا كانت المجلة عنواناً جديداً لم يسبق للمكتبة الاشتراك به ، فإنها سوف تفهرس وتصنف ، وتسجل في السجلات : فهرس الدوريات ، السجل البطاقي للدوريات CARD INDEX ، حيث تضاف بطاقة فهرسة لفهرس الدوريات ، أما السجل البطاقي فتسجل عليه الأعداد التي تصل من الدورية أولاً بأول .

هناك عدد من الطرق المتبعة في تصنيف وتنظيم الدوريات على الرفوف ، ومن هذه الطرق نذكر :

١ ـــ ترتب المجلات هجائياً بالعنوان على الرفوف .

٢ ـــ تصنف المجلات، وترتب على الرفوف حسب رقم التصنيف .

٣ ـــ تصنف المجلات إلى موضوعات ، وتحت رقم التصنيف ترتب هجائياً بالعنوان .

٤ ــ أو ترتب تبعاً لأرقام كتر ضمن نظام تصنيف موضوعي .

هذه الدراسة أجريت على المكتبات الأكاديمية في نيجيريا ، للتحقق من أي الطرق أكثر استعمالاً ، ولماذا يفضل المكتبيون استعمالها .

الطريقة الأولى والثانية لم تدخل في الاستبيان لأنه ثبت بوضوح سلبيات استخدامها ، على الرغم من أنه قد يحدث جدلاً لصالح تنظيم الدوريات هجائياً على الرفوف ، وبخاصة للقراء الذين ينزعون للبحث عن المجلات بواسطة العنوان . إلا أن استعمال مثل هذه الطريقة في مكتبة تضم عدة آلاف من العناوين يستهلك وقتاً أكبر من ذلك المستعمل في طريقة النظام المصنف ، فالقراء مضطرون دائماً لتضييع أوقاتهم وهم يبحثون عن العنوان في حالة طريقة النظام الهجائي . إضافة إلى ذلك فإن المجلات التي تحمل الموضوع نفسه ستكون مبعثرة بسبب الترتيب الهجائي للعناوين . أما في النظام المصنف فسيكون للمجلة مكان محدد بدقة على الرفوف . والجدل المفيد هو : أي الأنظمة يكفي لاستيعاب مضمون الدوريات ، خصوصاً وأن الدوريات ــ عادة ــ تشتمل على معلومات متباينة ، ومحاولة تصنيف الدوريات بحسب محتوياتها هدر للوقت إذا لم يكن من وراء ذلك جدوى حقيقية .

أما الطريقة الثالثة والرابعة : وهي الترتيب الهجائي بالعنوان ضمن نظام تصنيف موضوعي ، وطريقة استعمال أرقام كتر ضمن نظام تصنيف موضوعي ، فلهما ــ أيضاً ــ سلبياتهما وإيجابياتهما ، وعلى أية حال ، كلا النظامين استخدامهما شائع في المكتبات الأكاديمية . ولتحديد أي النظامين أسهل لاسترجاع الدوريات اعتمدت هذه الدراسة على الممارسات الفعلية المتبعة في المكتبات الأكاديمية في نيجيريا .

وزّع الاستبيان على خمس وعشرين مكتبة أكاديمية ، استجابت فقط تسع عشرة مكتبة ، أي ما نسبته ٧٦٪ من مجموع المكتبات الأكاديمية المرسل إليها الاستبيان .

بعد تحليل الإجابات ظهر أن طريقة تنظيم الدوريات على الرفوف باستعمال أرقام كتر ضمن نظام تصنيف موضوعي مفضلة على طريقة تنظيم الدوريات هجائياً بالعنوان ضمن نظام تصنيف موضوعي .

إحدى عشرة مكتبة من التسع عشرة ، أي ما نسبته ٥٧,٨٩٪ كانت تستخدم أرقام كتر ، وفي الإجابة على السؤال الثاني ، وافقت الإحدى عشرة مكتبة على أن استعمال أرقام كتر لا يمنع من استرجاع المجلات . وهناك ست مكتبات من ثمان تستخدم طريقة الترتيب الهجائي للعناوين ضمن نظام تصنيف موضوعي أفادت أن المشكلة الرئيسية التي تعاني منها تظهر نتيجة عدم الاهتمام بمتابعة الترتيب الهجائي [القراءة الرفية للعناوين يومياً] .

إضافة إلى ذلك قمت بزيارة مكتبتين أكاديميتين ، هما مكتبة جامعة إبادان ، ومكتبة جامعة ايف ايل . مكتبة جامعة ابادان ترتب المجلات على الرفوف هجائياً بالعنوان ضمن نظام تصنيف موضوعي ، وتثبت على أعلى كل رف دليلاً إرشادياً ، تظهر عليه أرقام تصنف المجلات الموضوعة مثال :

QB —	QC1;	QC1;	QC1
B	A	B	J

وتكون عناوين المجلات هذه على قائمة مرتبة هجائياً لتوضح المكان الفعلي لكل مجلة على الرف كما في المثال التالي :

QC	PHYSICS
BOUNDARY	Layer meteorology
PROOKHAVEN	national Laboratory
CALPHAD	
CANADIAN	journal of physics
CLIMATIC	Change
COMPUTER	Physics communications
CONTEMPORARY	Physics
FLUIDS	Dynamics
GENERAL	Relativiy and gravitation
HELVETICA	Physica acta
INDIAN	journal of physics

لهذا النظام مميزات منها :

١ ــ يوفر الوقت على المفهرسين ، فإن عليهم ــ فقط ــ تحديد موضوع المجلة ، وإعطائه رقم التصنيف .

٢ ــ يمكّن من ترتيب الدوريات من وقت لآخر ترتيباً هجائياً دقيقاً كلما تطلب الأمر ذلك .

٣ ــ لا يتوفر في هذه الطريقة العيب الرئيسي الذي تعاني منه طريقة الترتيب الهجائي بالعنوان [بعثرة المجلات التي لها الموضوع نفسه] . فالمجلات ذات الموضوع الواحد تلقائياً تتجمع على الرفوف من خلال رقم التصنيف ، مما يجنّبنا عملية البحث المطول .

على أية حال ، ظهر أن عيب هذه الطريقة هو فقدان بعض المجلات بسبب سوء الترتيب على الرفوف ، إلا أن هذا العيب شائع ، وإذا كان لا بدّ من محاولة للتقليل من هذا العيب فإن أرقام

كتر تستطيع عمل ذلك حينما تكون مستخدمة . فالمفهرسون يؤكدون أنه بالعمل ضمن نظام تصنيف موضوعي يكون المستفيد قادراً على تحديد مكان المجلة بدقة في المكان المخصص لها على الرفوف دون أدنى صعوبة ، وذلك بالرجوع إلى فهرس الدوريات ، لاستشارته وأخذ رقم التصنيف . ثم يتتبع هذا الرقم على الرفوف لتناول المجلة المطلوبة .

في طبيعة الحال ، أرقام كتر المستعملة ترتب مثل الأرقام العشرية ، وتخصص بطريقة بحيث تحفظ الترتيب الهجائي للمجلات ذات الموضوع الواحد وباستعمال أرقام كتر يمكن التقليل من تبعثر المجلات ذات الموضوع الواحد بسبب الترتيب الهجائي ، كما هو موضح في المثال التالي QD (الكيمياء) :

Journal of solid state chemistry	QD1.J6
Journal of Chemistry Physics	QD1.J61
Journal of Physical Chemistry	QD1.J611
Journal of Inorganic and Nuclear Chemistry	QD1.J612
Journal of Agriculture and Food Chemistry	QD1.J615
Journal of Applied Polymer Science	QD1.J618
Journal of Polymer Science	QD1.J621
Journal of Chemical Education	QD1.J623
Journal of Chrotomalography	QD1.J625
Journal of Organic Chemistry	QD1.J628

وأود التأكيد هنا أنه يجب الحرص على عدم تكرار أرقام كتر عند استخدام هذه الطريقة ، وذلك بالرجوع المستمر لقائمة أرقام كتر . مكتبة جامعة ايف تقتني مجموعة كبيرة من الدوريات ، وهي مرتبة بحسب طريقة استخدام أرقام كتر ضمن نظام تصنيف موضوعي ، وبممارسة استعمال هذه الطريقة ظهر هناك عدد من المشكلات المحدودة ، فمثلاً وجد أن سوء الترتيب الهجائي يحدث عادة ضمن المجلات التي لها عناوين عامة ، مثل المجلات المبدوءة بكلمة ، مثل مجلة (journal) ، نشرة (bulletin) ..... إلى غير ذلك ، والمجلات التي لها بدايات متشابهة من الممكن أيضاً أن توجد مشكلة . فمثلاً يجب توخي الحرص لتجنب الالتباس عند التعامل مع مجلات لها عناوين مثل :

Sociology	HM1.S01
Sociological Inquiry	HM1.S011
Sociological Review	HM1.S02
Social Science Information	HM1.S021
Social Research	HM1.S022
Social Psychology	HM1.S023
Social Issues	HM1.S024
Social Casework	HM1.S028
Social Forces	HM1.S04

القائمة أعلاه ليست في ترتيب هجائي ، لكن من الملاحظ أن الترتيب المصنف تم تحقيقه من خلال الترتيب العشري لأرقام كتر .

الخاتمة

الطريقتان اللتان تم وضعهما في هذه الدراسة ــ لترتيب المجلات على الرفوف ــ لهما سلبياتهما وإيجابياتهما ، فالنقاش الرئيسي كان لصالح استخدام أرقام كتر ضمن نظام تصنيف موضوعي ، فهو يساعد المستفيدين على تحديد مكان محدد للمجلة على الرفوف . ومنذ أن أصبح مستخدمو المكتبات الأكاديمية لديهم الخبرة في استرجاع المواد الدراسية ، لم تعد تواجههم أية صعوبة في تحديد مكان المجلات المصنفة .

ومن الجدير ذكره أن المكتبات الأكاديمية في نيجيريا التي تستخدم النظام المغلق لا تعاني من أية مشكلة على الإطلاق عند استعمال رقم التصنيف ، لأن موظفي المكتبة فقط هم الذين يتعاملون مع الرفوف . ومهما كان ، وحتى نجعل النظام فعلاً بشكل تام ، يجب الأخذ بعين الاعتبار بعض الاحتياطات التالية :

ــ وضع علامات إرشادية واضحة على الرفوف .

ــ المحافظة على حداثة القائمة الموجودة على كل رف .

ــ متابعة قراءة الرفوف باستمرار لتفادي التكرار في أرقام كتر .

ــ رقم التصنيف يجب أن يطبع على كعب المجلة بشكل واضح ومقروء .

وجدت مكتبة جامعة ايف أن هذه الطريقة فعالة جداً ، لذلك رأت أن ترتب مجلاتها على قائم ظاهر للعيان حسب رقم التصنيف بدلاً من الترتيب الهجائي بالعنوان كما سبق شرح ذلك .

ملاحظة : هذه الدراسة منشورة في مجلة Sérials Librarian مجلد ١٣ ع ١ ، ١٩٨٧ م . والمؤلف نائب مدير مكتبة جامعة الورين في نيجيريا .

الهوامش

- Bloomberg, Marty E. and Evans, G. Edward. Introduction to Technical Services for library Technicians, 2nd ed, Littleton, Co, Libraries Unlimited 1974.
- Immroth, J.P. A guide to the library of Congress Classification, Littleton, Co, Libraries Unlimited, 1971.
- Manheimer, M.L. Cataloguing and Classification: A Workbook. 2nd ed. New york, Marel Dekker, 1980.

الخدمات المكتبية للأطفال

مع دراسة لمكتبات الأطفال في العراق

محمد عودة عليوي   مجبل لازم مسلم

قسم علم المكتبات

جامعة البصرة

المقدمة

تنطلق هذه الدراسة من الإيمان بأهمية تنمية مكتبات الأطفال وتطويرها لكي تكون مؤسسات ثقافية وتربوية تسهم في تثقيف وتربية وبناء جيل الأطفال بناءً سليماً متكاملاً ، حتى يكونوا رجال المستقبل وقادته ، من خلال نقل المعرفة وإيصال المعلومات وتطوير المهارات وتوفير القراءات الهادفة الموحية وتنويع مصادر المعرفة ووضع ذلك كله بين أيدي الأطفال بأيسر الطرق الفنية والخدمات الفضلى ، لا سيما وأن واقع هذه الخدمة الحيوية يشير إلى اقتصارها على أقسام الأطفال في مكتباتنا العامة التي هي دون مستوى الطموح ، إضافة إلى قلة مكتبات الأطفال وانتشارها في محافظات القطر العراقي وضعف إمكاناتها المادية والبشرية ، وافتقارها إلى المجاميع الغنية المتنوعة التي تثري عالم الطفل وتلبي رغباته وحاجاته ، لذا جاءت هذه الدراسة لتلقي الأضواء على هذه الخدمة المكتبية وآفاق تطورها واضعةً أسس نجاحها وعناصرها الأساسية فيما يخص تطوير أمناء المكتبات ومجاميعها ومواقع ومباني مكتباتها وبرامجها وأنشطتها ، معززة اهتمامها بدراسة مكتبات الأطفال في العراق وما يكتنفها من مشكلات ومعوقات ، واضعةً المقترحات والتوصيات التي يمكن من خلالها تطويرها وجعلها أكثر قدرةً على التغيير الاجتماعي والثقافي وتعزيز دورها البناء في النهضة الثقافية والحضارية التي يشهدها القطر على كافة المستويات .

مقدمة تاريخية عن الخدمات المكتبية للأطفال

لقد تطورت الخدمات المكتبية للأطفال منذ أوائل هذا القرن ، ولاقى الاهتمام بالأطفال موجة عارمة من التشجيع لكون هذه الشريحة تمثل جيل المستقبل وثروة البلد القومية ، وقد تزايد الاهتمام بأدب الأطفال في النصف الأول من هذا القرن نظراً لاهتمام المكتبات العامة بهذا النوع من الأدب وتشجيع تنميته وتطويره ، الأمر الذي أدى إلى تزايد المهتمين بالكتابة للأطفال واتساع رقعة المؤسسات الثقافية ودور النشر المتعلقة بهذا الخصوص . وإذا تتبعنا المراحل التي مرت بها الخدمة المكتبية للأطفال فإن بالإمكان تمييز مرحلتين أساسيتين[1] :

١ ـــ مرحلة ما قبل ظهور الخدمة المكتبية العامة للأطفال : وقد تميزت هذه المرحلة بظهور الاهتمام بالطفل بشكل عام ، وكانت النظرة السائدة لهم كونهم كباراً ولكن في صورة مصغرة ، ومما يدل على ذلك زجهم في العمل ومعاملتهم بغلظة وقسوة للاعتقاد الديني السائد آنذاك الذي يرى بأن الأطفال يولدون أشراراً آثمين وأن عليهم أن يكفروا عن ذنوبهم[2] .

٢ ــ مرحلة ظهور حركة المكتبات العامة وامتداد خدماتها للأطفال : وفي هذه المرحلة تطورت نظرة المجتمعات إلى الاهتمام بالطفولة وبخاصة في المجتمعات الأوروبية ، نظراً لحدوث الثورة الصناعية والتوسع في الدراسات والبحوث الخاصة بعمليات النمو في الجنس البشري التي أدت إلى ظهور نظريات وطرق تربوية حديثة ساهمت في تشجيع الآباء إلى ظهور نظريات وطرق تربوية حديثة الفلاسفة والتربويين الذين دافعوا عن الطفولة ومنحوها مكانتها الحقيقية باعتبارها ثروة المستقبل ، وممن أبدع في هذا الجانب ودافع عنه الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو (١٧١٢ ــ ١٧٧٨) وتلاه مجموعة من التربويين أمثال فردريك هربرت وفردريك فروبل (١٧٨٢ ــ ١٨٥٢) وقد أدى ظهور الحركات الفكرية والتربوية إلى الاهتمام بالجوانب التربوية والتعليمية لجميع شرائح المجتمع ، مما ساهم في زيادة المؤسسات الثقافية والتربوية ، ومنها المكتبات التي أخذت تنهض بأداء رسالتها التربوية والحضارية وبخاصة المكتبات العامة التي أفردت جزءاً من خدماتها للطفولة والأطفال .

ويرجع تاريخ الخدمة المكتبية للأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية إلى عام ١٨٠٠ م حيث كانت تتمثل بوجود غرف للأطفال في المكتبات العامة ، وفي عام ١٨٢٧ تم إنشاء أول مكتبة للأطفال في مدينة (New Hamphire) وفي عام (١٨٩٠ ــ ١٩٠٠) أصبح لمكتبات الأطفال وجود في الولايات المتحدة الأمريكية ، وأصبحت تحتوي على كافة الإمكانات التي يتطلبها هذا النوع من المكتبات من كوادر وأثاث ومجاميع مكتبية . أما في انكلترا فإن مكتبات الأطفال فيها تعتبر من أحسن مكتبات العالم ، وحينما بدأت المكتبات العامة عام ١٨٦١ كان يوجد فيها أقسام خاصة بالأطفال ، وقد مرت الخدمة المكتبية للأطفال في انكلترا بمرحلتين : الأولى امتدت حتى عام ١٩١٩ واقتصرت خدماتها على المدن والمناطق المأهولة بالسكان وبخاصة خدمات الأطفال المعوقين . أما الثانية التي ابتدأت عام ١٩١٩ فقد كانت أكثر جدية ، وأصبحت الثقافة حرة إيجابية للأطفال الصغار حتى سن (١٤) من العمر . وقد استخدمت انكلترا نظاماً يشجع الأطفال على القراءة وارتياد المكتبات من خلال فتحها لفترات أطول بعد الدوام الرسمي وخلال العطل الرسمية ، إضافة إلى الأنشطة الأخرى لنوادي الأطفال وزيارة المكتبات المتنقلة إلى المسابح والمنتزهات ، حيث توجد جماهير الأطفال ، وهناك يتم إلقاء المحاضرات وعرض الأفلام ورواية القصص[٣] .

وقد تطورت الخدمة المكتبية للأطفال في الدول الاشتراكية أيضاً من خلال المكتبات العامة ،ثم توسعت ، وأخذ الاهتمام بها يزداد حتى تم إنشاء مكتبات مستقلة للأطفال في معظم المدن بعد أن زودت بمجاميع غنية متنوعة وبمكتبيين متخصصين واحتلت مكانة متميزة في عالم المكتبات .

أهداف مكتبة الطفل

لقد تزايد الاهتمام بخدمات الأطفال وبخاصة في بداية القرن الحالي لأسباب عديدة ، منها استخدام المبادىء التربوية الحديثة التي ركزت على المفاهيم التربوية والنفسية والاجتماعية السليمة واستخدام التقنيات الحديثة في التعليم ، ويضاف إلى ذلك غزارة أدب الأطفال وتنوعه لغرض توفير أفضل الخدمات وإشباع حاجات الطفل وميوله القرائية ، ويمكن تبيان أهم الأهداف الخاصة بمكتبات الأطفال بما يلي[٤] :

١ ــ توفير المواد المكتبية من كتب ومجلات ومواد سمعية وبصرية بما يتلاءم مع أعمار الأطفال خلال مراحل نموهم المختلفة .

٢ ــ تطوير قدرات الطفل ومهاراته اللغوية والفنية والاجتماعية .

٣ ــ إيجاد الجو المناسب للمطالعة والتسلية والترفيه من خلال توفير الأثاث المريح والمواد المكتبية التي تتعلق بعالم الطفل .

٤ ــ تعريف الطفل بكيفية استخدام المكتبة والمحافظة على مقتنياتها والإفادة منها .

٥ ــ غرس القيم والعادات الفاضلة لدى الأطفال ، كالاعتماد على النفس ، والتعاون مع الآخرين ، واحترام وتقدير الكتاب ، والشعور بالمسؤولية ، والاهتمام بالنظافة والنظام ، وتشجيع القراءة ، واستثمار وقت الفراغ .

٦ ــ دعم المنهج الدراسي لغرض الإفادة في تطوير القدرات والمهارات وإثراء معلومات الطفل الدراسية .

٧ ــ التعاون مع المؤسسات التربوية والثقافية كرياض الأطفال والمدارس والمنظمات والاتحادات التي لها علاقة بالأطفال .

٨ ــ عمل المسابقات والألعاب الرياضية والزيارات والندوات وإقامة المعارض وعرض الأفلام وعمل البرامج الخاصة بسماع الموسيقى والأغاني والأناشيد .

٩ ــ إيصال خدماتها إلى المناطق النائية والريفية ودور الأيتام من خلال مكتبة متنقلة خاصة بالأطفال .

ولابد من الإشارة إلى أن تحقيق هذه الأهداف بشكل فعال سيؤدي إلى تنمية مهارات الأطفال وتوسيع قدراتهم الفكرية ومن ثم يجعلهم أقدر على استخدام جميع أنواع المكتبات خلال مراحل دراستهم المستقبلية ، ولتحقيق هذه الأهداف في مجتمعنا العربي أهمية كبيرة نظراً للظروف التعليمية المتباينة وارتفاع نسب الأمية وتزايد أعداد الأطفال ، مما يستوجب بذل جهود استثنائية للإفادة القصوى

من خدمات هذه المكتبات .

أدب الأطفال : أهميته وتطوره

أدب الأطفال هو كل ما يقدم للطفل من مواد ثقافية وتربوية ، سواء أكانت بشكلها المقروء أو المسموع أو المرئي ، كالكتاب والمجلة ، والفلم والشرائح الفلمية (السلايدات) والتسجيلات الصوتية والصور وغير ذلك . وقد يعني أدب الأطفال أيضاً ما ينتج فكرياً لتوضيح الطرق التي تقدم بها الثقافة للطفل ، ويدخل في ذلك التربية وعلم النفس والتربية الفنية وحقول المعرفة الأخرى ، لأن ما يقدم للطفل يجب أن يراعى فيه النواحي النفسية ومراحل النمو الجسمي والعقلي وتقديم ما يناسب كل مرحلة[٥].

ففي المرحلة الأولى التي تسبق دخول الطفل المدرسة يفضل تزويده بالكتب المصورة ذات الألوان الجذابة التي تبعث في نفسه الراحة والمتعة والشوق لمتابعتها ، وحبذا لو تضمنت هذه الكتب قصص الأطفال القصيرة يرويها عليه أحد أفراد الأسرة أو بعض المسؤولين في رياض الأطفال بأسلوب شيق وجميل يحبب إلى الطفل المتابعة المستمرة ويشجعه على حب الكتاب . والكتابة للأطفال ليست عملية سهلة ، وإنما تتطلب مهارة ودراية بنفسية الطفل وسلوكه ودراسة الأشياء التي يحبها أو الأشياء التي ينفر منها ، ولهذا اختلفت كتب الأطفال تبعاً لمراحل العمر التي يمر بها الطفل ، فالطفل بين الثانية والخامسة من العمر تستهويه أنواع من الكتب تختلف عن تلك التي يحبها أو يرغب في قراءتها الطفل بين الخامسة والثامنة التي هي الأخرى تختلف عن الكتب التي يرغب الطفل في قراءتها في مراحل عمره الأخرى .

وقد أكدت الدراسات[٦] على أن الطفل ما بين سن (٣ — ٥) سنوات يتقبل قصص الحيوان التي تعتبر أكثر رواجاً وأشدها حباً للصغار ، حيث تكون الحيوانات هي الشخصية الرئيسية تتحدث وتتصرف وكأن لها طباع البشر ، وتمتاز هذه القصص بقصرها ومادتها المشوقة .

أما الطفل ما بين سن (٥ — ٨) سنوات فيكون مولعاً بالقصص الخيالية التي تنقله من عالم الواقع إلى عالم الخيال ، كقصص (ألف ليلة وليلة) وأساطير الشعوب والقصص التي تظهر فيها الساحرات والعمالقة والأقزام والجنيات وغيرها من الأساطير . وبالرغم من أن الأطفال يتمعتون بهذه القصص إلا أنهم يتساءلون هل وقعت هذه القصص حقاً ؟ وجواب راوي القصة يجب أن يكون في هذه الحالة بالنفي وإخبارهم بأنها مجرد قصة .

أما مرحلة العمر ما بين (٨ — ١٢) سنة فتعتبر مرحلة الانتباه والقدرة على التركيز والمهارة في القراءة ، وفي هذه المرحلة أيضاً يحس الطفل بالمتعة عند القراءة ويقبل عليها كهواية ويولع بها في بعض الأحيان . وهي الفترة التي لا يزال فيها الأطفال يميلون إلى القصص الخيالية كقصص المغامرات والمخاطر مثل قصة «السندباد البحري» و «رحلة ماجلان» و «فانوس علاء الدين السحري» . وتظهر الاختلافات في الميول للقراءة بين الأولاد والبنات في هذه المرحلة ، حيث يولع الأولاد بالقصص الخيالية والعلمية وتولع البنات بالقصص ذات الطابع العائلي والحب الرومانسي وقصص العواطف والانفعالات . وهذه المرحلة مرحلة قلقة في حياة الطفل قد تؤدي به إلى الانحراف من خلال ما يقرأه من قصص تتعلق بالتهور أو اللصوصية أو قصص العصابات وغيرها من القصص الأخرى التي تشجع الطفل للقيام بسلوك غير سوي . ولهذا يجب التزام الحذر في اختيار قصص الأطفال والتأكد من كونها تحمل غايات وأهدافاً سامية ونبيلة كقصص البطولات في التراث العربي ، وقص الرحالة والمكتشفين وغيرها من القصص التي تضيف إلى ذاكرة الطفل المعرفة وتمنحه المتعة في القراءة .

ولو تتبعنا تاريخ أدب الأطفال لتبين لنا أن هذا الأدب موجود مادامت هناك أمومة وطفولة ، ولكن هذا الأدب يختلف باختلاف التطور الحاصل عبر الأزمنة والعصور ، وكذلك يختلف من مجتمع إلى آخر .

فقد كان الأسبرطيون في اليونان القديمة يعتبرون جانب القوة هو الجانب المهم في تربية الطفل ، لذا كانوا يتركون أطفالهم عراة على قمم الجبال ليلة كاملة لكي لا يبقى منهم حياً إلا الأقوياء الذين سيكونون جنداً في جيش اسبرطة العظيم . كما أن العرب كانوا يتركون أطفالهم مع مرضعاتهم في الصحراء منذ اليوم الثامن من ولادتهم ولا يعودون بهم إلا بعد سن الثامنة أو العاشرة ليتعودوا على الصبر والخشونة . ولم تهتم الأمم والحضارات القديمة بتسجيل آداب أطفالها عدا مصر القديمة التي وصل إلينا من آثارها ما يدل على قيامها بتسجيل تلك الآداب على جدران القصور وعلى البردي ، وأشهرها قصة (جزيرة الثعبان) المسجلة على البردي[٧] .

وتعتبر فرنسا من أسبق الأمم الحديثة في كتابة أدب الأطفال ، حيث ظهر هذا النوع من الأدب في القرن السابع عشر عندما قام الشاعر الفرنسي تشارلز بيرو **(Charles Perrault)** عام ١٦٩٧ بكتابة قصص للأطفال تحت اسم «حكايات أمي الأوزة» وألف أيضاً مجموعة أخرى بعنوان «أقاصيص وحكايات الزمان الماضي» وفي عام (١٧٤٧ — ١٧٩١) صدرت أول صحيفة للأطفال باسم «صديق الأطفال»[٨].

أما في انكلترا فإن الأدب الحقيقي للأطفال لم يظهر بصورته المطبوعة

إلا في عام (١٧١٩) عندما ترجم «روبرت سامبر» إلى الإنجليزية مجموعة (حكايات أمي الأوزة) لتشارلز بيرو ، حيث كان هذا العمل بدء التأليف القصصي للأطفال في انكلترا ، وكان القصد منه التسلية والترفيه والاستمتاع . جاء بعد ذلك صاحب مكتبة (جون نيوبري) John Newbery الشهيرة وشجع عدداً من المؤلفين والكتاب للكتابة للأطفال ، أو تبسيط الكتب المعدة للكبار كقصة (روبنسن كروزو)[9] ورحلات جاليفر[10]، حيث خصص مكتبة للأطفال وكتب حوالي (٢٠٠) كتاب . وقد لقّب نيوبري «الأب لأدب الأطفال في انكلترا»[11] ويعتقد البعض أن أول كتاب صمم خصيصاً للأطفال هو كتاب : «الجيب الرائع الصغير» الذي نشره جون نيوبري في بريطانيا عام ١٧٧٤[12] .

وفي ألمانيا قدم الأخوان «يعقوب ووليم جريم» كتاباً للأطفال الألمان ظهر الجزء الأول منه عام ١٨١٢ تحت عنوان «حكايات الأطفال والبيوت» وظهر الجزء الثاني عام ١٨١٤ وأصبح من أشهر الكتب في ألمانيا وترجم إلى لغات عديدة[13].

كما ظهرت عدة أعمال في كل من الدانمارك وروسيا في الفترة الزمنية نفسها تقريباً .

أما في أمريكا فقد وصلت مكانة أدب الأطفال إلى المكانة التي لم يصلها أي بلد آخر . واتخذ أدب الأطفال أشكالاً ووسائل متعددة ، منها الكتب والمجلات والصحف والأفلام والنوادي الخاصة ، ومما يدل على ذلك الزيادة المستمرة في دور نشر كتب الأطفال . فبينما كان عدد الناشرين في أمريكا (٤١٠) ناشرين عام ١٩٣٠ م أصبح (٥٨٩٥) ناشراً عام ١٩٦٥ م وقد وصل توزيع بعض الكتب إلى أكثر من خمسة ملايين نسخة[14].

أما أدب الأطفال في الوطن العربي فقد استهله أو بادر فيه «رفاعة رافع الطهطاوي» حيث قدم كتاباً بعنوان «عقلة الصباع» الذي ترجمه عن الإنكليزية ، وعند وفاة هذا المربي ظل أدب الأطفال في حالة سبات إلى أن جاء الشاعر أحمد شوقي الذي كتب العديد من الأغاني والقصص الشعرية على ألسنة الطيور والحيوانات ، كما دعا أمير الشعراء الكتاب والأدباء في ذلك الوقت للكتابة للأطفال ، إلا أنه لم يجد أذناً صاغية ، مما دعاه إلى التوقف هو نفسه عن الكتابة في هذا المجال[15].

وقد بدأت بعض المحاولات للكتابة للأطفال في بداية هذا القرن ، فقد كتب «علي فكري» عام ١٩٠٣ كتابه «مسامرات البنات» تبعه كتاب «المنصح المبين في محفوظات البنين» عام ١٩١٦ . وفي عام ١٩١٤ ترجم «خيرت الغندور» مجموعة قصص إنكليزية بعنوان «كنوز سليمان» لمؤلفها «رايدر هاجرد» ، إلا أن مكانة أدب الأطفال الحقيقية لم تظهر إلا في عام ١٩٢٢ حينما كتب «محمد الهراوي» بعض الكتابات للأطفال منها «سمير الأطفال للبنين» و «سمير الأطفال للبنات» و «جحا والأطفال» و «بائع الفطير»[16] .

ومنذ ذلك الوقت زاد الاهتمام بالكتابة للأطفال على الرغم من الانتقادات التي وجهت لكتاب الأطفال ، وازداد الاهتمام بأدب الأطفال وبخاصة في السنوات القليلة الماضية في أغلب الدول العربية ، وفي مقدمتها مصر ولبنان والعراق وسوريا والجزائر وليبيا والأردن ، وقد ازداد أيضاً تشجيع المؤلفين ودور النشر فيما يخص التأليف وإنتاج كتب الأطفال بمختلف أشكالها .

العوامل الأساسية الفعالة في الخدمة المكتبية للطفل

أ ــ كتب الأطفال : مواصفاتها وكيفية اختيارها .

انطلاقاً من أهمية مكتبات الأطفال في عصرنا الحديث ، وإيمانا بالدور الذي تقوم به هذه المكتبات في التثقيف وتنمية المواهب وتوسيع مدارك الأطفال لكي يواصلوا مسيرتهم ويعتمدوا على أنفسهم في تقصي المعلومات ، ينبغي علينا الاهتمام بتطويرها وتوسيع خدماتها وإغناء مجموعاتها وتنويعها بالمطبوعات والمواد الثقافية والتربوية والتعليمية .. ومما لا شك فيه أن اختيار كتب الأطفال ليس سهلاً ، وإنما هو فن يحتاج إلى علم وخبرة ودراية خاصة برغبات وميول الأطفال ومعرفة بعلم نفس الطفل ، كما يحتاج إلى معرفة بقوائم الناشرين ومعارض الكتب التي تعتبر من الوسائل المساعدة في الاختيار ، ومهما يكن سواء استعان مكتبيو الأطفال بالأدوات البيليوغرافية أو تتبعوا ما يكتب عن كتب الأطفال من نقد ومراجعات أو درسوا المبادىء الخاصة بالاختيار ، فإنه من الضروري بالنسبة للمكتبيين والمتخصصين بأدب الأطفال الحرص على قراءة كتب الأطفال «بلغتها الخاصة» لفرض تنمية معاييرهم في تقويم كتب الأطفال .

ومن الأسس التي تعتمد في اختيار كتب الأطفال هي[17]:

١ ــ الناحية الموضوعية في الاختيار التي تتضمن المادة التي تجسد أية فكرة أو تجربة أو معلومات محددة للطفل ، والإخلاص الذي يعني الجدية في نقل الأفكار والمعلومات للأطفال ، والصدق في تصوير الحقائق ، إضافة إلى ماتتمتع به هذه الكتب من قواعد السلوك وآدابه .

٢ ــ ملاءمة الكتاب لمستوى السن : وهذا يعني التعرف على الميول القرائية للأطفال عبر سني النمو والتطور العقلي والجسمي لكي تكون الفائدة أعم وأشمل في كل مرحلة من هذه المراحل .

٣ ــ الناحية المادية في كتب الأطفال . وتتضمن الجاذبية وطبيعة حجم الحروف ووضوحها ، إضافة إلى الزخرفة والصور والرسوم

التوضيحية التي تسهم في توضيح النصوص الواردة في الكتاب ، ويفضل الابتعاد عن الكتب الشاذة من حيث الشكل والحجم واللون .

كما يمكن الأخذ بنظر الاعتبار ما يلي عند اختيار كتب الأطفال :

١ ــ تنويع المواد المكتبية ، إذ لا يمكن الاعتماد على الكتب فحسب ، وإنما لابد من اختيار أوعية المعلومات الأخرى ، كالمجلات والمواد السمعية والبصرية من أفلام وصور وخرائط وكرات أرضية والتسجيلات الصوتية والدائرة التلفزيونية المغلقة .

٢ ــ توفير الكتب والقصص الهادفة التي تحمل أفكاراً ومضامين تربوية ، ويفضل أن تكون مكتوبة بأسلوب سهل وواضح بعيد عن الغموض والتعقيد .

٣ ــ تحقيق الموازنة في بناء المجموعة المكتبية وتكرار الكتب التي يكثر الطلب عليها من قبل الأطفال .

أما فيما يتعلق بمواصفات كتب الأطفال فيمكن إجمالها بالآتي[١٨]:

١ ــ أن يكون الكتاب مشوقاً بحجمه وشكله .

٢ ــ أن يكون موضوع الكتاب يهم الأطفال ويساهم في تنمية قدراتهم العقلية .

٣ ــ أن يشمل موضوعات تربوية وأخلاقية تساهم في صقل شخصية الطفل وتهذيب سلوكه .

٤ ــ أن يكون ذا حجم مناسب وأن تكون حروف الكتابة واضحة ولون الحبر والورق مناسبين لنظر الطفل .

٥ ــ أن تكون صور الكتاب ملونة جذابة وتعطي طابعاً توضيحياً له علاقة بموضوع الكتاب ومادته .

٦ ــ أن يكون سعره معقولاً لكي يتمكن الكثير من الأطفال اقتناءه .

وهذه المواصفات من شأنها أن تسهم في جذب الطفل ولفت انتباهه واختيار ما يتناسب مع ميوله ورغباته ويبعث في نفسه السرور ، ومن ثم يحقق تواصله المستمر بالمكتبة ومتابعته لتقنياتها .. ومما تجدر الإشارة إليه أن الوسائل المساعدة في عملية اختيار كتب الأطفال المتوفرة في الوطن العربي قليلة ولا يمكن الاعتماد عليه كلياً ، ويجدر بنا أن نذكر بعض الأعمال التي تخصص قسماً من محتوياتها لكتب الأطفال منها :

١ ــ الببليوغرافيات الوطنية في الأقطار العربية .

٢ ــ قوائم دور النشر والمؤسسات التي تهتم بنشر كتب الأطفال في الوطن العربي ومن أهمها :

ــ دار المعارف بمصر .

ــ دار ثقافة الأطفال في العراق .

ــ مكتبة الأنجلو المصرية .

ــ دار النهضة بمصر .

ــ دار الفكر العربي بمصر .

ــ دار الشرق العربي بلبنان .

ــ دار الكتاب اللبناني .

ــ مكتبة المعارف في بيروت .

ــ مؤسسة نوفل للطباعة والنشر والتوزيع .

ــ الدار التونسية للنشر .

ــ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر .

أما فيما يخص الوسائل المساعدة في اختيار كتب الأطفال باللغة الإنكليزية فتمتاز بوفرتها ومتابعة إصدارها باستمرار مما يسهل على المكتبي عملية الاختيار السليم والدوري لهذه الكتب ، ومن الأمثلة على الفهارس الخاصة بكتب الأطفال :

_ The teacher's Guide to media and methods (Formally School paper back Journal).

_ We read; Selected list of children's book and redings, children's services division. ALA 1966 free from office of Economic opportunity, Community Action program, washington. D.C. 20506.

_ Best book for children. 1966 edition. N.Y. R.R Bowker Co.. 1966.

_ Books for young Readers.

_ Unesco. A world of children's book a selective International Bibliography. paris. 15 desember 1972.

ب ــ أمناء المكتبات : مؤهلاتهم وصفاتهم

يعتبر توفير العاملين المؤهلين عنصراً أساسياً في الخدمة المكتبية لجميع أنواع المكتبات وبخاصة مكتبات الأطفال التي يعتمد نجاحها وتميزها في أداء أعمالها على نوعية أمناء المكتبات ودرجة ثقافتهم ومؤهلاتهم ومدى معرفتهم وتفهمهم لعالم الأطفال وأدب الأطفال ومراحل نموهم وخصائص كل مرحلة والإلمام بالفروق الفردية ومعرفة الميول القرائية ؛ فضلاً عن المعرفة بخلفياتهم ومستوياتهم الثقافية وتباينها وفقاً لاختلاف العوامل البيئية والاقتصادية والاجتماعية .

وانطلاقاً من هذه الأهمية المتميزة للعاملين في مكتبات الأطفال ، ولكي يتحقق لهؤلاء الأمناء النجاح في إدارة مكتبة الطفل وتقديم خدمات مكتبية فعالة لابد من توافر عنصرين أساسيين هما[١٩] :

١ ــ مؤهلات شخصية : ومنها المؤهلات الشخصية العامة

كالعطف وحب الأطفال والفهم المطلق لهذه الصفات ، إضافة إلى توفر الذكاء واللباقة والمرح في التعامل مع هذه الشريحة من المجتمع لما تتميز به من رهافة في المشاعر والأحاسيس وخصوبة الخيال ، وهناك مواصفات شخصية تتعلق بالسن ، ويمكن القول في هذا المجال أن العمل في هذه المهنة لا يحتاج إلى سن معينة ، إلا أنه ينبغي توفر روح الشباب والمقدرة على كسب قلوب الأطفال ، أما بالنسبة لنوعية الجنس فهناك من يعتقد بأن النساء أكثر تفهماً لعقول ونفوس الأطفال ، لذلك يكون من المفضل أن تقوم بإدارة وتقديم هذه الخدمة امرأة مثقفة تمتلك شخصية جذابة ولديها إلمام بنفسية الأطفال ؛ ويعزز هذا الرأي بعض الإحصائيات التي تشير إلى أن نسبة النساء العاملات في مكتبات الأطفال في فرنسا هي (٨٠٪) أن نسبة النساء إلى الرجال الذين درسوا علم المكتبات للسنوات ١٩٥٢ ــ ١٩٦١ هي أكثر أيضاً[٢٠].

إلا أن ذلك لا يمنع أن يكون القائم على أداء وممارسة هذه الخدمة من الرجال ممن يتميز بالموهبة والتخصص والقدرة على التعامل الناجح ومعرفة وثيقة بأدب الأطفال .

٢ ــ مؤهلات فنية :

تحتاج الخدمة المكتبية للأطفال إلى معرفة واسعة بعلوم المكتبات وإتقان فنون العمل المكتبي ومعرفة بعالم الأطفال وعمليات التوجيه القرائي ، لذلك أخذت مدارس المكتبات والمعلومات في الدول المتقدمة من خلال برامجها في إعداد أمناء المكتبات طرح بعض المواد الدراسية التي يحصل من خلالها الطلبة على معلومات أساسية حول أدب الأطفال وميولهم القرائية والخدمات المكتبية التي يؤديها أمين مكتبة الطفل ، الأمر الذي يسهم في إتقان فنون العمل المكتبي مع الأطفال ، ويساعد أمين المكتبة على اكتساب المهارات الأساسية التي تعينه على العمل مع جمهور الأطفال لا سيما وأن متطلبات هذه المواد الدراسية تتضمن متابعة ومعرفة أدب الأطفال وإعداد قوائم ببليوغرافية متنوعة ، إضافة إلى متابعة ومراقبة البرامج التلفزيونية المتعلقة بالأطفال .

أما بالنسبة إلى المواد الدراسية التي تشملها أية دراسة متخصصة في مجال مكتبات الأطفال فهي[٢١]:

١ ــ اختيار كتب الأطفال وتقويمها .

٢ ــ علم نفس الطفل .

٣ ــ علم النفس التربوي .

٤ ــ علم نفس القراءة (دراسة العادات والميول القرائية)

٥ ــ نشاطات المكتبة مثل ساعات القصة ، المعارض ، نوادي الهوايات ، الموسيقى .. الخ .

ونظراً لتضخم أدب الأطفال وما يكتنف مجالات الخدمة المكتبية للأطفال من تغييرات وتطورات متلاحقة يكون من الضروري العمل على مواصلة الدراسة في هذا الميدان والتدريب المستمر والاطلاع على أحدث التطورات لزيادة الخبرات والمهارات بغية تقديم أفضل الخدمات للأطفال .

وخلاصة القول أن جوهر الخدمة المكتبية الناجحة في هذا النوع من المكتبات إنما يعتمد على أمين المكتبة المتخصص المؤهل المحب لطبيعة عمله ، القادر على تفهم نفسية الطفل وقراءات الأطفال ، والمساهم في اختيارها وتقويمها ، والقادر على توجيه الأطفال والعمل معهم بإخلاص بغية إقناعهم بضرورة التعلم واكتساب المعرفة وتطوير قابلياتهم الشخصية ، وغرس حبّ القراءة والكتاب في نفوسهم من خلال الاحتكاك اليومي المباشر واللقاءات المستمرة .

جـ ــ الموقع والبناية والأثاث

يشكل موقع مكتبة الأطفال وبنايتها والأثاث المناسب محوراً أساسياً في توفير الجو المناسب للطفل وجذبه وتحفيزه لارتياد المكتبة ، واستخدام مصادرها والمشاركة في الأنشطة والفعاليات المكتبية . وقد نهضت الدول المتقدمة بتوفير مستلزمات مكتبات الأطفال والاهتمام بمواقعها وبناياتها وتأثيثها بالشكل الذي يشيع جو البهجة والسرور في نفوس الأطفال ، ومما شجع على ذلك التطورات التكنولوجية في التعليم واستخدام الأساليب التربوية الحديثة ، إضافة إلى انتشار الوعي الثقافي والاجتماعي والصحي لتلك المجتمعات . ولغرض إعطاء صورة واضحة عن موقع مكتبة الأطفال ، وبنايتها وأثاثها ، لابدّ من الوقوف على المبادىء الأساسية والمعايير التي يجب أخذها بنظر الاعتبار فيما يخصّ :

١ ــ الموقع والبناية

قبل الشروع في تحديد موقع مكتبة الأطفال لابدّ من دراسة المنطقة من حيث كثافة السكان والمستويات التعليمية والاجتماعية والاقتصادية والصحية ، وذلك من خلال تشكيل لجان تضم المكتبيين المتخصصين والتربويين والمهندسين آخذين بنظر الاعتبار ما يلي :

١ ــ أن يكون موقع المكتبة في مكان يسهل الوصول إليه من قبل الأطفال ، ويفضل أن يكون في مكان معروف ، كقربه من المدارس أو الأسواق أو تقاطع الطرق .

٢ ــ توفر المواصلات مما يؤمن سرعة وصول الأطفال إلى موقع المكتبة مع مراعاة الابتعاد عن الشوارع المزدحمة بحركة المرور .

٣ ــ يراعى في موقع المكتبة كثافة السكان بما يؤمن خدمات أوسع لسكان المنطقة ويزيد من فاعلية الخدمة المكتبية من أنشطة وبرامج .

يضاف إلى ذلك عوامل أخرى تؤثر على حجم المكتبة وخدماتها وأنشطتها منها[٢٢]:

أ ــ المناخ : يؤثر المناخ على رغبة الجمهور ، ومنهم جمهور الأطفال ، بارتياد المكتبة بصورة مستمرة . فعلى سبيل المثال في المناطق التي ترتفع فيها درجات الحرارة أو التي تكون معرضة للأمطار وتساقط الثلوج في أغلب أيام السنة تكون حركة الأفراد محدودة ورغبتهم في زيارة المكتبة قليلة ، ولهذا يفضل أن تكون مواقع المكتبات قريبة جداً من المناطق المكتظة بالسكان .

ب ــ نسبة الأمية في المنطقة : وهذه بدورها تؤثر على حجم المكتبة ومجاميعها ، ففي المناطق التي ترتفع فيها نسبة الأمية لا تحتاج المكتبة إلى توسع في بنايتها ، إضافة إلى قلة ونوعية مجاميعها التي تتناسب مع المجتمع . وعلى العكس من ذلك تحتاج المكتبة في المناطق التي تزداد فيها نسب المتعلمين إلى تقديم خدمات أوسع وأوعية معلومات متعددة وقاعات مطالعة تسدّ حاجة الرواد ، إضافة إلى الأخذ بنظر الاعتبار توفير مجموعات تتناسب مع مختلف الأعمار .

أما بخصوص **بناية المكتبة** فيجب أن تخضع للتعاون التام بين المكتبيين والمهندسين المعماريين حتى تكون البناية مناسبة لهذه الشريحة من المجتمع ، مع الأخذ بنظر الاعتبار النقاط التالية عند تصميم البناية :

١ ــ غرفة خاصة لأمين المكتبة تسهل إتمام أعماله الإدارية .

٢ ــ غرفة خاصة لإنجاز الأعمال الفنية كالتزويد وفهرسة وتصنيف الكتب والمواد المكتبية الأخرى .

٣ ــ قاعات للمطالعة تتوفر فيها كل مستلزمات الراحة من تدفئة وتبريد وتهوية وإضاءة ، على أن لا تقل عن قاعتين .

٤ ــ قاعات خاصة بخزن الكتب والدوريات والمواد المكتبية الأخرى تستوعب مجاميع هذه المكتبات آخذين بنظر الاعتبار تنظيمها ، مع مراعاة التوسع المستقبلي والتطورات الحديثة .

٥ ــ قاعة مخصصة لإلقاء المحاضرات وعقد الندوات وساعات القصة وعرض الأفلام وسماع الشعر والموسيقى .

٦ ــ تصميم مدخل رئيسي للمكتبة يتسم بالسعة وحرية الحركة ، وله منافذ تؤدي إلى الأقسام الأخرى في المكتبة بشكل سهل يقلل من حدة الازدحام والضوضاء .

٧ ــ اختيار موقع مناسب لمنضدة الإعارة أو لقسم الإعارة .

٨ ــ الاهتمام بالإضاءة والتهوية من حيث تحديد منافذ الضوء وسعتها ، إضافة إلى تحديد الأماكن المناسبة للإضاءة الاصطناعية .

٩ ــ يفضل أن تلحق بالبناية حديقة واسعة لغرض المطالعة والاستمتاع بالهواء الطلق وتحت أشعة الشمس .

١٠ ــ غرفة خاصة لحفظ ملابس الأطفال وحاجياتهم .

٢ ــ أثاث وأجهزة مكتبة الطفل

لأثاث مكتبة الطفل أهمية خاصة لكسب جمهور الأطفال لا تقل أهمية عن عناصر المكتبة الأخرى وأنشطتها إذا ما توفر في اختياره وعرضه وتنسيقه الذوق السليم والخبرة الفنية ، مما يترك آثاراً إيجابية تسهم في جذب الأطفال وشدهم لقضاء أوقات ممتعة داخل المكتبة ، ويراعى في اختيار وتنظيم أثاث مكتبة الطفل المعايير التالية[٢٣]:

١ ــ يجب أن يكون الأثاث مناسباً لأعمار الأطفال وأطوالهم ، سواء ما يخص الرفوف أو المناضد والكراسي .

٢ ــ أن يكون مريحاً ، فضلاً عن متانته وتميزه بالألوان الجذابة .

٣ ــ تنسيق وترتيب الأثاث في المكتبة بالشكل الذي لا يعوق الحركة من جراء تكدسه في الممرات أو قاعات المكتبة .

٤ ــ الاهتمام بالزخرفة والديكور وتوزيع الألعاب والصور وحاملات الأزهار في أماكنها المناسبة ليشعر الطفل بالألفة والبهجة ، كما يجب الاهتمام باستخدام الألوان المناسبة للجدران والسقوف ، حيث يفضل استخدام الألوان الرمادية أو الخضراء الفاتحة في طلاء الجدران لتلافي تعب عيون الأطفال ، وكذلك يكون اللون الأبيض الناصع أنسب الألوان للسقوف .

٥ ــ يفضل تجهيز القاعة المخصصة لعرض الأفلام وسماع الموسيقى بأجهزة التسجيل الصوتية والأشرطة ومواد عرض الأفلام ومتطلباتها .

٦ ــ يراعى في مكتبات الأطفال فرش الأرضيات التي تمتص الصوت كالمطاط أو الفلين أو مواد أخرى جديدة ، على أن تكون منسجمة مع لون الأثاث والجدران .

أما بالنسبة لنوعية المواد التي يصنع منها أثاث المكتبة فيفضل أن تكون كراسي الأطفال والمناضد من الخشب ، لأنّ الأثاث المعدني يكون حاراً أو بارداً حسب الظروف المناخية ، أما الرفوف فيفضل أن تكون معدنية متحركة وعلى نوعين ، أحدهما مناسب للأطفال الصغار كما يلي :

أ ــ أن يكون ارتفاع الرف أربعة أقدام وعلوه عن سطح الأرض (١٢) إنجاً .

ب ــ أن يكون عرضه (١٦) إنجاً ويميل بزاوية حادة تقدر بـ (٥٥ ــ ٦٠) درجة لغرض عرض الكتب المصورة عليه .

والثاني مناسب للأطفال الكبار ، وتكون هذه الرفوف بارتفاع ستة أقدام ، والمسافة بين رف وآخر (٩ ــ ١٠) إنجاً[٢٤].

د . نشاطات وبرامج مكتبات الأطفال

لكي تؤدي مكتبات الأطفال دورها الإيجابي لخدمة جمهور الأطفال وكسبهم وتشجيعهم على ارتياد واستخدام المكتبة ، لابدّ لها أن تقوم

بالنشاطات والبرامج التي تسهم في جعل الأطفال على تماس مستمر مع المكتبة . ويمكن تبيان هذه الأنشطة والبرامج كالآتي :

١ ـ تشجيع القراءة عند الأطفال :

إن تنمية القراءة وتشجيعها عند الأطفال تعزى إلى عوامل متعددة كالعوامل الاجتماعية والثقافية لأسر الأطفال ، وهناك أيضاً العوامل البايولوجية للطفل نفسه ، وأمور أخرى منها الشخصية ومنها الاجتماعية التي تؤثر على تقبل الطفل وتوجيه ميوله القرائية . وبما أن هذه العملية ليست وراثية وإنما مكتسبة ، فإنه يمكن تنميتها بتضافر جهود وعوامل عديدة منها الأسرة والمدرسة ومكتبات الأطفال ، والمؤسسات الأخرى التي تهتم بالطفولة . أما دور مكتبة الطفل في هذا المجال فيأتي من خلال ما يلي[٢٥]:

أ ـ توفير المطبوعات التي تناسب اهتمامات الطفل ، والعمل على تنظيم هذه المطبوعات بالشكل الذي يسهل إيصالها إلى الأطفال بأقصر وقت ممكن .

ب ـ توفير الجو المريح والجذاب في المكتبة من خلال توفير الأثاث الأنيق ، والتعامل الودي ، وتزيين المكتبة بالصور والرسوم التي تسهم في جذب الطفل وتحبب إليه مكان القراءة والاطلاع .

جـ ـ توفر النشاطات والبرامج المكتبية من خلال إقامة المعارض واللقاءات والندوات وإشراك الأطفال فيها .

د ـ لابد أن تكون أبواب المكتبة مفتوحة لأطول وقت ممكن لكي تكون خدماتها مستمرة وفرصة اختيار الطفل لوقت زيارة المكتبة أوسع .

هـ ـ فسح المجال للأطفال في اختيار المواد التي يرغبون في قراءتها والاطلاع عليها دون محاولة إجبار الطفل على قراءات معينة من قبل أمين أو أمينة المكتبة .

ويتسع دور المكتبة في هذا المجال من خلال تعاملها مع مستويات مختلفة كالأطفال الموهوبين والعاديين والمتخلفين . وكل فئة لها خصوصيتها واحتياجاتها وبخاصة الموهوبين والمتخلفين قرائياً .

فالفئة الأولى تحتاج إلى توفير بعض القراءات التي تشبع ميولهم القرائية ، والتي تساعد على تنمية مواهبهم وتطوير قدراتهم ، في حين تحتاج الفئة الثانية (المتخلفون) إلى بعض القراءات المبسطة التي تتناسب مع أعمارهم العقلية ، ويحتاج المكتبي في ذلك إلى معرفة تامة وخبرة في معالجة الاضطرابات النفسية وحدة المزاج والمعوقات النفسية الأخرى .

وقد لا يقتصر تعامل المكتبي على تقديم الحلول لطبيعة المشكلات النفسية وإنما توفير الوسائل المساعدة التي تدفع الطفل إلى التخلص من هذه المعوقات ، كالمواد الثقافية التي تبعث في نفس الطفل الثقة وتشبع ميوله ورغباته وتنمي لديه الاستعداد الدائم للمتابعة والاطلاع والقراءة المجدية .

٢ ـ رواية القصة :

تعتبر قراءة القصة من أقدم أشكال الأنشطة التي تقدمها المكتبات العامة ومكتبات الأطفال وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا . ففي بريطانيا مثلاً كان هناك ما يقارب (١١٣) مكتبة عامة عام ١٩٦٤[٢٦] تشارك في تقديم هذا النشاط ، وقد انتشرت هذه الخدمة في بلدان كثيرة من العالم ، والغرض منها تقديم الكتب للأطفال لتشجيع قراءتها من قبل الأطفال أنفسهم . وتأتي أهمية رواية القصة كونها تسهم في إثارة تطلعات الأطفال وشد انتباههم وتحفيزهم على متابعة مضامين القصص الهادفة والتربوية والخيالية ، إضافة إلى إسهامها في زيادة ثروة الطفل اللغوية وتحسين عمليات القراءة لديهم وتوسيع مهاراتهم في هذا المجال . وتستند رواية القصة على عنصرين أساسيين هما : القصة المختارة ، وراوي القصة ، فالعنصر الأول ينبغي أن تتجسد فيه المضامين التربوية وحب الوطن والإخلاص في العمل وقيم البطولة والشجاعة التي يمكن من خلالها استنباط العبر والدروس والحكم البليغة لغرض تعزيز هذه الصفات في نفوس الأطفال . أما فيما يتعلق بالراوي فينبغي أن يكون متقناً لهذا الفن الرفيع من خلال إجادته لأسلوب القراءة وأسلوب الحركات وخفض الصوت ورفعه تبعاً لأحداث القصة . وخير رواة القصة كما يرى الحديدي[٢٧] هم :

«أولئك الذين يحتفظون بشيء من روح الطفولة في حياتهم فيجدون المتعة في الفكاهة وفي الخرافة وفي الخيالات التي في قصص الأطفال ، ولديهم القدرة على أن يمزجوا أنفسهم بأفكار الشخصيات المختلفة للقصص وأحاسيسها ..»

وهناك بعض الأسس والمعايير التي يعتمد عليها نجاح القصة وروايتها منها :

١ ـ اختيار القصة بما يتناسب مع عمر الطفل وقدراته وإدراكه للغة ومضمون القصة .

٢ ـ مدى تفاعل الأطفال وإشراكهم في المحاورة والإجابة على بعض الأسئلة التي تتعلق بأحداث القصة .

٣ ـ الدعاية المسبقة للقصة من خلال الاتصال الشخصي بجمهور الأطفال أو بواسطة الإذاعة المحلية للمكتبة إضافة إلى الاتصال بالمدارس المحاذية .

٤ ـ اختيار المكان المناسب من حيث التأثيث والإضاءة والديكور والتهوية وطبيعة الجلوس مما يسهل للطفل متابعة الاستماع ويزيد في تشويقه ومشاركته في متابعة أحداث القصة .

٥ ــ يفضل أن تحكى القصة وتروى لا أن تقرأ قراءة عادية ورتيبة ، مع مراعاة استخدام الحركات والإشارات ، كما يفضل أيضاً استبدال راوي أو راوية القصة بين الحين والآخر بغية تنويع الأساليب والأصوات التي يستقبلها الطفل .

٦ ــ يفضل تحديد الوقت الذي تبدأ فيه رواية القصة في المكتبة ليتسنى للأطفال معرفة ذلك وارتياد المكتبة في الوقت المحدد . وقد لا تقتصر رواية القصة داخل جدران المكتبة ، فقد تتنوع أماكن روايتها ، كأن تكون في حديقة المكتبة أو المتنزهات القريبة من المسابح أو النوادي الخاصة بالأطفال بغية إيجاد أجواء أكثر تلويناً وإثارة .

٣ ــ معارض الكتب :

تعتبر المعارض التي تقيمها مكتبات الأطفال وسيلة مهمة لتعريف الأطفال بالكتب والمطبوعات الثقافية الحديثة التي تعالج مختلف الموضوعات العلمية والأدبية التي تتناسب واهتمامات الأطفال وتلبي رغباتهم المختلفة . ولكي تحقق هذه المعارض فاعليتها وأهدافها لا بد أن يتم الإعلان عنها من خلال وسائل الإعلام ، ولابد أن يتم عرضها بطريقة مشوقة جذابة ، سواء أكان ذلك داخل مبنى أو في أماكن أخرى . ويفضل أن تقام هذه المعارض في المناسبات الوطنية والقومية والعالمية ، على أن يكون هناك تعريف بأهمية هذه المعارض ، ونوعية المطبوعات التي تضمها ، ونسب الخصم التي تخص بيع هذه المطبوعات من خلال توزيع بعض الأدلة والمنشورات الخاصة بالمعرض .

٤ ــ عرض الأفلام :

تساهم المواد السمعية والبصرية بإثارة انتباه الأطفال وتوسيع مداركهم وإكسابهم الخبرة والمهارة ، ويتجلى ذلك واضحاً في عرض الأفلام بأنواعها المختلفة وبخاصة الأعلام المتحركة (الكارتون) والأفلام التعليمية والتربوية والترفيهية ، على أن يراعى في اختيار هذه الأفلام عنصر التشويق والمضامين الهادفة ، ويفضل إعطاء موجز عن طبيعة الفلم وفحواه ، وذلك لشد الطفل لمتابعة الأحداث وتسلسل صورها وحالاتها المتنوعة .

٥ ــ الموسيقى والرسم والشعر :

تسهم جميع هذه النشاطات في تنمية مواهب الأطفال من خلال الممارسة العملية داخل القاعات المخصصة لها في المكتبة ، وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن أحاسيسهم وانفعالاتهم ، فضلاً عن إسهامها في بلورة الحس الفني والذوق الجمالي والأدبي ، على أن تتوفر مستلزمات هذه النشاطات في مكتبة الطفل كأدوات الموسيقى والرسم والقطع الموسيقية ودواوين الشعر المختلفة ، ولابد أن يشرف على هذه الأنشطة المتخصصون والفنيون ممن تتوفر فيهم الخبرة والرغبة وحب العمل مع الأطفال .

٦ ــ زيارة المدارس :

لكي تتحقق الفائدة المتوخاة من هذه الزيارات لابد من العمل على تنظيمها وبرمجتها ، ووضع الخطط التعاونية التي تتم بين مكتبات الأطفال والمدارس المحيطة بها . وفي هذه الزيارات تتم جملة من النشاطات والأعمال التي تبين فيها أمينة المكتبة المدرسية طرق تنظيم المكتبة وكيفية استخدامها وتبيان إصداراتها الحديثة وبرامجها . وهناك مجموعة من النقاط التي تراعى فيها زيارات الأطفال للمكتبة يمكن إيجازها بما يلي :

١ ــ أن يصاحب الأطفال معلم يأخذ على عاتقه توضيح ما يتعلق بمكتبة الطفل ، وكذلك ملاحظة اهتمامات الأطفال والتعرف على مواهبهم وميولهم .

٢ ــ يفضل أن تكون مجموعات الأطفال الزائرين صغيرة قدر الإمكان لكي تعمَّ الفائدة جميع الأطفال .

٣ ــ يفضل أن يصاحب هذه الزيارات بعض التطبيقات العملية والمشاهدات التي تخص تنظيم ممتلكات وأثاث ومجاميع المكتبة .

ويمكن أن نضيف إلى كل ما تقدم أنشطة متنوعة أخرى لها أهميتها في تحفيز وجذب الأطفال وحثهم على زيارة واستخدام المكتبة نذكر منها مايلي[٢٨]:

١ ــ تحديد أوقات معينة لتصفح الكتب المصورة للأطفال تحت رعاية أمين أو أمينة المكتبة ، ويمكن أن يكون هذا النشاط حافزاً لمتابعة أنشطة أخرى كساعات القصة .

٢ ــ التمارين أو الواجبات المكتبية التي تتم داخل المكتبة .. وقد أخذت بعض المكتبات في توفير قاعات لأداء مثل هذه المهمة بغية تحبيب المكتبة إلى الأطفال من جهة وللتعرف على طبيعة عملها من جهة أخرى .

٣ ــ عمل «البومات : Albums» لأغلفة الكتب الخارجية «Book Jakets» كنشاط يساعد الأطفال على معرفة الكتب التي يرغبون في الاطلاع عليها .

٤ ــ منح «باجات : Badges» خاصة للأطفال الذين أكملوا دورة لقراءة الكتب المخصصة لهم من قبل أمين المكتبة بما يلبي رغباتهم ، ومثل هذا النشاط يعتبر محفزاً للأطفال الآخرين للانضمام إلى مثل هذه الدورات والتنافس لإكمال متطلباتها .

٥ ــ عمل مسابقات للأطفال حول طبيعة عمل المكتبة يتم من خلالها منح جوائز تقديرية ومالية للأطفال الفائزين ، فعلى سبيل المثال ، نظمت إحدى وسبعون مكتبة بريطانية مثل هذه المسابقات

عام ١٩٦٠ .

٦ ـــ إضافة إلى النشاطات الأخرى التي تعتمد على طبيعة المكتبة وظروف المجتمع وإمكاناته المادية والبشرية .

مكتبات الأطفال في العراق

عند تناول واقع الخدمة المكتبية للأطفال في العراق لابد من الإشارة إلى أنها ترتبط بخدمات المكتبات العامة التي يعود تأسيسها إلى عام ١٩٢٠ م حيث تم افتتاح أول مكتبة عامة في ١٩٢٠/٢/١٦ وسميت بمكتبة السلام[٢٩] وقد تزايدت أعداد هذه المكتبات بعد هذا التاريخ وتطورت أقسامها واتسعت خدماتها لتشمل المدن والقرى ، واحتوى بعضها على أقسام خاصة بالأطفال ، إلا أن هذه الأقسام غير متكاملة وغير مبرمجة ، ولم تهيأ لها المتطلبات الأساسية ، سواء على مستوى الخدمة أو المجاميع أو العناصر البشرية المؤهلة ، وليس هناك ما يشير إلى تأسيس مكتبات خاصة بالأطفال تنهض بمهمة تقديم هذه الخدمة الحيوية سوى مكتبة الطفل العربي في الكرخ التي تأسست عام ١٩٦٨[٣٠]، في مدينة بغداد ، ومكتبة أطفال القادسية التي افتتحت في المدينة ذاتها في ١٩٨٦/١/٢٧[٣١]. أما بالنسبة لمحافظات القطر ، فقد بقيت الخدمة المكتبية للأطفال فيها مقتصرة على خدمات المكتبات العامة التي أنشئت فيها أقسام خاصة بالأطفال تضم كتب ومنشورات الدار الوطنية ودار ثقافة الأطفال ، و ما زالت بحاجة إلى التطوير من حيث إغناء مجاميعها المكتبية ورفدها بالعناصر البشرية المؤهلة وتزويدها بالأثاث والمستلزمات الضرورية التي تزيد من فاعلية خدمة وتثقيف الأطفال وتنمية مواهبهم بشكل شمولي ومتكامل .

مكتبة الطفل العربي

وتعتبر أول مكتبة خاصة بالأطفال تأسست في العراق ، أخذت على عاتقها الاهتمام بالطفل وتوفير حاجاته الأساسية ورغباته من خلال توسيع خدماتها وأنشطتها لتحقيق الأهداف التي وجدت من أجلها كمكتبة مستقلة لجمهور الأطفال ، حيث تستقبل الأطفال من عمر ٧ ـــ ١٤ سنة ، ويتم الانتساب إليها بعد تزويد المكتبة بصور الأطفال لعمل الهويات اللازمة تتضمن العنوان وتاريخ الولادة ورقم الهاتف .. وتفتح المكتبة أبوابها للأطفال وطلبة المدارس من الساعة الثامنة صباحاً حتى الثانية بعد الظهر ، أما الفترة الثانية فتبدأ بعد الثانية حتى السابعة عصراً ، وتكون مخصصة للأطفال ومدارس المعوقين والمعاهد التابعة للعلل الاجتماعية[٣٢].

أقسام المكتبة : تضم المكتبة الأقسام التالية :

١ ـــ قاعات المطالعة : توجد غرفتان للمطالعة ، الأولى مخصصة للأطفال من أعمار ٧ ـــ ٩ سنوات مجهزة بالأثاث المناسب لهذه الأعمار ، وتسع أربعين طفلاً ، وتمتاز مجاميعها بالكتب المصورة والألعاب والدمى الموزعة بين الكتب كوسيلة لجذب الطفل لارتياد المكتبة ، أما القاعة الأخرى فمخصصة للأطفال الأكبر عمراً وتسع مائة وخمسة عشر طفلاً ، وتمتاز مجاميعها بتوزيعها موضوعياً ، وقد روعي فيها حاجات ورغبات الأطفال ، وتقوم أمينة المكتبة بإرشاد الأطفال لاختيار وانتقاء الكتب المناسبة لأعمارهم ، كما تضم المكتبة مجموعة من كتب المراجع المبسطة والمصورة والمجلات المحلية .

٢ ـــ المرسم : يضم قاعتين يستوعب كل منها (١٦) طفلاً ، مزودتين بالمواد الفنية والألوان التي يحتاجها الطفل ، وفي هذا النشاط يتاح للطفل تنمية مواهبه والتعبير عن مشاعره بتوجيه وإشراف المسؤولة عن هذا القسم .

٣ ـــ قاعة الموسيقى : وهي قاعة صغيرة وجميلة تضم الآلات الموسيقية المتنوعة ، إضافة إلى الرفوف المزودة بتسجيلات الأناشيد والموسيقى الكلاسيكية ، والقاعة مزينة ببعض الرسوم التي تخص فن الموسيقى ، ويشرف على هذه القاعة متخصص بالموسيقى يأخذ على عاتقه التعريف بالآلات الموسيقية وتزويدهم بالمعلومات التي تخص هذا الجانب وتعريفهم بأشهر الموسيقيين ، إضافة إلى تدريبهم ورعاية مواهبهم وإبداعاتهم .

وهناك نشاطات أخرى تقوم بها المكتبة يمكن إيجازها بما يلي[٣٣]:

١ ـــ إقامة المعارض السنوية لرسوم الأطفال وتعزيز ذلك بالجوائز المرصدة لهم بغية تشجيع المنافسة والإبداع .

٢ ـــ المشاركة في معارض الكتب على المستوى العربي والعالمي .

٣ ـــ المساهمة في إقامة الحفلات والنشاطات التي تخص المناسبات الوطنية والقومية وتشجيع الأطفال على المشاركة فيها .

٤ ـــ تستضيف المكتبة نشاطات الجهات والمؤسسات المهتمة بالأطفال داخل بنايتها كإقامة معارض الرسم والحفلات الموسيقية .

٥ ـــ عرض الأفلام السينمائية التي تتناسب وأعمار الأطفال وميولهم ورغباتهم ، آخذة بنظر الاعتبار المضامين التربوية والعلمية الهادفة ، إضافة إلى العروض المسرحية التي يشارك فيها الأطفال والتي تقام في المناسبات المختلفة .

وظائف وأعمال المكتبة :

هناك جملة أعمال ووظائف تنهض بأدائها المكتبة يمكن تحديدها بالآتي :

١ ـــ إن مسؤولية المكتبة تقوم بها أمينة المكتبة المتخصصة برياض الأطفال وتربية الطفل ولها ممارسة في التعليم والإدارة المدرسية ، أما الاختصاصات الأخرى فمتباينة بين الدبلوم الوسطي والمؤهلات الأخرى .

٢ ـــ يتم اختيار الكتب عن طريق قنوات عديدة ، منها الإدارة المحلية لمحافظة بغداد ، أو عن طريق شراء الكتب والمطبوعات المتوفرة في الأسواق اعتماداً على سلفة دورية مقدارها خمسون ديناراً ، وقد يتصل بعض الناشرين بالمكتبة وإعلامها بصدور الكتب المناسبة للأطفال ، أو عن طريق الزيارات التي تقوم بها أمينة المكتبة لدور بيع الكتب المحلية ، وقد بلغ عدد الكتب التي تحتويها المكتبة (١٥٨٨٦) كتاباً في عام ١٩٧٦ وارتادها خلال العام نفسه ٧٩٢٧٢ طفلاً من مختلف الأعمار[٣٤].

٣ ـــ تتبع المكتبة طرقاً مبسطة لفهرسة وتصنيف مجاميعها تعتمد على تبسيط نظام ديوي العشري واختصار المعلومات الواردة في بطاقة الفهرسة .

٤ ـــ تعتمد المكتبة نظام الرفوف المفتوحة ، وتعار الكتب داخلياً للأطفال للقراءة والاطلاع ، أما بالنسبة للإعارة الخارجية فالمكتبة تسمح بذلك لقاء تأمينات محددة تؤخذ من الأطفال ويتم إعادتها عند إرجاع الكتب المعارة .

مكتبة أطفال القادسية

تم افتتاح مكتبة أطفال القادسية في السابع والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٨٦ م وتحتل المكتبة بنايتها المستقلة في شارع صفي الدين الحلي ، مقابل محطة تعبئة المستنصرية ، وعلى الرغم من بعد موقع المكتبة عن المدارس إلا أنها تستقبل مجاميع الأطفال بعد التنسيق مع إدارات المدارس ، حيث تكون الزيارات بمعدل ثلاث مدارس يومياً ، وبحدود (٥٠ ـــ ٦٠) طفلاً .

وتحتوي المكتبة على قاعتين للمطالعة تسع الأولى سبعين طفلاً من عمر ٨ ـــ ١٤ سنة ، وتضم القصص العلمية إضافة إلى كتب المعارف العامة المبسطة ، أما القاعة الثانية فتتسع لأربعين طفلاً من عمر ٤ ـــ ٨ سنوات ، وتحتوي على الصور المجسمة والقصص المصورة[٣٥].

إضافة إلى قاعات المطالعة توجد قاعات أخرى مخصصة لنشاطات وبرامج المكتبة هي[٣٦]:

١ ـــ قاعة الرسم : وتهيأ في هذه القاعة مستلزمات وأدوات رسوم الأطفال التي تقدم مجاناً كالورق والألوان ، وتشرف على القاعة معلمة رسم تتابع نشاطات الأطفال ورسومهم وتشجعهم للمساهمة في إقامة المعارض في المناسبات الوطنية والقومية .

٢ ـــ قاعة الموسيقى : تتوفر فيها بعض الآلات الموسيقية ، وقد خصصت المكتبة معلماً موسيقياً يتابع مواهب الأطفال وتنمية قدراتهم وإكسابهم المهارات الموسيقية من خلال التدريب ، إلا أن معلم الموسيقى منسب للعمل في المكتبة لثلاثة أيام في الأسبوع ، الأمر الذي أدى الى ازدحام الأطفال في الأيام المخصصة لهذا النشاط ـــ إضافة إلى أن المكتبة بحاجة إلى آلات موسيقية إضافية لكي تؤدي دورها بشكل فعال .

٣ ـــ قاعة التلفزيون . ويتضح نشاط هذه القاعة في العطل الصيفية من خلال استقبال الأطفال لبرامج البث الصباحي ، وعموماً تستقطب هذه القاعة أعداداً لا بأس بها من جمهور الأطفال .

٤ ـــ قاعة العرض السينمائي : وتعتمد القاعة في نشاطاتها على عرض الأفلام المعارة من التلفزيون التربوي التابع لوزارة التربية ، إلا أن ما يتوفر من أفلام تفتقر إلى الحداثة ، وهي غير ملونة ، إضافة إلى أن بعضها بلغات أجنبية ، وطموح المكتبة أن تحصل على مجموعة من الأفلام التربوية الهادفة والجذابة ، إضافة إلى توفير جهاز الفيديو ذي الشاشة الكبيرة .

ولابد من الإشارة إلى أن أثاث المكتبة مناسب من حيث الشكل والمتانة والحجم ، كما أنه يسد حاجة جمهور الأطفال ، وقد صمم بما يتناسب مع أطوال الأطفال وأعمارهم ، سواء ما يتعلق بالكراسي أو المناضد أو الرفوف .

العاملون في المكتبة

تضم المكتبة مجموعة من العاملين الذين تتباين اختصاصاتهم بين دبلوم مكتبات إلى خريج الدراسة المتوسطة ، إضافة إلى المنظفين والفلاحين والحراس . وفيما يلي بيان بأعداد العاملين ومؤهلاتهم[٣٧]:

ـــ المتخصصون دبلوم مكتبات : ٢
ـــ دبلوم إرشاد اجتماعي : ١
ـــ الدراسة المتوسطة : ٤
ـــ الدراسة الابتدائية : ١
ـــ أمي : ٥

ومن خلال ملاحظة أعداد ومؤهلات العاملين في المكتبة يتضح بأن المكتبة تستطيع أن تغطي العمل المكتبي والنشاطات والخدمات الأخرى بمثل هذا الحجم من العاملين ، ويتم توزيع الأعمال الفنية والإدارية والخدمية والإشراف وفقاً للتخصصات والمؤهلات التي يمتلكها العاملون ، وتمكن الإشارة إلى جملة من الأعمال والنشاطات التي تؤديها أمينة المكتبة بالتعاون مع العاملين الآخرين بما يلي :

١ ـــ إدارة أعمال المكتبة .
٢ ـــ فهرسة وتصنيف الكتب .
٣ ـــ متابعة السجلات وعمل الإحصائيات والتقارير .
٤ ـــ الاتصال بالمدارس بصورة رسمية بغية حثها وتشجيعها على زيارة المكتبة ووضع الجداول الخاصة بمواعيد الزيارات لكل مدرسة .

٥ ــ استقبال الزوار والباحثين وأولياء أمور الأطفال وتقديم الإرشادات والخدمة المطلوبة .

المجموعة المكتبية

تتنوع المجموعة المكتبية في مكتبة أطفال القادسية بين كتب المراجع المبسطة والمعارف العامة والقصص العلمية والخيالية والأدبية وكتب الجغرافية والعلوم التطبيقية والعلوم الاجتماعية والأديان والزراعة والتدبير المنزلي ، وقد بلغت المجاميع التي تضمها المكتبة حتى عام ١٩٨٨ حوالي (١٤٥٤٣) كتاباً بعد أن كانت أعدادها (١٢٨٠٠) كتاباً في عام ١٩٨٧م . ويتم تزويد المكتبة بالمطبوعات عن طريق الشراء والتبادل والإهداء ، إلا أن عملية اختيار الكتب تتم من خلال لجنة تضم أمينة المكتبة وبعض الأعضاء من أمانة بغداد ، حيث تقوم أمينة المكتبة باقتراح شراء بعض الكتب من خلال إعداد قوائم بالكتب المقترح ضمها للمكتبة ، أما الجهات التي يتم من خلالها الحصول على الكتب ومطبوعات الأطفال فهي دار ثقافة الأطفال والدار الوطنية ومعارض الكتب ومحلات بيع الكتب ..

المقترحات والتوصيات

١ ــ العمل على نشر وتوسيع آفاق الخدمة المكتبية للأطفال من خلال إنشاء المكتبات المتخصصة لهذه الشريحة من المجتمع لتشمل كل محافظات القطر ، إضافة إلى إعطاء أهمية خاصة ورعاية متميزة لتطوير مستلزمات أقسام الأطفال في المكتبات العامة ، والعمل على تنظيمها وتأثيثها وإغناء مجاميعها بمختلف أوعية المعلومات .

٢ ــ إعطاء أهمية استثنائية لتعيين المتخصصين في حقل المكتبات والمعلومات وبخاصة ممن له تخصص دقيق بأدب الأطفال ومكتباتهم ، ومن المتخصصين الآخرين بعلم نفس الطفل وعلم الاجتماع وممن تتوفر فيهم الخبرة والممارسة وحب العمل مع الأطفال .

٣ ــ تحقيق التعاون والتنسيق بين مكتبات الأطفال والمكتبات المدرسية في المجالات الفنية والاجتماعية وتبادل الخبرات والزيارات وبرمجتها بالشكل الذي يعزز أواصر العلاقات الاجتماعية والإنسانية ويسهم في إغناء العملية التعليمية والتربوية وبناء شخصية الطفل وتشجيعه المستمر على القراءة والاطلاع وتنمية ثقافته ومواهبه وإشباع ميوله القرائية .

٤ ــ التوجه إلى الاهتمام بأدب الأطفال شكلاً ومضموناً ، وتشجيع الكتابة للأطفال بمختلف الموضوعات ، وتبسيط مضامينها وتلوينها بالشكل الذي يرضي ميول الأطفال ورغباتهم ويراعي أعمارهم العقلية وخلفياتهم البيئية والاجتماعية ، على أن تتضافر على تحقيق ذلك جهود التربويين والباحثين وعلماء النفس والمهتمين بأدب الأطفال .

٥ ــ الاهتمام بمواقع ومباني هذه المكتبات من خلال تشكيل لجان خاصة تضم المكتبيين والتربويين والمهندسين المعماريين ضمن شروط ومواصفات اختيار المواقع المناسبة ومبانيها العصرية التي تتوافق وتقديم خدمات متطورة حديثة وفعالة .

٦ ــ ضرورة تحقيق التعاون بين وسائل الإعلام المختلفة ومكتبات الأطفال ، كأن يخصص التلفزيون التربوي برنامجاً للتوعية المكتبية وتعليم استخدام المكتبة ورواية القصة والتعريف بأخبار ونشاطات وإصدارات مكتبة الطفل وبرامجها الثقافية وتعميم فائدتها ونقلها بالصورة المرئية والمسموعة إلى بيوت المستفيدين .

٧ ــ العمل على توعية أسر الأطفال وحثهم على رعاية مواهب وإبداعات الأطفال وتشجيعهم على زيارة المكتبة ، إضافة إلى بلورة اهتمامهم بتكوين مكتبات منزلية تشكل رافداً يغني قراءاتهم وتطلعاتهم .

٨ ــ عقد المؤتمرات المكتبية والحلقات الدراسية التي تهتم بمناقشة ودراسة مكتبات الأطفال وتوسيع المشاركة فيها من خلال توجيه الدعوات للمكتبيين المتخصصين والتربويين والمهتمين بعالم الطفولة لغرض وضع الخطط التفصيلية والأطر التي تحدد مسار خدمات الأطفال وتضعها باتجاهاتها الصحيحة ، فضلاً عن الإفادة من التطورات الحديثة والتجارب العالمية التي تعنى بتخطيط وإنشاء ورعاية هذا النوع من المكتبات .

٩ ــ العمل على نشر وتوسيع الخدمة المكتبية للأطفال في المناطق النائية والأرياف لكي تكون الفائدة شاملة لا تقتصر على الأطفال القاطنين في المدن .

١٠ ــ التوجه إلى دعم البرامج والنشاطات التي تسهم في جذب وتشويق الأطفال وتوفير مستلزماتها المتعلقة بتوفير الغرف والقاعات وأدوات الرسم والموسيقى والعروض السينمائية ولعب الأطفال والفنيين المؤهلين ممن تتوفر فيهم الرغبة الصادقة للعمل وخدمة الأطفال .

١١ ــ إقامة المعارض والندوات والمهرجانات الفنية ومحاولة إشراك الأطفال فيها وعمل المسابقات وتخصيص الجوائز التقديرية لغرض احتضان الأطفال وإذكاء حماسهم وكسبهم عبر قنوات متنوعة .

١٢ ــ تشجيع الكتاب والمؤلفين ودور النشر على إصدار السلاسل الثقافية التي تعرف بتاريخ الأمة العربية ومنجزاتها الحضارية وبطولات قادتها ومآثر علمائها وأدبائها في مختلف الميادين ، بأسلوب سهل وواضح وإخراج فني جميل وجذاب .

١٣ ــ تبادل الكتب والمطبوعات الثقافية بين مكتبات الأطفال

والمؤسسات الثقافية والتربوية التي تعنى بالطفولة داخل القطر وخارجه .

١٤ ـ التأكيد على عدم ترويج نقل الموظفين المتخصصين في مكتبات الأطفال إلى دوائر ومؤسسات أخرى لا علاقة لها باهتمام واختصاص هؤلاء الموظفين .

١٥ ـ تحديد مخصصات مالية مستقلة كافية تمكن هذه المكتبات من تلبية حاجاتها وشراء مطبوعاتها وتطوير وتوسيع برامجها وخدماتها المختلفة .

الهوامش

(١) سهير أحمد محفوظ . الخدمة المكتبية العامة للأطفال . القاهرة ، مطابع الناشر العربي ، ١٩٧٧ . ص ٢-٤ .

(٢) لا نجد مثل هذا التوجه في الدين الإسلامي الحنيف (عالم الكتب) .

(٣) منى محمد علي . مكتبة الطفل : خصائصها ، تنظيمها ، مؤهلات العاملين فيها . بغداد ، مطبعة شفيق ، ١٩٧٩ . ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٤) سعيد أحمد حسن . المكتبات وأثرها الثقافي ، الاجتماعي ، التعليمي . عمان ، المؤلف ، ١٩٨٦ ، ص ٢٨

(٥) مفتاح محمد ذياب . «مقدمة في أدب الأطفال» المجلة المغربية للتوثيق . ع ١ (أكتوبر ١٩٨٣) ص ٤٩ .

(٦) للمزيد من المعلومات : انظر علي الحديدي . في أدب الأطفال . ط ٢ . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦ . ص ٨١ ـ ١٠٢ .

(٧) علي الحديدي ، مصدر سابق ، ص ٣٩ ، ٤٢ .

(٨) هيفاء شرايحة . أدب الأطفال ومكتباتهم . عمان ، المطبعة الوطنية ، ١٩٧٨ . ص ١٨ .

(٩) كتبها دانيال ديفو عام ١٧١٩ .

(١٠) كتبها يوحنا سويفت عام ١٧٢٦ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ١٩ .

(١٢) مفتاح محمد ذياب ، مصدر سابق ، ص ٥٢ .

(١٣) هيفاء شرايحة ، مصدر سابق ، ص ٢٠

(١٤) علي الحديدي . مصدر سابق . ص ٥٧ ـ ٥٨ .

(١٥) مفتاح محمد ذياب . مصدر سابق ص ٥٤ .

(١٦) هيفاء شرايحة . مصدر سابق ، ص ٢٧ .

(١٧) شعبان عبد العزيز خليفة . تزويد المكتبات بالمطبوعات ، أسسه النظرية وإجراءاته العملية . ط ٣ . الرياض ، دار المريخ ، ١٩٨٥ . ص ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٢ .

(١٨) منى محمد علي ، مصدر سابق ، ص ٦٤ .

(١٩) سهير أحمد محفوظ . مصدر سابق ص ٩٩ ـ ١٠٠

(٢٠) منى محمد علي . مصدر سابق ، ص ٣٥ .

(٢١) سهير أحمد محفوظ . مصدر سابق . ص ١٠٦ .

(٢٢) Harrod. LM. Library work with children. London Andre deutsch, 1969. p 151.

(٢٣) سهير أحمد محفوظ . مصدر سابق . ص ٢٠ ـ ٢١ .

(٢٤) عبد الكريم الأمين . «مهام مكتبة الطفل وتنظيمها» في : الحلقة الدراسية التي ينظمها الاتحاد العام لنساء العراق وجامعة البصرة للفترة من ١٣-١٥/١/١٩٧٩ ، بغداد ، الاتحاد ، ١٩٧٩ ، ص ١١ .

(٢٥) أميرة العلاق . «مكتبات الأطفال في العراق» في : الحلقة الدراسية التي ينظمها الاتحاد العام لنساء العراق وجامعة البصرة للفترة من ١٣-١٥/١/١٩٧٩ بغداد ، الاتحاد ، ١٩٧٩ ، ص ١٦ ـ ١٨ .

(٢٦) Jolliffe, Harold. Public Library extension activities. 2nd ed. London. LA. 1968. pp. 243-44.

(٢٧) علي الحديدي ، مصدر سابق ، ص ٢ ـ ٣ .

(٢٨) Jolliffe Harold. op. cit. p. 246.

(٢٩) عامر إبراهيم قنديلجي (وآخرون) . الكتب والمكتبات : المدخل إلى عالم المكتبات والمعلومات ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٩ ، ص ١٧٩ .

(٣٠) منى محمد علي . مصدر سابق . ص ١١٠ .

(٣١) مكتبات الاطفال وآفاق تطورها (تحقيق صحفي) جريدة الجمهورية العدد (٦٣٧١) شباط ١٩٨٧ — ص ٤ .
(٣٢) أميرة العلاق ، مصدر سابق ، ص ٢٨ .
(٣٣) منى محمد علي . مصدر سابق ، ص ١١١
(٣٤) المصدر نفسه ، ص ١١٢ .
(٣٥) مكتبات الأطفال وآفاق تطورها ، مصدر سابق ، ص ٤ .
(٣٦) مقابلة مع أمينة المكتبة بتاريخ ١٩٨٨/١١/٩ .
(٣٧) المعلومات مستقاة من المقابلات التي أجريت مع أمينة المكتبة والعاملين فيها بتاريخ ١٩٨٨/١١/٩ .

المصادر العربية

أ — الكتب والمجلات

(١) سعيد أحمد حسن . المكتبات وأثرها الثقافي ، الاجتماعي ، التعليمي ، عمان ، المؤلف ، ١٩٨٦ ، ١٧٦ ص .
(٢) سهير أحمد محفوظ . الخدمة المكتبية العامة للأطفال ، القاهرة ، مطابع الناشر العربي ، ١٩٧٧ .
٣ — شعبان عبد العزيز خليفة . تزويد المكتبات بالمطبوعات ، أسسه النظرية وإجراءاته العملية . ط ٣ . الرياض ، دار المريخ ، ١٩٨٥ ، ٢٦٣ ص .
(٤) عامر إبراهيم قنديلجي (وآخرون) . الكتب والمكتبات : المدخل إلى علم المكتبات والمعلومات . بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٩ . ٣٥٤ ص .
(٥) علي الحديدي . في أدب الأطفال . ط ٢ . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦ . ٣٢٨ ص .
(٦) مفتاح محمد ذياب «مقدمة في أدب الأطفال» المجلة المغربية للتوثيق ، ع ١ (أكتوبر ١٩٨٣) ص ٤٩ — ٥٧ .
(٧) منى محمد علي الشيخ إبراهيم . مكتبة الطفل : خصائصها ، تنظيمها ، مؤهلات العاملين فيها . بغداد ، مطبعة شفيق ، ١٩٧٩ . ١٢٨ ص .
(٨) هيفاء شرايحة . أدب الأطفال ومكتباتهم . عمان ، المطبعة الوطنية ، ١٩٧٨ ، ١٣٧ ص .

ب — الحلقات الدراسية .

(١) أميرة العلاق «مكتبات الأطفال في العراق» في : الحلقة الدراسية التي ينظمها الاتحاد العام لنساء العراق وجامعة البصرة للفترة من ١٣-١٥/١/١٩٧٩ . بغداد ، الاتحاد ، ١٩٧٩ ، ٥٧ ص .
(٢) عبد الكريم الأمين . «مهام مكتبة الطفل وتنظيمها» في : الحلقة الدراسية التي ينظمها الاتحاد العام لنساء العراق وجامعة البصرة للفترة من ١٣-١٥/١/١٩٧٩ . بغداد ، الاتحاد ، ١٩٧٩ ، ٢٥ ص .

ج — الصحف .

مكتبات الأطفال وآفاق تطورها (تحقيق صحفي) . جريدة الجمهورية ،العدد ٦٣٧١ شباط ١٩٨٧ .

د — المقابلات .

مقابلة مع أمينة مكتبة أطفال القادسية والعاملين فيها بتاريخ ١٩٨٨/١١/٩ .

المصادر الأجنبية

1. Harrod, L.M. Library work with children. London Andre deutsch. 1969, 215p.

2. Jolliffe. Harold. Public Library Extension activities. 2nd ed. London. LA. 1968. 343p.

• • •

المراجعات والنقد

الإسلام والمسيحية

لهانس كونج و فان إس

القسم الخامس

السيد محمد الشاهد

كلية الشريعة / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

هانس كونج وآخرون/المسيحية وديانات العالم. ــ ميونيخ : داربيير ، ١٩٨٤ م ، ٦٣١ ص .

الباب الثالث : الله والتصوف الإسلامي ، والإنسان والمجتمع

الفصل الأول : وجهات نظر إسلامية : (جوزيف فان إس)

ــ أولية التوحيد :

يبدأ «فان إس» هذا الفصل بتعريف لتصور المسلمين للتوحيد ، ويذكر الفروق الموجودة بين هذا التصور والتصور المسيحي للتوحيد الذي يبدو فيه التوحيد وكأنه مجرد فكرة غير واضحة المعالم ، بينما تكون فكرة التوحيد عند المسلمين فكرة واضحة وعقلية وتقترب مما وصفه «بليسيه بسكال» (ت ١٦٦٢ م) بالتصور الفلسفي للإله الذي يعتمد على العقل والمنطق في مقابل التصور الديني للألوهية (إله إبراهيم وإسحق ويعقوب) ويقرر فان إس أن المسلم يرفض التثليث وكل ما يشوب التوحيد من حلول أو تشبيه ، على الرغم من ورود صفات لله عز وجل في القرآن يشترك فيها الإنسان أيضاً مثل العلم وغيره ، ويبقى الله متعالياً على البشر ولا واسطة بينهما . ويلاحظ أن أسلوب الاتصال بين الله والإنسان هو الذي يشكل الفارق الأساسي بين التصور المسيحي والإسلامي ، ففي التصور المسيحي يتم الاتصال عن طريق الحلول ، أي ما يسمونه حلول اللاهوت في الناسوت (Inkarnation) أي هو اتصال مادي جسدي ، بينما يرفض التصور الإسلامي هذا الاتصال المباشر ، ويقرر بدلاً منه الاتصال غير المباشر ، أي عن طريق الوحي فقط . فالتعالي الإلهي لا يعني انعدام الاتصال بين الله والإنسان ، ولكن يحدد نوع هذا الاتصال ، فيكون الله عز وجل متعالياً بذاته ومتصلاً بإرادته ، فلا يتناقض التعالي مع الاتصال بالإنسان ، فالحدود بين الله والإنسان التي يذكرها «فان إس» (في صفحة ١٢٠) التي لا يمكن إلغاؤها في التصور الإسلامي ، هي حدود تمنع الاتصال الجسدي فقط وتسمح بالاتصال عن طريق واسطة أي عن طريق الوحي ، فالله بعيد عن الإنسان بتعالي ذاته وقريب منه بإرادته ووحيه .

ثم يستطرد فان إس في عرض معنى «الرحمة» عند المسلمين ، ويوضح الفرق بينها وبين ما يقابلها في التصور المسيحي وهو «الأبوة» ويقرر بحق أن معنى كلمة «الرحمة» يتضمن ما يفهمه المسيحي من «الأبوة» ، لأن الأب دائماً رحيم بأطفاله ، ويرجع رفض المسلمين لاستخدام مصطلح الأبوة إلى أن هذا المصطلح يتضمن أن الله له أبناء أي أنه يلد ، وهذا ما يرفضه الإسلام تماماً ، ولكن الفهم الإسلامي للرحمة ينبني على أساس علاقة «العبودية» من الإنسان لله وليست كما هي عند المسيحيين علاقة «بنوة» ، ويتحد التصوران الإسلامي والمسيحي في أن رحمة الله تتضمن الثقة التامة والاطمئنان إلى أن هذه الرحمة لا تنقطع ، سواء أكان الطرف الآخر ابناً كما هو عند المسيحيين ، أو عبداً كما هو في التصور الإسلامي ، والمسيحي يقابل هذه الرحمة (الأبوية) بالثقة في دوامها ، وأما المسلم فيقابلها بالطاعة التامة والشكر لله على نعمه ، حتى إن كلمة «الكفر» في التصور الإسلامي تعنى الكفر بنعمة الله .

أما لفظ الحب أو المحبة الذي نجده في الكتب المقدسة فهو موجود أيضاً في القرآن الكريم ، ولكن علماء المسلمين ، كما يقول «فان إس» ، لم يفسروا هذه المحبة بأنها لله (تعالى) كما يفعل المسيحيون ، لأن معنى المحبة يتضمن معنى النقص أو الحاجة إلى المحبوب ، وهذا ما يتعارض مع التصور الإسلامي للألوهية ، ويستنتج فان إس من هذا العرض الموفق إلى حد كبير أن ثقة المسلم لا تنصب في ذات الله أي شخصه ، كما يقول ، ولكن في إرادته ، لأن ذاته بعيدة عن الإنسان ولا يصل إلى الإنسان من الله سوى إرادته ، إذن هي ثقة في إرادة الله فقط ؛ ويعود «فان إس» بذلك إلى التأكيد على أن الله منعزل تماماً عن الإنسان ، ولا علاقة بينه وبين الإنسان سوى عن طريق الإرادة ، وكان الأولى أن يوضح فان إس ما يريده بطريقة مباشرة ، لأن هذا العرض على ما فيه من وجهات نظر صحيحة يعطي الانطباع بأن المسلمين يعبدون ويطيعون إلهاً لا يعرفون عنه أي شيء سوى إرادته ، وهذا ما يخالف الحقيقة ، لأن المسلم يعرف الله عن طريق صفاته الكثيرة التي ذكرها في القرآن ، وليس فقط عن طريق الإرادة التي هي صفة من صفات ذاته ، ونستطيع أن نقول إن المسلم يعرف عن الله كل شيء سوى كيفية ذاته تعالى ، هذه الكيفية سوف تظل بالنسبة إلى البشر جميعاً أمراً مستغلقاً لا يمكن الوصول إليه ؛ واستحالة الوصول إليه أمر منطقي ، لأن الإنسان محدود في ذاته وعلمه باتفاق الجميع ، فلا يستطيع أن يحيط إلا بما هو أدنى منه في التحديد ، أما الإحاطة (أي العلم) باللامحدود فيبقى بالنسبة للمحدود مستحيلاً ؛ وليس هذا القول مجرد حجة عقدية تستعين ببراهين عقلية أو منطقية بالقدر الذي يفيدها فقط ، ولكن قضية معرفة الذات ، أي ذات محدودة ، هي أيضاً من أصعب القضايا المعرفية التي واجهت وتواجه البشر حتى الآن عبر تاريخ الفكر الفلسفي ، وانقسمت حولها الآراء الفلسفية بين منكر لوجود الذات على أساس أن الذات وحدها لا يمكن معرفتها والإحاطة بها كما هو

المذهب الوضعي ، والوضعي المنطقي المعروف عند ديفيد هيوم (١٧٧٦ م) — وأرنست ماخ (١٩١٦ م) .

بينما يذهب المذهب الوضعي التحليلي إلى عدم الإنكار أو الإثبات لكل ما يخرج عن نطاق الإدراك الحسي والعقلي كما هو الحال عند برتراند رسل (١٩٧٠ م) .

ويذهب فلاسفة الظاهريات (Phänomenologie) إلى أن الإنسان لا يستطيع إدراك ذات أي شيء ، وكل ما يمكن إدراكه من الأشياء هو ظاهرها وآثارها كما يقول ايمانويل كانط (١٨٠٤ م) وهو سرل (١٩٣٨ م) ، فإذا كان الإنسان غير قادر على إدراك ذات الأشياء المخلوقة ولا يستطيع سوى إدراك ظواهرها فما بالك بإدراك ذات لا محدودة أي الذات الإلهية ؟ ويتفق الفلاسفة من وضعيين وتحليلين وظاهريين على أن محاولة معرفة كيفية الذات هي عبث لا طائل فيه كما يقول الفيلسوف الوضعي أرنست ماخ .

فهل يؤخذ على المسلمين عدم تعمقهم في البحث عن الذات الإلهية في كيفيتها وتقريرهم أن هذا العمل بحث لا طائل تحته ؟

ويستأنف «فان إس» حديثه عن المحبة في الإسلام ويقرر أن هذا المفهوم قد ازداد عمقاً عند المتصوفة ، وخاصة عند رابعة العدوية ، وإن لم يذكر اسمها .

ويرجع ظهور التصوف في العالم الإسلامي إلى المبالغة في تقنين الشريعة (الفقه) وكذلك المبالغة في تعقيل (التفكير العقل) العقيدة ، بالإضافة إلى انتشار الترف والبذخ والاتجاه إلى الدنيا في العصور الإسلامية الأولى خاصة في قصور الخلفاء ، و «فان إس» يتفق في ذلك مع رأي عبده فراج في كتابه «معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى» (صفحة ١١٢) .

ويلاحظ أنه لم يذكر تأثر المسلمين في ذلك بالتصوف النصراني أي الرهبانية ؛ وما عدا ذلك فيبدو عرضه لهذا الأمر عرضاً موضوعياً لم أجد فيه تجاوزاً أو اختلافاً عما يوجد في أبحاث العلماء المسلمين حول هذا الموضوع ، وإن تميز عرضه هنا بالدقة التي نفتقدها في كثير من مؤلفاتنا للأسف الشديد ، ونجد ذلك بصفة خاصة في محاولته تعريف المصطلحات الصوفية والتفرقة بينها وبين مقابلاتها في التصوف المسيحي أو من تأثر بهم من المتصوفة المسلمين ؛ فنجده مثلاً يعرف مصطلح الفناء الذي يتضمن فناء ذات الإنسان في الله ، فالله هو الباقي دائماً على حاله بينما الإنسان هو الذي يفنى فيه ، كما يقول المتصوفة ، أي أن العشق الذي يؤدي إلى هذا الفناء ليس عشقاً بين طرفين متكافئين ، ولكنه من طرف واحد هو الإنسان تجاه الذات الإلهية التي يفنى فيها ، بينما يؤدى العشق من طرفين متكافئين ، كما هو في التصوف المسيحي مثلاً ، إلى اتحاد الذاتين معاً ليصبحا ذاتاً واحدة ، على زعمهم ، والفارق بين الاتحاد والفناء واضح ، ولكن ذات الإنسان التي تفنى في الله تجد نفسها بعد هذا الفناء ، أي أنها لا تفنى نهائياً ولكنها تكون في حال لا يمكن وصفها ، وهذه الحال هي التي تسمى في التصوف «الوجد» وهذا الحال يدل على أن النفس — وهي في حالة الفناء — موجودة ، ولكن وجودها هنا مجرد عن كل الصفات الشخصية التي تحدد معالمها، وهذا التجرد هو السبب في عدم قدرة النفس الغائبة على وصف حالها في حال «الوجد» وهذا الوضع يوضح الفارق بين النفس الفانية والذات التي فنيت فيها النفس ، فيظل وضع العبودية قائماً في حال الفناء والوجد ؛ بينما «الاتحاد» يعني أن الطرفين متكافآن في العشق ، أي أن كلاً منهما يعشق الآخر ، وعندما يتحدان ينصهران معاً ويصبحان نفساً واحدة بعد سقوط كل الفوارق والحواجز بينهما . وهنا يتضح الفارق بين «الفناء» و «الاتحاد» بمعنى أصح بين التصوف الإسلامي والتصوف المسيحي . وهذا هو ما أراد «فان إس» التعبير عنه بإيجاز ، ولكني وجدت ضرورة إيضاحه بشيء من التفصيل قد يفيد القارىء المسلم في هذا المجال .

ويقول «فان إس» عن علاقة الله بالعالم (في صفحة ١٢٤) إنها علاقة المالك الذي يسير أمور ملكه لحظة بلحظة ولا يترك الأشياء إلى قوانينها الطبيعية ، ثم يذكر أن الله قد خلق للطبيعة قوانينها ولكنه يقدر في كل لحظة على خرق تلك القوانين بإظهار المعجزات ، ويصل المؤلف بذلك إلى أن الأمور الطبيعية تسير حسب مجرى العادة ، أي أنها تخلو من علاقة العلة والمعلول ، ويستشهد «فان إس» في هذا المجال بالإمام الغزالي ، ويقرر أنه سبق بذلك القول «ديفيد هيوم» ولي على هذا القول بعض الملحوظات :

أولاً : إن القول بأن الفكر الإسلامي يعترف بالعلاقة العلّية بين ظاهرتين طبيعيتين قول غير صحيح ، والدليل على ذلك ما ذكره ابن تيمية في كتابه الرد على المنطقيين ، وذكره السيوطي في «صون المنطق» ونقله لاوست في كتابه «مدخل إلى المبادىء الاجتماعية عند ابن تيمية» .

ثانياً : القول بأن الأمور الطبيعية تسير حسب مجرى العادة قد ورد عند بعض المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة قبل القاضي عبد الجبار الهمذاني ، ثم ظهر بعد ذلك عند أبي حامد الغزالي ، ولم يقل به كل الأشاعرة أو المعتزلة أو الفلاسفة .

ثالثاً : إن معنى مجرى العادة هنا عند القاضي عبد الجبار وأبي حامد الغزالي يختلف عما قال به «ديفيد هيوم» فبينما يعني مجرى العادة في الفكر الإسلامي تتابع الأحداث دون رابطة علّية بينها ، ولكن جرت العادة مثلاً على أن يتبع المطر تكاثف الغيم ، وليس لأن تكاثف الغيم علّة المطر ، والمرجع في هذا التتابع هو الحكمة الإلهية ، نجد عند «هيوم» التتابع بالصدفة ، لا يحكمه قانون اطرادي ، أو علّة طبيعية أو ميتافيزيقية ، بل هو يؤكد أن البحث وراء علة ميتافيزيقية للأشياء هو عبث محض .

ويتعرض «فان إس» بعد ذلك (صفحة ١٢٧ — ١٢٩) إلى المشكلة الكلامية المعروفة بالجبر والاختيار ، أي مدى قدرة العبد على فعله وما يترتب على ذلك من مسؤولية وحساب ، ويذكر باختصار شديد وجهة نظر القدرية ووجهة المجبرة ، ويخلص من هذا العرض إلى أن الله يُقدر العبد على فعل اختاره العبد ويكون الاختيار ، وليس الفعل ، هو أساس الحكم بالحسن أو القبح وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب ، وهو يعرض هنا وجهة نظر المتكلمين وخاصة المعتزلة والأشاعرة ، فقالت المعتزلة بالاستطاعة أي القدرة ، وقالت الأشاعرة بالكسب ، أي أنه ليس للإنسان سوى الاختيار ، أي اختيار فعل ما أو تركه ، أما القدرة على أدائه فهي تعطى له من الله عندما يختار الإنسان عمل شيء ما وهو يحاسب على هذا الاختيار ، ولكن «فان إس» يستنتج من ذلك أن الفعل القبيح أو الحسن في ذاته غير معروف عند المسلمين ، لأن الأفعال تخلق في كل مرة فتكون مرة حسنة ومرة أخرى قبيحة . وهذا الاستنتاج يجانبه الصواب ، لأن هناك من الأفعال ما هو دائماً قبيح ، بمعنى أنه قبيح في ذاته ولا يمكن أن يصبح تحت أي ظرف من الظروف حسناً مثل الظلم ، وهذا هو ما يقول به معظم المتكلمين إن لم يكن جميعهم ، وذلك بخلاف الكذب مثلاً ، قال بعض المعتزلة مثل القاضي عبد الجبار بحسنه إذا كان يؤدي إلى مصلحة أو دفع ضرر وفي كتاب «المغني في أبواب التوحيد والعدل» للقاضي عبد الجبار الهمذاني ، وكذلك في كتبه الأخرى مثل «شرح الأصول الخمسة» و «المجموع في المحيط بالتكليف» بالإضافة إلى كتاب جورج فضلو حوراني «العقلانية الإسلامية» (Islamic

(....Rationalism) ما يغني عن تفصيل الحديث في هذا الموضوع هنا ، وقد أصاب «فان إس» في عرض وجهة نظر أهل السنة والجماعة في موضوع التحسين والتقبيح بأن قال : إن الحسن عندهم هو ما أمر به الله ، والقبيح هو ما نهى عنه ، أي الطاعة والمعصية ، بدلاً من الحسن والقبح .

ويعود «فان إس» إلى استنتاج مقولة أخرى نسبها إلى المسلمين ، وهي تمثل وجهة نظر بعضهم ، أي خلق القدرة على الفعل بعد اختياره ، فهو يرى أن وجود الإنسان الحقيقي ، أي وجود الإنسان في ذاته باستمرار أمر غير أساسي في الفكر الإسلامي ، ومعنى ذلك أن علم الكلام الإسلامي لم يكن يعرف مصطلح «الشخصية» الذي يعني وجود الإنسان جسداً وروحاً وجوداً حقيقياً مستمراً ، ويقول : «ولم تعرف مشكلة بقاء الروح حية بعد فناء الجسد في الكلام الإسلامي إلا في فترة زمنية متأخرة» (صفحة ١٣٠ — ١٣١) .

وحديث «فان إس» في الفقرة الأولى غير واضح ، فالقارىء لا يستطيع أن يعرف على وجه الدقة عما إذا كان «فان إس» يقصد بوجود الإنسان وجوداً حقيقياً مستمراً ، وجود ما يسمى بالإنسان الكلي في مسألة الكليات (Universalien) أم أنه يقصد هذا الإنسان الجزئي مثلي ومثله ومثلك ؟ فإن كان يقصد مشكلة الكليات ، فهي مسألة لم تعالج في علم الكلام الإسلامي ، بل فيما يسمى بالفلسفة الإسلامية وخاصة عند ابن سينا ، أما إذا كان لا يقصد الإنسان الكلي فإن ادعاءه هنا خطأ من أوله إلى آخره ، فإن الإنسان موجود وجوداً حقيقياً في هذه الدنيا جسداً وروحاً ، وبصفة مستمرة ما دامت الدنيا باقية ، وذلك عن طريق التوالد ، أما الإنسان الفرد فهو موجود وجوداً حقيقياً جسداً وروحاً طوال حياته إلى أن يموت ، فتبقى روحه وتصعد إلى بارئها ويفنى جسده ، ولا أعرف مسلماً اختلف مع أخيه في ذلك . أما الفقرة الثانية التي تخص الروح ، فصحيح أنها لم تعرف كمشكلة كلامية إلا في فترة متأخرة ، أي في بدايات القرن الثالث الهجري ، خاصة عند أبي الهذيل والنظام ومعمر بن عباد وبشر بن المعتمر من المعتزلة ، وكثيراً ما كانت تناقش ضمن مشكلة الجوهر والعرض وخاصة فيما يسمى بمسألة الفناء والإعادة ، أما الاختلاف الذي ذكره «فان إس» بين المتكلمين في هذه المسألة فلم يكن حول وجود الروح في حد ذاته ولكن في ماهية الروح ، فالبعض قال إنها هي هيئة الإنسان ، أو نَفَسه الذي يتنفسه ؛ إلى آخر ذلك من آراء ، والسبب في أن المسلمين لم يتعمقوا في بحث ماهية الروح هو أن هذا الأمر من الأمور التي احتفظ الله لنفسه بمعرفتها ، قال تعالى : ﴿**يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾ (الإسراء ٨٥/١٧) وهذا ما أجمع عليه المسلمون من متكلمين وغيرهم .

ويرى «فان إس» أن المسلم يرى وجوده الحقيقي في كونه عضواً في مجتمع إسلامي ، ويعتبر إحساس المسلم بانتمائه إلى الأمة الإسلامية تعبيراً قوياً عن روح التضامن التي تربط المسلمين ، وتجد هذه الروح تعبيراً عملياً من خلال أداء الشعائر الدينية كصلاة الجماعة ، والصيام ، والحج ، وما إلى ذلك .

ويقرر المؤلف أن الإسلام هو دين المساواة ولا يعرف الفوارق الطبقية التي عرفت منذ الرومان والعصور الوسطى المسيحية . فالإسلام لا يفرق سوى بين الحر والعبد ؛ والعبد له حقوق وعليه واجبات ، وذلك بخلاف ما كان معروفاً قبل ذلك أو بعد ذلك في المجتمعات المسيحية ، حيث كان العبد ملكاً لسيده ليس له أية حقوق ، وعلى الرغم من أن الإسلام قد قرر للعبد حقوقاً وواجبات إلا أن المسلمين لم يفكروا في مدى صحة هذا النظام ، والوضع الطبيعي للإنسان كما كان يقرره الفقهاء هو أن يكون حراً وأن الرّق خارج عن قاعدة الإنسانية (ص ١٣٤) .

يلاحظ أن المؤلف قد وقع في تناقض مع نفسه ، فهو يقرر أن أشد المسلمين تعصباً لم يفكر في مدى صحة هذا النظام ، ومن جهة أخرى يقرر أن الفقهاء المسلمين كانوا يعتبرون أن الوضع الطبيعي للإنسان أن يكون حراً ، وأن الرق خارج عن قاعدة الإنسانية ، وأصل هذا الرأي هو اعتقاد أن الإسلام أقر نظام الرق الذي كان موجوداً في الجاهلية (ص ١٣٣) وأن ما أضافه الإسلام إلى هذا الوضع هو محاولة الحد من الظلم الذي يقع على الرق ، ويبدو أن هذا الرأي يسود معظم المؤلفات الاستشراقية التي تتناول النظام الاجتماعي في الإسلام ، وكأن هذا النظام الاجتماعي مبني على هذا التصور ، كما تبنى التصورات الرأسمالية والاشتراكية على أساس العلاقة بين العمال وصاحب رأس المال أو بين الفلاحين وملاك الأرض ، ولكن هذا التصور خطأ من الأساس ، فإن الإسلام تحدث عن الرق بصفته أمراً واقعاً ولم يقرر صحته ولم يقتصر على وضع إطار إنساني لمعاملة الرق بتقرير واجبات وحقوق بين السيد والعبد ، بل أمر وحثّ على تحرير الرق وجعل ذلك من الكفارات في أكثر من آية قرآنية ، اقرأ قوله تعالى : ﴿**ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة ..**﴾ إلى آخر الآية الكريمة التي ذكر فيها تحرير رقبة ثلاث مرات (النساء ٩٢/٤) . واقرأ قوله تعالى في سورة البلد (١٣/٩٠) : ﴿**فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة**﴾ واقرأ ما بين هاتين السورتين في سورة المائدة (٨٩/٥) وسورة المجادلة (٣/٥٨) . ومن أقوال الرسول ﷺ ما جاء في حجة الوداع : «أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى» فالتقوى وحدها — وليس الجنس ولا اللون ولا الوضع الاجتماعي — هي المقياس للفضل ، وهذا يدل على أن الإسلام يرفض هذا الوضع ويحث على تغييره ، ولم يقتصر ذلك على رأي الفقهاء كما يقول «فان إس» ولكن هذا هو رأي الإسلام من أبسط أبنائه إلى أعلمهم . و «فان إس» نفسه يقرر أن الإسلام لم يعرف أبداً التفرقة العنصرية (ص ١٣٢ — ١٣٣) ولقد جاء اللبس في هذا العرض نتيجة لما ذكره «فان إس» في بداية هذه الفقرة من أن أشد المسلمين تعصباً لم يفكر في مدى صحة هذا النظام أي نظام الرق ، ثم يقرر بعد ذلك أن الإسلام لم يعرف التفرقة العنصرية أبداً وهو دين المساواة ... الخ .

وينتقل «فان إس» إلى نقطة أخرى يأخذها على الإسلام ويدعي أن الإسلام قَبِل الأمر الواقع الذي كان سائداً في الجاهلية ، وهو وضع المرأة في المجتمع الإسلامي ، فالمرأة في المجتمع الإسلامي لا تزال تسعى للمساواة مع الرجل ، على حدّ قوله ، مع أن القرآن الكريم قد جاء بتعديلات محددة في صالحها مثل حقها في الوراثة (ص ١٣٤) ، ويرجع «فان إس» التطورات الإيجابية البسيطة التي طرأت على المرأة في المجتمع الإسلامي إلى التأثير الغربي وليس بفعل تطبيق التصور الإسلامي الصحيح ، ولا أريد هنا عرض ما كفله الإسلام من حقوق للمرأة وتكريمها كما لم تكرم في دين أو مجتمع آخر ، لأن القارىء العربي يعرف ذلك ، وقد كتب في هذا الموضوع العديد من الكتابات القيمة ، أذكر منها على سبيل المثال «المرأة في القرآن» لعباس محمود العقاد ، وكذلك «حقوق المرأة في الإسلام» لمحمد بن عبد الله عرفة ، وأحب أن أنوّه هنا إلى خطأ شائع بين من يتحدثون عن مشكلة المرأة ، وهو الخلط بين مفهومي العدل والمساواة ، فقد يتفق هذان المفهومان وقد يتناقضان ، فإذا كانت المساواة بين طرفين متساويين في كل شيء كانت المساواة عدلاً ، أما إذا كانت مساواة تامة بين طرفين أو عدة أطراف غير متساوية في طبيعتها فهو ظلم ، أي هي نقيض العدل ، كما يذكر

ذلك عباس محمود العقاد في كتابه المذكور (صفحة ٦٢) . وبالنسبة للمرأة والرجل فإن الجميع يعرف اختلافهما في الطبيعة والقدرات ، ولابد لهذا الاختلاف أن ينعكس على طبيعة الحقوق والواجبات التي تنسب إلى كل منهما ، فهي إذن حقوق وواجبات مختلفة ، فإذا كانت هذه الحقوق والواجبات مناسبة لطبيعة كل من المرأة والرجل كان هذا عدلاً وليس مساواة ، وأما إذا تساوت الحقوق والواجبات للمرأة والرجل مع اختلاف الطبيعة والقدرات كان هذا التساوي ظلماً لكل منهما ، فالعدل هو المطلوب وليست المساواة ، إذاً السؤال الذي ينبغي أن يطرح هنا هو التالي :

هل جاء تصور الإسلام لحقوق وواجبات المرأة عادلاً ؟ أي موافقاً لطبيعتها وقدراتها أم لا ؟ وأكثر ما يذكر من مظاهر لعدم المساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام يتركز عادة حول نقطتين وهما :

١) عدم حق المرأة في الطلاق من الرجل دون الرجوع إلى المحكمة .

٢) تعدد الزوجات للرجل دون مقابل ذلك بالنسبة للمرأة .

أما الرد على ذلك فأحيل القارىء إلى هذين الكتابين السالفي الذكر ، ففيهما ما يكفي في هذه المسألة . ولكني أريد أن أضيف إلى ذلك عبارة لعلها تنبهنا إلى خطورة هذه المسألة ، وهي أن ما يطبق في البلاد الإسلامية من عادات وتقاليد جاهلية خاصة في الزواج والطلاق وتعدد الزوجات ومعاملة الزوج للزوجة والأبناء وتفضيل الابن على الابنة في كثير من الأحيان هو السبب في هذا الهجوم والنقد الذي يوجهه غير المسلمين إلى المسلمين ، لأنهم يحسبون ما يقع من المسلمين على الإسلام ، والفارق شاسع بين الإسلام في تصوره الصحيح ، وبين ما يفعله كثير من المسلمين في حياتهم الاجتماعية ، وهذا واقع لا يختلف فيه اثنان ، ولن يفيدنا كثيراً التنبيه دائماً إلى أن القرآن الكريم والحديث الشريف تضمنا عدلاً وتكريماً للمرأة لا نجد له مثيلاً في ديانات أخرى ما دام التطبيق الفعلي في المجتمع الإسلامي يناقض ذلك ، فالعلاج إذن عندنا ومطلوب منا ، أقول العلاج وليس الرد النظري بالخطابة والهجوم على كل من يوجه النقد إلى المسلمين والاكتفاء باتهامه بعدائه للإسلام والمسلمين ، ولكن بعودتنا إلى تعاليم الدين الإسلامي وتطبيقنا لتصوره الصحيح تجاه المرأة .

وفي نهاية هذا الفصل يقرر «فان إس» أن الدين الإسلامي دين اجتماعي يختلف في علاقته بالمجتمع عن الدين المسيحي إلى حد ما ، كما يقول فان إس ، والأصح أن الاختلاف بينهما كبير جداً يكاد يكون جذرياً ، فمن المعروف أن المسيحية تفتقد كل النظم الاجتماعية سياسية واقتصادية وأسرية ... الخ . فليس غريباً إذن أن يكون المجتمع المسيحي عصرانياً ، أي أنه يعتمد في تنظيماته على نظم وضعية ، بينما الإسلام يقدم للمجتمع نظاماً اجتماعياً يغنيه عن الاعتماد على الفكر البشري ، أي النظم الوضعية في تسيير أموره .

كما يقرر «فان إس» بحق أن الإسلام يجاري مطالب العصر عن طريق التفسير (القرآني) وهو بذلك يؤثر على السياسة في المجتمع ، والأصح أن الإسلام لا يجاري مطالب العصر ، أي أنه ليس تابعاً لها يجري وراءها ، ولكنه يضع لها الخطوط الأساسية ، فهي التي تجد في التصور الإسلامي الصحيح انعكاساً واستيفاء ، وبهذا التقرير يمكن الرد على ما ذكره المؤلف الآخر للكتاب وهو «هانس كونغ» الذي يطالب بعلمانية دينية معتدلة كما يذكر ، وقد سبق الرد عليه في القسم الرابع من هذا البحث .

الفصل الثاني : الرد المسيحي (هانس كونغ)

يبدأ هانس كونغ في رده حيث انتهى «فان إس» أي بمشكلة المرأة في الإسلام (١٣٧ ــ ١٣٩) ويلخص أهم نقاط النقد الموجهة ضد تصور الإسلام للمرأة في نقطتين وهما :

١) إباحة تعدد الزوجات .

٢) حق الطلاق للرجل دون حكم محكمة .

وقد أشرت إلى ذلك قبل قليل أثناء ردي على «فان إس» في هذه النقطة ، ولكن «هانس كونغ» ينطلق من منطلق يختلف عن منطلق «فانس إس» حيث يبدأ «كونغ» في بداية هذا الفصل ببيان مظاهر وجود تعدد الزوجات قبل الإسلام في جزيرة العرب ، ثم يذكر أن أنبياء إسرائيل ومنهم إبراهيم وإسحق ويعقوب كانوا متزوجين بأكثر من امرأة ، ثم يقرر أن محمداً ﷺ ، قد أدخل بعض التعديلات في صالح المرأة بالقياس إلى وضعها في الجاهلية ، ويرفض النظر إلى هذا التصور الإسلامي للمرأة بمنظار العصر الحاضر ، ويختم هذا العرض بتقرير أن المسيحية لم تنصف المرأة ، ولم تذكر المصادر التاريخية أي دور للكنيسة في سبيل تحرير المرأة .

ويلاحظ على هذا الرأي عدة نقاط :

١) أنه يحاول جاهداً تبرير موقف الإسلام في عدم مساواته بين المرأة والرجل مساواة كاملة أو كما هو الحال الآن في المجتمعات الغربية .

٢) أنه ينسب هذه التعديلات التي أدخلها الإسلام في صالح المرأة إلى محمد ﷺ ، وهي ليست من محمد ﷺ ولكن من الله عز وجل .

٣) أنه يجعل صحة تصور الإسلام للمرأة نسبياً ، أي بنسبته إلى العصر الذي ظهر فيه الإسلام ، وهذا يعني أن هذا التصور الإسلامي كان صحيحاً في الماضي ولكنه الآن قد فقد صلاحيته للتطبيق .

٤) أنه يقرر أن المسيحية والكنيسة ليس لها أي دور إيجابي في تحرير المرأة الغربية ، ومعنى ذلك أن التطور الذي حدث في شأن المرأة الغربية قد كان نتيجة لتطورات اجتماعية واقتصادية ... الخ .

والواضح من خلال هذا البحث أن النقد الموجه إلى الإسلام ينصب في معظمه على هذه المسألة ، أي مسألة وضع المرأة في المجتمع الإسلامي ، وأظن أن كثرة الهجوم قد أدت إلى كثرة الدفاع ، حيث يصر كل طرف على صحة رأيه دون النظر إلى أهمية هذه المسألة من الناحية الدينية ، فالواقع أن هذه المسألة لا تشكل أصلاً من أصول الدين ، ولا تعتبر حداً فاصلاً أو مقياساً لمدى التمسك بالإسلام ، فهي من المسائل الفرعية الخاضعة للاجتهاد والرأي ومشروطة بشروط لا تصح دونها ، ولكن التطبيق الفعلي لهذه الأمور في المجتمع الإسلامي الذي لا تراعى فيه عادة هذه الحدود الشرعية هو الذي جلب على المسلمين وعلى الإسلام هذا الهجوم . تعدد الزوجات لم ينشئه الإسلام ولم يوجبه ولم يستحسنه ، ولكنه أباحه بشروط كما يقول عباس العقاد في كتابه «المرأة في القرآن الكريم» (ص ٦٩) وكذلك محمد عبد الله عرفه في كتابه «حقوق المرأة في الإسلام» (ص ٨٥) .

أما ما يخص الطلاق فللمرأة أن تطلب الطلاق من زوجها إذا أحست باستحالة الحياة الكريمة معه ، فتكون أولاً الوساطة بالتحكيم ، ثم يكون الطلاق إذا لم يؤد التحكيم إلى صلح . والطلاق الفعلي يتم أيضاً بالنسبة إلى الرجل في المحكمة كما هو الحال بالنسبة للمرأة ، وإن كانت المرأة تعتبر من الناحية الشرعية

طالقاً بمجرد وقوع الطلاق عليها من الرجل ثلاث مرات ، وإذا أرادت المرأة الانفصال عن زوجها بالطلاق قبل صدور حكم المحكمة فإنها تغادر منزل زوجها وتذهب إلى أهلها وتظل هناك حتى يتم التحكيم بالصلح أو الطلاق ، وتتولى جهة التحكيم تحديد المتطلبات المالية لإنهاء حالة الزوجية ، فإذا طلبت هي الطلاق تنازلت عن مؤخر صداقها وترد إليه هداياه ، وقد تعوضه بمبلغ من المال حتى يتسنى له الزواج بغيرها ، هذا إذا كانت هي التي طلبت الطلاق لأسباب خارجة عن إرادة الرجل وليس بسبب إساءة معاملته لها مثلاً ؛ وتفصيل ذلك تجده في الكتب الفقهية والأبحاث العلمية التي تهتم بهذا الموضوع . ولكن السؤال الرئيسي هنا ، ما هو القصد من التنبيه إلى ما يسمونه نقائص في التشريع الإسلامي وتكرارها ؟ أظن أن القصد هو محاولة إقناع المسلمين بضرورة إعادة النظر في بعض الأحكام الشرعية أو التشريعية بحجة أنها لم تعد تلائم العصر ، أو أنها غير عادلة أصلاً في أسواء الأحوال ، أما ما يخصنا نحن المسلمين فينبغي علينا أن نتدبر هذا الأمر ملياً ؛ ولا نقف منه موقف العداء المطلق دون إمعان النظر في إمكان أن يكون بعض النقد صحيحاً إذا لم يكن يمس أصلاً من أصول الدين . أما الفروع ، أي المسائل التفصيلية التي تخضع لمتطلبات الحياة التي هي مادة الاجتهاد ، فلماذا نرفض إعادة التفكير فيها واختيار ما يتصل منها بصلب الشرع فلا يبدل ولا يعدل ، أما ما كان من باب المصالح المرسلة فيجب علينا التفكير فيما إذا كان من الأفضل تعديله بشرط ألا يتعارض مع نص من الكتاب أو السنة ؟ ثم إن هذه القضية من المسائل الشخصية التي يتصرف فيها كل فرد حسب حاجته في حدود الشرع . ويلاحظ في المجتمع الإسلامي أن هناك بعض التصورات التي لا علاقة لها بالإسلام وهو بريء منها ، قد نسبها بعض المسلمين عن جهل إلى الإسلام وحاولوا إيجاد تفسير وتبرير لها في الشرع الإسلامي ، وأضفوا عليها قداسة وأصبحت عندهم هي التطبيق الصحيح للتصور الإسلامي . فالنساء عندنا في مجتمعنا الإسلامي كثيراً ما تهضم حقوقهن في اختيار الزوج ، وفي التصرف فيما يملكن ، ويحرمن من العمل خارج البيت وإن كان العمل شرعياً ، ولا يؤخذ رأيهن في كثير من أمورهن ، كل هذه عادات جاهلية ورثها العرب عن آبائهم وأجدادهم وظنوها من الإسلام وهو منها براء ، فالمرأة هي نصف المجتمع على الأقل ، وهي طاقة يمكن الإفادة منها حسب ما يتناسب مع طبيعتها وقدراتها ، ولم يحرم الإسلام عليها العمل خارج المنزل ما دامت لا تتبرج ولا تختلط مع الغرباء ، أي مادام هذا العمل لا يجعلها تتخطى الحدود الشرعية ، ولم تحرم المرأة في عصر الرسول ﷺ من العمل خارج البيت ، ولم يأمرها الشرع بأن تقتصر فقط على العمل في منزلها ، بل أباح لها كل ما يتناسب مع ما خلقه الله لها من قدرات ، ولا أريد أن أسترسل في هذا الموضوع ، فلعل القارئ يعرف ذلك أكثر مني ، ولكن أردت أن أنوه إلى دورنا نحن المسلمين في إعطاء الآخرين أسباباً لنقدنا وتوجيه اللوم إلينا والانتقاص من ديننا الحنيف .

وينتقل «كونج» بعد هذه النقطة إلى موضوع آخر هو في الحقيقة هدف هذا البحث من أوله إلى آخره ، وهو محاولة إظهار نقاط التقاء بين الإسلام والمسيحية ، وأيضاً اليهودية ، فيما يتعلق بتصور هذه الديانات لله وللإنسان . ويحدد قوله في هذا المجال في أربع مسائل هي :

١) التوحيد .
٢) الإيمان بقضاء الله وقدره مع إثبات مسؤولية الإنسان عن أفعاله .
٣) البعث والحساب .
٤) المحبة والمعاناة .

ويلخص مسألة التوحيد في أربع نقاط هي ما يلي :

١) الإيمان بوحدانية الله على الرغم مما يقال عن التثليث المسيحي ، فهو من وجهة نظر المؤلف توحيد لأنه يتضمن الإيمان بالإله الواحد .
٢) الإيمان بأن الله خالق العالم من العدم وأن الله متعال عن العالم ، إلا أنه في الوقت نفسه قريب من الإنسان كما جاء في القرآن الكريم : ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ (سورة ق/١٦) .
٣) الإيمان بأن الله يسمع تسبيح وحمد واستعانة الإنسان .
٤) الإيمان بأن الله رحمان رحيم لا يظلم أحداً .

وهذه النقاط الأربع تجمع بالفعل الديانات الثلاثة وتدل على أن مصدرها واحد وهو الله عز وجل ؛ ولكننا يجب أن نفهم هذا القول على أنه يمثل وجهة نظر المؤلف هانس كونج ، وبعض العلماء النصارى ، أما الكنيسة وخاصة الكاثوليكية فلها وجهة نظر أخرى تختلف في تفسيرها لهذه النقاط عما يراه كونج ، وخاصة فيما يتعلق بالتثليث وغفران الذنوب ، أي الوساطة بين الله والإنسان .

أما عن القضاء والقدر ، وتعلقه بالمسؤولية والحساب فهو يعرض موقف الإسلام من ذلك عرضاً صحيحاً ، ولا يجد تعارضاً بين الإيمان بالقضاء والقدر وبين تحمل مسؤولية الإنسان لأفعاله ، ويرد بذلك على من يتهم الإسلام بما يسمى التواكل (Fatalismus) . والإسلام يتفق مع اليهود في الإيمان بقضاء الله وقدره مع تحمل الإنسان للمسؤولية ، أما المسيحية ففيها فريقان : فريق يؤمن بأن الإنسان مسيّر ، أي أن الله هو فاعل أفعال العباد ، وهم أنصار «توماس الأكويني» (ت ١٢٧٤ م) ، وفريق آخر يؤمن بعكس ذلك ، وهم اليسوعيون وخاصة في الوقت الحاضر (ص ١٤٢ — ١٤٤) .

ويجدر بالذكر هنا أن الاختلاف حول هذه المشكلة وجد أيضاً في الإسلام بين القدرية والمجبرة في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري ، وقد تزعم الفريق القائل بحرية الإنسان غيلان الدمشقي (ت ١٠٧ هـ) ومعبد الجهني (ت ١٢٥ هـ) وتزعم فريق المجبرة الجهم بن صفوان (ت ١٢٨ هـ) .

والفريق الأخير أي المجبرة ، يتفق من وجهة نظر «هانس كونج» مع آراء «القديس أوغسطين» (٤٣٥ م) و «مارتن لوثر» (١٥٤٦ م) ، و «كالفن» (١٥٦٤ م) .

ويتفق التصور الإسلامي مع التصور المسيحي — كما يقول كونج — في أن علم الله المسبق بما سيكون لا يعني إجبار الإنسان على فعل ما (Determinismus) ويتفق التصوران الإسلامي والمسيحي على أن أتباع الدين الآخر وغيره من الديانات سوف يدخلون النار ، وهذا التصور يجب على حد قول كونج ، تغييره . وينبغي أن نقف عند هذا الطلب الذي يطلبه «كونج» من الإسلام ونبين أن الحكم بأن أتباع الديانات الأخرى مثل المسيحية واليهودية سيدخلون النار ، لأن الدين عند الله الإسلام ، ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه**﴾ مبني على سبب ، ولا يرفع الحكم إلا بارتفاع السبب ، والسبب هو أن أهل الكتاب قد حرّفوا ما أنزل الله على موسى وعيسى ، فجاء الحكم عليهم بالعذاب في قوله تعالى في سورة البقرة (٢/٧٩) : ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون**﴾ والمؤلف يقرر في هذا البحث ما جاء في الآية الكريمة كما سبقت الإشارة إليه في القسم السابق من هذا البحث ، فهلا

رجع رجال الكنيسة عن كل ما أضافه أسلافهم وأعادوا ما حذفوه وصححوا ما حرفوه ؟ لو فعلوا ذلك لما بقي بينهم وبين الإسلام حاجز ، فقد أقر المؤلف بأن عقيدة التثليث دخلت إلى النصرانية في القرن الثالث والرابع الميلادي ولم تكن موجودة فيه أصلاً ، وكذلك ما ترتب على هذه العقيدة من تصورات خاطئة ، مثل أن عيسى ابن الله (تعالى الله على ذلك) (ص ١٨٣ — ١٨٥) وكذلك عقيدة الذنب الموروث التي يرفضها الإسلام رفضاً باتاً هي أيضاً — كما يقول كونج — من اختراع القديس أوغسطين (٤٣٠ م) ولا يوجد لها في الكتاب المقدس سند واضح بأن الذنب يورث من الأب إلى الابن ص ١٤٥) .

أما ما يخص البعث فقد نبه «كونج» أن الاتفاق تام بين الإسلام والمسيحية في صحة البعث بعد الموت ، ولكن الاختلاف بينهما يتركز في تصور كل منهما للثواب والعقاب ، فالثواب (الجنة) ، حسب التصور المسيحي ، هو رؤية الله عز وجل (الجنة) ، والعقاب (النار) الحرمان من رؤية الله — عز وجل — بينما يكون الثواب (الجنة) حسب التصور الإسلامي ، إضافة إلى رؤية الله عز وجل ، ما يشتهى من طعام وشراب ونساء .

ويرى «كونج» اتفاقاً بين عيسى — عليه السلام — ومحمد ﷺ في أن كلاً منهما عانى الكثير في سبيل دعوته ، وتحملا مالا يطيقه الإنسان العادي من المعاناة والتعذيب من أعدائها ، ولكن الاختلاف بينهما يكمن — حسب رأي كونج — في أن عيسى عليه السلام بلغ في العفو عن أعدائه مالم يبلغه محمد ﷺ ؛ فعفوه (محبته) كانت لكل إنسان بلا استثناء ، والتنازل عن حقه في سبيل الآخرين ، أي ما يسميه المحبة المطلقة للآخرين مهما كان نوعهم أو موقفهم منه ، وقد قابل عداوة أعدائه بالاستسلام الكامل ولم ينتظر من الله عوناً ، حسب قول كونج (ص ١٥١) ، بينما كان محمد ﷺ واثقاً من نصر الله له ، وأن الله لن يخزيه أبداً ، وبالفعل أعزه الله وعاد سيداً حاكماً (ص ١٥٣) .

وأثناء هذا العرض أو المقارنة بين معاناة كل من عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ينادي «كونج» المسلمين بأن يقتدوا بعيسى وألا يستخدموا القوة لتحقيق أهدافهم الدينية والسياسية مستندين في ذلك إلى الدين الإسلامي (ص ١٥١) .

وهنا أوجه سؤالاً إلى «كونج» : ألم يكن من الأفضل توجيه هذا النداء أو السؤال ، على حد قوله ، إلى كل من النصارى والمسلمين واليهود أيضاً ؟

إن التاريخ القديم والوسيط وخاصة الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش المعروفة يوضح للجميع أن النصارى كانوا أسبق لاستخدام القوة باسم الدين لتحقيق أطماع سياسية ودينية واقتصادية ، بينما الإسلام يحرم استخدام القوة لأغراض دينية وهي في معظمها دفاعية ﴿**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**﴾ .

ثم أعود إلى أصل الحديث وهو قول كونج إن عيسى عليه السلام كان عفوّاً بلا حدود ولم يلجأ إلى القوة أبداً وكان حبه بلا حدود ... الخ . وأذكّر «كونج» بما فعله عيسى عليه السلام بعد خروجه من المعبد حيث كان يحاكم بواسطة بعض الكهنة اليهود ، حيث رأى التجار اليهود يرابون ويستغلون الناس بما ينافي كل المبادىء الإنسانية ، فانتزع عصا كبيرة من خيمة تاجر وراح فيهم ضرباً موبخاً إياهم بقوله : «يا أولاد الأفاعي ...» الخ . هذا ما ترويه قصصهم عن عيسى عليه السلام ، وأوجه السؤال الآن إلى المؤلف : هل هذا التصرف يطابق التصور المثالي عن عيسى عليه السلام ؟ لا .. إنه كان بشراً مثلنا يغضب أحياناً ويتصرف في الغضب تصرف الغاضبين ، ولكنه يختلف عنا في كونه نبياً عصمه الله من الخطأ فلم يغضب لغير الحق ، وقصص عيسى عليه السلام في كتب الدين النصراني كثيرة ، وفيها مواقف عديدة تشبه هذا الموقف ، وحسبنا أن نقف عند النقطة التي أرادها المؤلف في نهاية حديثه عن المحبة في المسيحية والإسلام بأن الله هو منبع المحبة التي تتجلى في رحمته بعباده ، هذا ما يتفق فيه المسلم والمسيحي .

الباب الرابع : الإسلام والديانات الأخرى (عيسى عليه السلام) في القرآن .

الفصل الأول : وجهة نظر إسلامية : (جوزيف فان إس) «١٥٧ — ١٧٢»

يبدأ «فان إس» هذا الفصل بالحديث عن استعداد الإسلام للحوار ، ويبين أن هناك تغيراً ملحوظاً في مواقف كل من المسلم والمسيحي تجاه الآخر ، فالمسيحي كان يعتقد أن دينه هو الأفضل ما دام الأوربي يتسيد العالم ، وكان يرى أن الإسلام مجرد تعاليم أخذت من المسيحية وليست ديناً أصيلاً ، ولكن الوضع السياسي قد تغير ، وتغير معه موقف المسيحي من المسلم ، حسب رأي فان إس . والواقع أن الوضع السياسي الشكلي قد تغير ، أما الوضع السياسي الواقعي فلم يتغير ، فلا يزال الغرب (أو أوربا) يسيطر اقتصادياً وسياسياً وإعلامياً على العالم الإسلامي ، والنتيجة هي أن تقويم الأوربي للشرقي لم يتغير ، فهو لا يزال يحس أنه السيد والموجه لمعظم ما يدور في العالم الإسلامي .

أما عن تغير موقف المسلمين من أوربا ، كما يذكر المؤلف أنه لم يعد المسلم ينظر إلى أوربا نظرة التقديس ، فهذا صحيح إلى حد كبير ، لأن معظم المثقفين من المسلمين اكتشفوا زيف البريق الصادر من الغرب وخطورة تقدم العلم والتقنة في اتجاه لا يراعي فيه مصلحة الإنسان كإنسان ، أي أن المعنويات والأخلاقيات قد تقهقرت بقدر ما تقدمت التقنية ، وقد أصبح واضحاً لكل المسلمين أن الغرب لا يقدم مساعدة دون مقابل ، بل الأدهى أن المقابل يفوق أضعاف المساعدة ، وطبيعة هذا المقابل هي المشكلة وليست كمّيته فقط ، فالمسلم لم يخسر فقط ماله واستقلاله الاقتصادي والسياسي ، ولكن أيضاً خلقه ودينه إلى حد بعيد ، هكذا ينبغي أن نفهم تغير المواقف الذي أراد المؤلف «فان إس» الحديث عنه .

ثم ينتقل «فان إس» إلى نقطة مهمة في هذا المجال ، وهي أن الدعوة التي وجهها «هانس كونج» إلى المسلمين لتناول القرآن الكريم بالدراسة النقدية التاريخية هي دعوة تحمل خطورة الصدام بين المسلم والمسيحي ، ويبرر ذلك بأن المسلم لا يزال يعتقد أنه صاحب الدين الأقوم .

وكنت أنتظر من «فانس إس» أن يتناول إمكانية دراسة القرآن الكريم بالنقد التاريخي بشيء من الإيضاح وبيان أسباب رفض المسلمين لهذه الدعوة ، ولا يبرر ذلك بإيمان المسلم أنه ينتمي إلى الدين الأقوم ، لأن هذا التبرير لا يعطينا تفسيراً واضحاً لهذا الموقف الرافض من جانب المسلمين .

ولو أن «فان إس» طبق منهج الدراسة النقدية التاريخية على الدين المسيحي بشكل عام وعلى العقيدة المسيحية بشكل خاص وخاصة عقيدة التثليث والذنب الموروث ، وهي من ركائز العقيدة النصرانية التي تفصل بين المسيحي وغير المسيحي ، لوجد أن هاتين الركيزتين ليستا من أصل المسيحية في شيء ، كما يقرر ذلك «هانس كونج» في (ص ١٤٥ من الكتاب نفسه) ويذكر أنها من اختراع القديس أوغسطين ، كما يرجع عقيدة التثليث إلى التأثر بالثقافة الهللينية (ص ١٨٥) ، ويستشهد كونج بمؤلف آخر هو «هايكي رازنين» في كتابه «صورة عيسى في القرآن» الذي يثبت في هذا الكتاب بأنه لا توجد إشارة ولو حتى من

بعيد إلى عقيدة التثليث في الكتاب المقدس (ص ١٩٠) .

ولعل هذه الدراسة النقدية التاريخية للدين المسيحي كانت توضح ما يراه «باول شفارتزناو» وكثير من العلماء المسيحيين بأن الدين الإسلامي هو تطور للدينين اليهودي والمسيحي ، أي متمم لهما وليس مجرد ترديد لبعض تعاليمهما (انظر ص ١٩١) . ثم إذا أراد هو بصفته مسيحياً أن يتناول القرآن الكريم بالدراسة النقدية التاريخية ويطبق عليها المنهج نفسه الذي طبقه على المسيحية فلن تكون النتيجة في غير صالح الإسلام ، بشرط تطبيق المنهج العلمي النزيه .

فلنحاول أولاً أن نكشف معنى الدراسة النقدية التاريخية ، فنبدأ بالتعريف بمعنى النقدية ونرجع إلى معنى كلمة نقد ، فهذه الكلمة تعني دراسة نص معين أو نصوص معينة بهدف استكشاف الصحيح فيها والخطأ ، وهذا على العكس مما يسمى بالنقض الذي يعني الاكتفاء بإظهار الخطأ الموجود في محتوى نص معين وإغفال ما قد يكون فيه من صواب (انظر قاموس المصطلحات الفلسفية الأساسية جـ ٣ ص ٨٠٧ ـــ ٨٢٢ بالألمانية) .

ويكون النقد علمياً إذا توافرت فيه النزاهة والموضوعية والخلو من التحيز أو التعصب لرأي معين أثناء إجراء الدراسة النقدية (المصدر نفسه ص ٨٠٨) .

فهذه الدراسة النقدية تنطلق إذن من تصور أن النص فيه الصواب وفيه الخطأ إذا كان موضوع الدراسة هو نصاً محدداً ، أما إذا كانت الدراسة النقدية تتناول عدداً من النصوص فيكون الهدف الأول منها هو محاولة معرفة أي النصوص موضوع الدراسة هو النص الأصيل ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى دراسة محتوى هذا النص الذي ثبت دون غيره أنه أصيل لمعرفة ما فيه من صحة وما فيه من خطأ .

إذن الدراسة النقدية العلمية تشترط في موضوعها أن يكون متضمناً ومحتملاً للصواب والخطأ في جزئياته .

والحكم بالصواب أو الخطأ يكون معتمداً على أحد أمرين :

١ ـــ المنطق والعقل .   ٢ ـــ المناسبة التاريخية .

فالدراسة النقدية التي تبني حكمها على مدى مطابقة مضمون النص المدروس لمبادىء المنطق والعقل تسمى دراسة نقدية تحليلية أو نقدية علمية ، أما الدراسة النقدية التي تبني حكمها على أساس المناسبة التاريخية لمضمون أو جزئيات النص فتسمى دراسة نقدية تاريخية . ونعود إلى مناسبة الحديث عن هذه الدراسة وهي مطالبة كونج للمسلمين بتطبيق الدراسة النقدية التاريخية على القرآن الكريم ، ونبحث معاً عن مدى إمكانية أو توافر شروط الدراسة النقدية التاريخية في نص القرآن الكريم ونقارنه بنص الكتاب المقدس ، والسبب في هذه المقارنة أن «كونج» يعتمد في طلبه هنا على ما فعله علماء اللاهوت النصراني بالنسبة للكتاب المقدس .

فأذكّر بالشرط الذي يجب أن يتوفر في النص المراد نقده ، وهو افتراض أن جزئياته تحتمل الصدق والكذب ، أي أنه يتضمن أحكاماً أو تصورات منها ما هو صحيح ومنها ما هو غير صحيح ، وهنا أطرح سؤالاً وهو : هل يمكن تطبيق المنهج النقدي على نص يخلو من الخطأ أي كله صواب ؟ الإجابة هي لا ، لأن الحكم بأن مضمون النص المراد دراسته صحيح وخال من الخطأ يجعل القيام بهذه الدراسة عبثاً ، لأنه لم يحكم بصحة النص إلا بعد دراسة واختبارات سابقة على هذا الحكم ، فهل يعقل مع ذلك مطالبة من يثق في صحة نص ما أن يتناول هو هذا النص بالنقد ؟ الإجابة واضحة . إن مثل هذا الطلب لا يستند إلى أي أساس ، لأن مجرد التفكير في تناول نص معين بالنقد يعني اعتقاد الدارس بأن النص يحتمل الصواب والخطأ ، وهو يريد بدراسته النقدية إظهار هذين الجانبين ، أما إذا كان النص حكمه واحداً وهو أنه صحيح فقد انتفى شرط الدراسة النقدية وأصبحت محاولة لا طائل تحتها سوى ضياع الوقت أو زعزعة الثقة بصحة النص الذي يراد دراسته دراسة نقدية .

والقرآن الكريم «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» فكيف يطلب من مسلم يؤمن بصحة هذه الآية أن يتناول القرآن بالدراسة النقدية ، فهذا الطلب إذن هو إما تناقض عقلي ، أو محاولة للتشكيك في صحة النص القرآني والإيحاء بأن بعضه صحيح والبعض الآخر خطأ . وكلا الأمرين مرفوض .

أما ما تعلق به «كونج» من أن علماء اللاهوت المسيحي قد طبقوا هذا المنهج بالفعل على الكتاب المقدس فهو قول صحيح وضرورة علمية ودينية ، لأن الكتاب المقدس يتكون من عدة كتب أو أقسام ، فهو أولاً ينقسم لى قسمين : العهد القديم وهو ما يسمى بالتوراة ، والعهد الجديد الذي يتضمن الأناجيل الأربعة ورسائل الرسل ؛ أقول : إن تناول الكتاب المقدس بالدارسة النقدية هو ضرورة علمية ودينية فضلاً عن توافر شروط هذه الدراسة فيه ، فهو :

أولاً : مكون من عدة كتب منسوبة إلى أشخاص متعددين ومتباعدين تاريخياً .

ثانياً : هذه النصوص الموجودة ضمن الكتاب المقدس مختلفة في بعض مضمونها وجزئياتها .

ثالثاً : متفاوتة في أزمان كتابتها .

رابعاً : لم تثبت نسبتها إلى الأسماء المنسوبة إليها .

خامساً : لم تثبت صحة صدور ما تحتويه هذه الكتب عن موسى أو عيسى عليهما السلام .

ها هي خمسة شروط تجعل من الضروري تناول نصوص الكتاب المقدس بالدراسة النقدية : **أولاً** : لمعرفة أفضل هذه النصوص وأقربها إلى الصحة ، **ثانياً** : لمعرفة الصحيح من كل نص من هذه النصوص وإظهار الخطأ فيها ، **ثالثاً** : لمعرفة أيها أقرب زمناً وأكثر احتمالاً لصدق نسبته إلى صاحبه .

لهذا فقد أصاب علماء اللاهوت النصارى عندما تناولوا الكتاب المقدس بالدراسة النقدية التاريخية .

أما بالنسبة إلى القرآن الكريم فهو كتاب واحد بخلاف التوراة والأناجيل ، هذا أولاً ، وثانياً قد ثبت بالقطع صحة نسبة كل ما جاء فيه إلى محمد صلى الله عليه وسلم . وثالثاً : لقد ثبت أيضاً بالقطع صدق محمد ﷺ بأن القرآن وحي الله ولم يتدخل هو في أي حرف فيه . واعتقاد النقطة الثالثة أن القرآن وحي الله نصاً هو عقيدة كل مسلم بلا استثناء ، إذن لم يبق شيء تطرح حوله الأسئلة سوى نقطتين وهما :

١) صدق نبوة محمد ﷺ .

٢) أن القرآن وحي الله نصاً .

وهذان الأمران لا يمكن إثباتهما بالدراسة النقدية التي ينادي بها «كونج» ، لأن هذين الأمرين يؤمن ويصدق ويثق في صحتهما المطلقة كل مسلم ، أما غير المسلم فله طريقة أخرى ، لأنه لو آمن بها لكان مسلماً ، وفضلاً عن ذلك فإن صدق نبوة محمد ﷺ قد ثبتت علمياً وتاريخياً لكل منصف من العلماء غير المسلمين ومنهم «كونج» نفسه كما سبق ذكره ، وأما اعتقاد أن القرآن وحي الله فقد ثبت أيضاً عند المنصفين من العلماء في العصر الحاضر وأولاهم بالذكر هو المؤلف «كونج» نفسه ، كما ذكر ذلك مراراً في هذا الكتاب ، وأما الإيمان بأنه وحي نصي فهذا هو الذي يختلف فيه معنا المؤلف ومعه كل غير المسلمين تقريباً ، وحسم هذا الأمر لا يأتي أيضاً بالدراسة النقدية التاريخية التي

ينادي بها «كونج» في هذا الكتاب .

أما ما يتعلق بالدراسة النقدية التاريخية فهي لا تخلو من هدفين :

١) معرفة مناسبة كل آية أو سورة من القرآن الكريم ، ونقد مراحل ومصادر جمعه .

٢) مدى الصلاحية الزمانية للأحكام المتضمنة في الآيات القرآنية .

فالنقطة الأولى قد عولجت بالفعل منذ القرون الإسلامية الأولى ، وهي ما يعرف في علوم القرآن «بأسباب النزول» ؛ وتوثيق النص القرآني .

وقال عنه بدر الدين الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» (ص ٢٢) . . له فوائد منها :

وجه الحكمة الباعث على تشريع الحكم . ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب ، ومنها الوقوف على المعنى . قال الشيخ أبو الفتح القشيري : وبيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز ، وهو أمر تحصَّل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا ، ومنها أن يكون اللفظ عاماً ويقوم الدليل على التخصص ، ومن فوائد هذا العلم إزالة الإشكال (المصدر نفسه ص ٢٧) .

أما النقطة الثانية وهي مدى الصلاحية الزمانية للأحكام القرآنية ، أي هل تقتصر صلاحية الحكم على الذي أنزل في مناسبته ؟ أم أنها تتعداه إلى كل ما صلح للقياس عليه ؟ فقد اتضح في الفقرة السابقة أن الله عز وجل قد أنزل الآيات الكريمة في مناسبات مختلفة وضمنها حكماً يختص بهذه المناسبة ، ويصلح في الوقت نفسه للتطبيق في كل المناسبات المستقبلية التي يمكن قياسها على ما أنزلت بسببها . إن فهم آيات الأحكام على أنها أنزلت في مناسبة موقف معين ومحاولة قصر صلاحية هذا الحكم على ذلك الوقت تؤدي إلى جعل القرآن الكريم كله مجرد كتاب يتضمن أحكاماً لعصر قد مضى منذ زمن بعيد ولم يعد لها صلاحية في عصرنا الحاضر الذي تغيرت فيه معظم مظاهر وأساليب الحياة الإنسانية ، وهذا منزلق خطير .

ثم ينتقل فِان إس ، بعد تحذيره مطالبة المسلمين بدراسة القرآن دراسة نقدية تاريخية إلى إيضاح اختلاف وجهات نظر المسلمين مع المسيحيين في أهم ركائز العقيدة النصرانية ، وهي تصور الإسلام لعيسى عليه السلام ، وكذلك الروح القدس ، ثم يتحدث عن وجهة نظر الإسلام لتاريخ النبوات ، ثم عن وضع اليهود والنصارى في القرآن والشريعة الإسلامية .

وقد جاء حديثه في النقطة الأولى عن صورة عيسى عليه السلام في القرآن حديثاً علمياً لا يوجد فيه أي تحيز أو خروج عن الحقيقة ، فقد ذكر أن القرآن يؤكد على صدق نبوة عيسى عليه السلام وعذرية مريم عليها السلام ، ويؤكد المعجزات التي أظهرها الله على يدي عيسى بصفته نبياً وليس كما يعتقد النصارى بصفته ابن الله (تعالى الله عن ذلك) ويقرر أن تصور القرآن لعيسى يجعله مثيلاً للنبي يحيى . ويصحح فان إس الفهم الخطأ لمعنى «كلمة الله» بالنسبة إلى عيسى عليه السلام ، والذي يقع فيه المسيحيون عندما يعتقدون أن القرآن يعترف بأن عيسى هو كلمة الله كما يتصورونها هم ، أي بأن الكلمة أصبحت لحماً (حلولاً) بينما هي في الإسلام تعني قدرة الله على أن يخلق بشراً بغير أب .

أما الروح القدس فهو ، كما يقول فان إس ، حسب ما يعتقد المسلمون محمد ﷺ الذي ورد الإخبار عنه في إنجيل يوحنا .

وأورد هنا النص الذي يستند إليه «فانس إس» في قوله هذا : (يوحنا ١٢/١٦ ــ ١٥) : «إن لي أموراً كثيرة لأقولها لكم ولكن لا تستطيعون أن تتحملوها الآن ، وأما متى جاء ذلك الروح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية ، ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم ، كل ما للأب هو لي ، لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم» .

والمقصود هنا بالروح الحق هو الروح القدس ، ويرى المسلمون في هذه الفقرة من إنجيل يوحنا ما يؤكد إخبار عيسى (عليه السلام) بقدوم نبي يرشد الناس جميعاً إلى الحق ويتلقى الوحي من الله ويمجد عيسى عليه السلام ، والحقيقة أن كل هذه الأوصاف التي ذكرها عيسى (عليه السلام) في هذه الفقرة تنطبق تماماً على نبينا محمد ﷺ فهو نبي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، وهو يمجد عيسى عليه السلام بما لم يفعله دين آخر ، وهو يرشد الناس إلى جميع الحق ، أي الحقيقة الكاملة ، وهي ما جاء في قوله تعالى : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ وقوله تعالى : ﴿**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**﴾ .

ولكن «فان إس» لا يريد أن يعترف بذلك ، وهذا شيء منطقي بالنسبة إلى كونه نصرانياً ، لأن في اعترافه بانطباق هذه الأوصاف على محمد ﷺ يلزمه باتباعه ، ولكنه لا يرى أن هذه الأوصاف تنطبق على محمد ﷺ ويفسر فهم المسلمين لهذه الفقرة على أنه فهم خاص وشخصي ، فقد ادعى قبل محمد ﷺ «ماني» مؤسس المانوية (٢٧٣ م) انطباق هذه الأوصاف عليه ، وبغض النظر عن مدى انطباق هذه الأوصاف على «ماني» أو مدى تأثر ماني بالمسيحية بوجه عام ، كان من المنتظر أن يقدم لنا «فان إس» دراسة مقارنة مختصرة بين المانوية والإسلام لعلنا نقتنع بوجهة نظره على أساس علمي ، ولكن الواقع أن الفارق كبير بين توحيد خالص في المسيحية الذي بشر به عيسى عليه السلام ، وأكمله محمد ﷺ وبين مذهب خليط من الإشراقية (Gnostik) وبابيلونية ويهودية ونصرانية وزرادشتية ، يقول بإلهين : إله النور وإله الظلام ، إله الخير وإله الشر . وأظن أن المقارنة لن تكون صعبة بين شخصيتين ادعى كل منهما أنه الروح الحق ، مع العلم بأن الرسول ﷺ لم يدع هذا ، إنما أخبرنا الله على لسانه أنه متمم لدين إبراهيم عليه السلام ، مروراً بكل الأنبياء ومنهم عيسى عليه السلام .

ونعود إلى حديث فان إس حيث يوضح اختلاف فهم النصارى للروح القدس عن فهم المسلمين ، فالنصارى يعتبرون الروح القدس أحد أقانيم الثالوث الإلهي ، وأما المسلم فيفهم معنى الروح مرة على أنها جبريل عليه السلام ، ومرة أنها سر الحياة كما جاء في سورة الأنبياء (آية ٩١) ومرة أنها كلمة الله كما جاءت في سورة الإسراء (الآية ٨٥) ؛ ويرى فان إس في هذا الفهم المختلف عقبة أمام قيام حوار بين المسلمين والنصارى ، وعلى العكس من ذلك يرى «كونج» أن هذا الفهم المختلف لا يمثل عقبة في سبيل الحوار ، بل يمكن التغلب عليها عن طريق تصحيح فهم المسيحيين الخاطيء للتثليث (انظر الكتاب ص ١٧٦) .

أما بالنسبة لوجهة نظر الإسلام في تاريخ النبوات فيرى «فان إس» أن اعتقاد المسلمين بأن الإسلام دين إبراهيم (عليه السلام) ودين كل الأنبياء الذين أتوا من بعده يناقض رأي المسيحيين في دينهم وطبيعته وترتيبه بأن المسيحية لم توجد قبل عيسى عليه السلام ، لأن قبلهم كانت اليهودية ، ووجود اليهودية أي التوراة (العهد القديم) كان شرطاً لوجود المسيحية أي العهد الجديد ، هذا الاختلاف في تقويم كل فريق لدينه ، بالإضافة إلى اعتقاد المسلمين بأن اليهود والنصارى قد حرّفوا دينهم ، على الرغم من أنهم لم يصبحوا بذلك ، من وجهة نظر الإسلام ، كفاراً ، يمثل عقبة أخرى في سبيل الحوار بينهما .

ويأتي بعد ذلك حديث «فان إس» عن وضع اليهود والنصارى في القرآن والشريعة منصفاً ومعبراً بموضوعية عن الحقيقة، فهو يؤكد أن الإسلام لم يجبر أحداً من أهل الكتاب على الدخول في الإسلام، وأن من دخل منهم الإسلام قد دخله لما رآه من معاملة طيبة من المسلمين أو بما عبر عنه «فان إس» بالتسامح (ص ١٦٣ — ١٧١) وكذلك فسر «فان إس» الجهاد في الإسلام بأنه لا يعني فقط الحرب المقدسة، ولكنه يعني أشياء كثيرة، منها نشر الدين الإسلامي بالطرق السلمية والدفاع عن النفس عندما يتعرض إنسان أو بلد إسلامي للعدوان. ثم يقر «فان إس» أنه بالإسلام قد نجح في تحسين أوضاع المرأة والعبيد، وأنه لم يصل بذلك إلى درجة التسوية التامة لهم بالآخرين كما سبق ذكره.

وبعد أن يؤكد «فان إس» عدم انتشار الإسلام بالقوة بل عن طريق المعاملة الحسنة التي كان يلقاها أهل الكتاب من المسلمين، وأن بعض المحاولات القليلة لنشر الإسلام بالقوة مثل ما فعل محمود غزنوي في سنة ١٠٠٠ في الهند قد باءت بالفشل ولم ينتشر الإسلام هناك سوى بعد إحلال السلام، يقول: «إن الإسلام ينتشر ببساطة ووضوح مبادئه وسماحته التي تصل مباشرة إلى الإنسان أياً كان مركزه الاجتماعي أو مستواه الثقافي، وفي ذلك يمتاز الإسلام على المسيحية» (ص ١٧١).

ويلخص «فان إس» نقاط قوة الإسلام فيما يلي:

١ — أنه مؤسس على مبادىء عقلية في العقيدة.

٢ — التسامح والمساواة في التطبيق، أي أنه الطريق الوسط المعتدل.

٣ — التثليث يعتبره المسلم عبثاً منطقياً، بينما هو في المسيحية عقيدة مقدسة.

٤ — الرهبنة يعتبرها المسلم مبالغة خاطئة، بينما يعتبرها المسيحي تحرراً من قيود الحياة.

أما نقاط الضعف في الإسلام كما يراها «فان إس» فهي تكمن في نقاط قوته، وأهمها ثقة المسلم في صحة عقيدته التي جعلته يعتقد أنه يجب أن يتسيد العالم ولا يستطيع أن يرى نفسه مغلوباً على أمره، ويستثني «فان إس» الشيعة من المسلمين لأنهم عاشوا فترات طويلة مغلوبين على أمرهم حتى نجحت «الثورة الإيرانية» ويرى أن نجاح الإسلام أيام النبي ﷺ جعل المسلمين يتمنون العودة بالمجتمع الإسلامي المعاصر إلى ما كان عليه هذا المجتمع في عصر النبوة، وبذلك يفسر «فان إس» قوة التيار السلفي في الوقت الحاضر.

وأحب أن أصحح مفهوم السيادة التي يقول بها «فان إس» وينسبها إلى المسلمين: إن المسلم لا يسعى إلى أن يتسيد هو كشخص أو عدة أشخاص العالم، أي يتسيد غيره من أصحاب الديانات الأخرى، بل يسعى إلى أن يصبح العالم كله مجتمعاً إسلامياً، فإذا افترضنا إمكان تحقيق هذا الهدف فإن العالم كله يصبح من المسلمين ولا يكون هناك مجال لأن يتسيد أحدهم الآخرين، الجميع مسلمون ومتساوون، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن السيادة في المجتمع الإسلامي لا تعني علو الحاكم على المحكومين، بل تعني أنه مسؤول عن تطبيق شرع الله فيهم، وهو خاضع للشريعة نفسها التي يحكم بها الآخرين، أي أنه يتساوى معهم أمام الشرع الإلهي الذي يشرف هو على تنفيذه ويعينه في ذلك علماء الأمة. فالإمامة في الإسلام لا تعني الأفضلية، ومشكلة الإمامة وإمامة المفضول في الإسلام معروفة لكل متخصص في العلوم الإسلامية من المسلمين وغيرهم. وللمزيد يمكن الرجوع إلى أقوال الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين في هذا الصدد.

وأما بالنسبة إلى نقاط الضعف في المسيحية فقد تخلص «فان إس» من ذكرها بطريقة «دبلوماسية» فلقد أحال الحديث عنها إلى المستمعين وإلى الإسلام الذي يشكل من وجهة نظره بديلاً أصيلاً في هذا الشأن (ص ١٧٢).
والإسلام يشكل بحق بديلاً أصيلاً ليس فقط في مجال إظهار نقاط الضعف في المسيحية، فهذه لا تخفى على كل مهتم بهذا الأمر، بل أيضا بصفته ديناً أصيلاً حفظه الله من التحريف دون غيره من الديانات الأخرى.

وأود أن أذكر القارىء الكريم هنا بما ذكرته في بداية تقديمي لهذا الكتاب موضوع المناقشة، عندما حاولت التعريف بشخصية المستشرق «جوزيف فان إس» فقد ذكرت أنه عادة ما يكون منصفاً في حديثه عن الإسلام إذا كان موضوع الحديث هو العلوم الإسلامية أو الناحية الإنسانية، فالنظام الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي. أما إذا كان موضوع الحديث هو النبي ﷺ، أو القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، فإنه كثيراً ما يستسلم لأحكام وتصورات غير علمية، لا تقوم على أساس، ويردد ما كان يقال عن الإسلام في عصر النبوة وما بعدها حتى القرن الماضي مروراً بالعصور الوسطى المسيحية التي شهدت هجوماً عنيفاً وعصبية عمياء على الدين الإسلامي وخاصة على شخصية نبيه الكريم، وكنت أتمنى لو تمسك «فان إس» بالمنهج العلمي والموضوعية والنزاهة في كل ما يتحدث عنه، سواء أكان في العقيدة الإسلامية أو التاريخ والعلوم الإسلامية الأخرى، لأن المنهج العلمي لا يفرق في شروطه بين موضوع وآخر.

الفصل الثاني: إجابة مسيحية (هانس كونج):

يبدأ «كونج» هذا الفصل الأخير عن الإسلام بنداء إلى المسيحيين أن يعيدوا النظر في موقفهم من الديانات الأخرى وخاصة بعد مرور قرار المؤتمر الكنسي الثاني (Vatikanum II) الذي اعترفت فيه الكنيسة بأن هناك طرقاً أخرى للخلاص أو حقائق دينية أخرى خارج الدين المسيحي. ويخص كونج الإسلام من الديانات الأخرى فينادي بالاعتراف بصدق نبوة محمد ﷺ وأن القرآن كلام الله. ثم يطالب كونج المسلمين بتسامح عام ينص على حرية دينية عامة واعترافاً كاملاً بحقوق الإنسان التي تسوي بين المسلم وغير المسلم في الحقوق والواجبات (ص ١٧٤).

ولنقف عند هذه المطالب التي طالب بها «كونج» المسلمين، وأولها ما أسماه بالتسامح العام والحرية الدينية العامة. بالنسبة للتسامح العام لا يحتاج كونج إلى المطالبة به، لأنه موجود بالفعل في المجتمعات الإسلامية التي تعيش فيها أقلية غير مسلمة، وهذا ما يؤكده الواقع، فعليه أن ينظر إلى المجتمعات ليعرف أن ما طلبه موجود. ولكنني لا أظن أن «كونج» يطالب بشيء يعلم أنه موجود، وخاصة أنه قد زار كثيراً من البلدان الإسلامية التي يعيش فيها غير المسلمين. وليس هذا الموقف جديداً على الإسلام، ومن يقرأ السيرة النبوية يجد أكثر مما يحتاج للاقتناع بتسامح الإسلام مع غير المسلمين. وقد ذكر هذا «فان إس» في الصفحات القليلة السابقة (الكتاب ص ١٦٣ — ١٧١). يبقى احتمال واحد لما يطالب به «كونج» وهو السماح للمسلمين بأن يخرجوا من الإسلام ويدخلوا ديانات أخرى، أي السماح بالردة، أو الاعتراف بديانات جديدة شوهت تعاليم الإسلام وتدعي أنها من الإسلام مثل: البهائية، والقاديانية، وغيرها، وهذا أمر لا يخفى مغزاه على أحد، فهو نداء إلى توفير الحماية للتنصير والمتنصّرين الذين ارتدوا عن الإسلام ودخلوا النصرانية. ولعل السبب في توجيه هذا المطلب هو تفسير فشل المنصّرين في امتناع بعض المسلمين بالدخول في النصرانية بأن

المسلمين يخافون من عقوبة القتل إذا ارتدوا عن الإسلام ، ويكون حسب فهمهم هم السبب في أن المسلمين لم يُنصَّروا . فإذا كان هذا الاحتمال هو المقصود فإني أنصح المنصِّرين ومن يساعدهم على البحث عن سبب آخر يبررون به فشلهم في عملهم ، وقد ذكر كونج أحد وأكبر الأسباب التي تحول دون دخول غير النصارى في النصرانية ، بل أدت إلى دخول عدد من النصارى في الإسلام ، وهي تتركز حول عقيدة التثليث غير المفهومة ، التي لا يقوى أحد على تفسيرها تفسيراً مقنعاً ، ويزيد الأمر تعقيداً استخدام رجال الكنيسة لمصطلحات من أصل سوري ويوناني ولاتيني (١٧٨ ، ١٨٥) ، أما التسوية بين المسلم وغير المسلم في الحقوق والواجبات فالواقع يشهد أنهما متساويان في الحقوق والواجبات الدنيوية . أما الدينية فقد ترك الإسلام لأهل الكتاب حرية ممارسة شعائرهم الدينية كما يشاؤون ، ويكفي في ذلك أن ترجع إلى ما قاله «فان إس» في هذا الصدد ضمن عرضه لوجهة نظر الإسلام (انظر ص ١٦٦ — ١٧١) أو القسم الثاني من هذا البحث في المجلد السابع / العدد الأول ص ٨٩) .

وينتقل «كونج» إلى الحديث عن مدى صحة تصور القرآن لعيسى عليه السلام ، فيفرق كونج بين فهم الإسلام للكلمة التي هي دليل قدرة الله المطلقة ، والمفهوم المسيحي لها على أنها أصبحت لحماً (الحلول) ويقرر أن القرآن لا يُفهم إلا بالقرآن ، ولا ينبغي أن نحاول فهمه عن طريق الكتاب المقدس ولا علم النفس ، أو أي طريق آخر . ثم يقول : كما أن يحيى كان ممهداً لعيسى ، فإن عيسى (عليه السلام) يعتبر من وجهة نظر الإسلام ممهداً لمحمد ﷺ . وإضافة عبارة من وجهة نظر الإسلام ضرورية جداً في هذا المقام ، لأنها لو تركت لكان ذلك إقراراً من «كونج» أن عيسى ممهد لمحمد (عليهما الصلاة والسلام) ولأصبح أقرب إلى الإسلام منه إلى النصرانية ، ولا أدري لماذا يصر «كونج» على اعتبار الإسلام ديناً منفصلاً ومستقلاً تماماً عن الديانات التوحيدية الأخرى على الرغم من أنه يعترف للإسلام بأصالته وللنبي ﷺ بصدق نبوته وللقرآن بأنه كلام الله ، وذلك على الرغم مما يجده في الإسلام مكملاً ومتمماً ومصححاً لما في الكتاب المقدس ، فكيف يفسر هذا الترابط والتشابه والاتفاق في كثير من النقاط التي ذكرها هو في بحثه مع ادعاء استقلالية الدين الإسلامي عن اليهودية والنصرانية ؟ إجابة هذا السؤال تتطلب من كونج أن يختبر صحة كل ما أورده في هذا البحث ، ويسأل نفسه عن مدى ثقته فيما يقول ويقرر .

وثمة نقطة أخرى يختلف فيها تصور المسيحيين لعيسى (عليه السلام) عن تصور المسلمين لمحمد ﷺ ، فإن عيسى عليه السلام قد جاء ، كما يقول كونج ، معارضاً لكل القوانين ومنادياً بالمحبة بدلاً من القانون حتى في مواجهة العدو . إن هذا التفسير لدور عيسى عليه السلام ليس صحيحاً تماماً ، لأن عيسى عليه السلام أباح أشياء كانت محرمة ، وحرم أشياء كانت محللة لليهود ، والتحليل والتحريم قوانين في صورة أوّلية ، ثم إن هذا الدور وهذه الرسالة التي جاء بها عيسى عليه السلام لم يضعها هو ، ولكنه تلقاها من الله وكُلف بتبليغها كما هي لحكمة لا يعلمها إلا الله ، ولعل الحكمة في ذلك هي أن لكل عصر ما يناسبه من الشريعة ، والله يغير ما يشاء وينسخ حكماً بحكم آخر لمصلحة عباده ، وكان عصر الرسول محمد ﷺ بعد أن أساء الناس استخدام المحبة التي بلغها وعاشها عيسى عليه السلام ، وأخذوا يعتبرون ويبدلون ما أرادوا ، جاءت نبوة محمد ﷺ لتعيد الأمور إلى نصابها ولا تترك فرصة لأصحاب الأهواء من البشر أن يعبثوا بشرع الله ، وتركهم على المحجة البيضاء ، وبين لهم الحلال من الحرام ، وهذا هو الشرع أي القانون ، فما العجب إذن من اختلاف الرسالات باختلاف العصور والثقافة ؟ وكيف نفاضل بين شيئين أحدهما يكمل أو يصحح الآخر ؟ فالخيار يكون هنا للثاني الذي جاء ليكمل ويصحح ما حرف ويأتي بما يتفق وطبيعة المجتمع الإنساني ومستواه الثقافي ومتطلبات حياته .

وثمة خلاف آخر بين الإسلام والمسيحية كما يذكر «كونج» (ص ١٧٦) وهو أن الإسلام ينكر صلب عيسى عليه السلام على الرغم من أن صلبه — كما يقول كونج — واقعة في التاريخ . وأسأل «كونج» أي تاريخ تقصده ؟ التاريخ السياسي للعالم ليس فيه أي دليل على ذلك ، أما تاريخ الكنيسة فهو الذي يقرر ذلك ، وثقتنا في صحة تاريخ الكنيسة تقل عن ثقتنا في صحة ما أضافه رجال الكنيسة إلى تعاليم الدين المسيحي عبر العصور ، أضف إلى ذلك أن بعض المسيحيين يشككون في صحة صلب المسيح وموته على الصلب ، ومنهم «يواخيم هيلدت» في كتابه «الله في ألمانيا Gott in Deutschland ص ٥٤» ويذكر (في ص ٥٥) اسم مؤلف آخر هو «كورت برنا Kurt Berna» الذي قال إن المسيح لم يمت على الصليب ، وقد اضطرت الكنيسة إلى الرد عليه مراراً . فهذه شكوك تأتي أيضاً من صفوف النصارى حول عقيدة من أهم ركائز النصرانية ، ولم تنج عقيدة التثليث من التشكيك في أصالتها ، فلم يكن «كونج» هو أول من شك في نسبتها وأصالتها في الدين المسيحي ، فقد ذكر ذلك أيضاً «ليون جوتيه» في كتابه «المدخل إلى الفلسفة» (ص ٧٠ — ٩٤) حيث أرجع هذه العقيدة إلى أصول يونانية وهللينية .

ولكن ما يثير الاهتمام هو أن «كونج» يستشهد في ذلك بأحد العلماء المسلمين — على حد قوله — وهو محمود محمد أيوب في مقال نشر في مجلة العالم الإسلامي (The Moslem World) في عددها الصادر سنة ١٩٨٠ (ص ١١٦) ، وإنني ، وإن كنت لا أعرف هذا المؤلف معرفة تسمح لي بالحكم على فكره وعقيدته ، إلا أنني أتوقع أن يكون قاديانياً ، فالقاديانية تنكر الموت ولا تنكر الصلب ، فهم يقولون بأن عيسى عليه السلام وضع على الصليب لمدة ساعات ثم أنزل منه ولم يكن قد مات ، ولكنه كان في غيبوبة ، وظن أعداؤه أنه قد مات ودفنوه ، ثم بعد أن عاد إلى وعيه خرج وشوهد في الطريق إلى دمشق ، ويقولون إنه قد وصل إلى كشمير بالهند ، وقد عاش هناك حتى بلغ من العمر (١٢٠) عاماً ثم دفن هناك ، وتوجد هناك فرقة دينية تتعبد في هذا القبر وتقول إنه قبر المسيح ، ويدعي القاديانيون أنهم وجدوا رأس الميت متجهاً إلى القدس ، فأكد لهم ذلك أن هذا الميت هو عيسى بن مريم (عليهما السلام) وهذه القصة اخترعها القاديانيون بوحي من بعض القصص المسرحية التي تقول إن عيسى عليه السلام قد بعث بعد موته على الصليب ، وشوهد هو وأمه متجهين إلى دمشق ، وأن بولس (شاؤول) سار وراءهما للحاق بهما والقضاء على عيسى ، وذلك قبل أن يتنصَّر بولس ، والذي أصبح بعد ذلك رسولاً ، وألف للنصارى أهم مبادىء عقيدتهم ، وهذه القصة ألفها القاديانيون ليثبتوا ادعاء الميرزا غلام أحمد — مؤسس القاديانية أو الأحمدية أنه هو عيسى عليه السلام الذي أخبر الإسلام بعودته إلى الدنيا في آخر الزمان ليحارب الظلم ويقود البشر إلى الدين الصحيح .. ولا أريد أن أسترسل في هذا المجال ، لأنه يخرج بنا عن موضوعنا الرئيسي .

ثم إن قصة الصلب هذه مشكوك فيها حسب ما ورد في الإنجيل ، ولقد وجدت اختلافاً بين الترجمة العربية للكتاب المقدس المعمول بها في مصر الصادرة عن الكنيسة الأرثوذكسية ، وبين الترجمة الألمانية الصادرة عن هيئة الكتاب

المقدس الكاثوليكية ــ شتتجارت ١٩٨٤ م ــ حيث ورد في رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (١ ــ ٢) : «أيها الغلاطيون الأغبياء من رفاكم حتى لا تذعنوا للحق أنتم الذين أمام أعينكم قد **رسم** يسوع المسيح بينكم مصلوباً» ويهمني في هذه الفقرة كلمة «رسم» والسؤال : إذا كان المسيح قد صلب بالفعل ، ألم يكن الأفضل استبدال كلمة «رسم» بكلمة أخرى مثل رؤي ، أو حذفها تماماً وتعديل هذه الفقرة بحيث لا تترك مجالاً للشك الذي تتركه كلمة «رسم» ؟ ولننظر الآن في الترجمة الألمانية فنجدها بدلت كلمة «وضع» (gestellt) وإنني أفضل النسخة العربية لأنها مترجمة مباشرة عن العبرية واليونانية واللاتينية ، ولا أثق في أصل الترجمة الألمانية الذي لم يذكر بالتحديد في مقدمة هذه الترجمة .

وثمة اختلاف آخر اكتشفته بين الترجمتين وهو في إشعيا (١٣/٢١) :

«وحي من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدوانين» هذا نص على أن هناك وحياً من جهة بلاد العرب ، وهو دليل قاطع على صحة الأخبار ببعثة محمد ﷺ ، وإن كان المسيحيون قد جاءوا بتأويل لهذا النص كما هي العادة في مثل هذه الأحوال ، إلا أنني أردت في هذا المقام أن أنبه إلى اختلاف في الترجمة بين العربية والألمانية ، فنجد هذه الفقرة مترجمة في النسخة الألمانية بتبديل كلمة «وحي» بكلمة «حكم» أو خبر (Ausspruch) وهي كالتالي : (Ausspruch über Arabien) وترجمتها إلى العربية من الألمانية هي «حكم على بلاد العرب» فهل يتشابه النصان ؟ أيهما صحيح ؟ الألماني أم العربي ؟ وكما قلت آنفاً فإن الترجمة العربية هي أقرب إلى الصحة من الترجمة الألمانية . وينبهنا هذا الموقف إلى أن اختلاف الترجمات يؤدي إلى اختلاف المعنى كما هو واضح وجلي في هذا النص الأخير ، وهذا ما لا يستهان به في أمور العقيدة ، أما إذا كان الاختلاف اختلافاً في العبارة فقط ، أي أنه لا يؤثر على المعنى ، فإنه يمكن الأخذ به .

ويواصل «كونج» عرض أهم الصعوبات التي تقف في طريق إجراء الحوار بين المسلمين والنصارى ، ويذكر أهمها عقيدة التثليث وعقيدة الحلول ، وقد سبق الحديث عنهما ، ولكنه هنا يتناولها من جانب آخر ، وهو التركيز على نقد المسلمين لهاتين العقيدتين ، ويذكر أن النقاش احتدّ حول هاتين العقيدتين في القرن العاشر الميلادي ، ولم تكن حجج النصارى كافية لإقناع أحد بصحتها ؛ وقد نتج عن ذلك دخول بعض النصارى في الإسلام ، مثل أحد النصارى الذي سمى نفسه بعد دخوله الإسلام حسن أيوب ، وقد كتب هذا المسلم الجديد كتاباً شرح فيه أسباب دخوله الإسلام ، وأهمها عدم اقتناعه بعقيدة التثليث والحلول . ثم يشير «كونج» إلى مناظرة دينية حدثت بين الراهب بولس وأحد المسلمين يدعى «القرافي» (ت ١٣٨٥ م) وقد أصبح رد القرافي على بولس الراهب سلاحاً ماضياً في الرد على هذه العقيدة .

ويؤكد قول «كونج» عالم كاثوليكي آخر هو «هرمان شتيجليكر» (Herrmann Sticglecker) في كتابه «عقائد المسلمين» die glaubens Lehre de Islam) الذي أكد ضعف حجج النصارى وتأثرهم ، بل واعتمادهم في ذلك على اليونان في مذهبيتهم وعلى الرومان في حججهم .

ويرى «كونج» أن التغلب على تلك العقبة لا يكون إلا بالرجوع إلى التصورات المشتركة الموجودة في الكتاب المقدس والقرآن ، وهو من وجهة نظره كما بين ذلك في الفقرة التالية «الإيمان بالتوحيد الخالص» ورفض كل ما يشوب عقيدة التوحيد الخالص ، وهذا التوحيد يمكن الأخذ به في المسيحية إذ فهم معنى البنوة ، أي ما يدعيه النصارى من أن عيسى ابن الله (تعالى الله عن ذلك) بمعنى أن الله اصطفى عيسى عليه السلام وكلفه بالرسالة والنبوة فهو نبي رسول ، وقد فضله الله على من سبقه من الأنبياء بأن خلقه بغير أب جسدي من العذراء مريم عليهما السلام ، ويؤكد «كونج» أن عقيدة البنوة جاءت تقليداً لما جاء في التوراة ، وليست بحال من الأحوال بنوة طبيعية ، ويجب أن تفهم على أنها اختيار وتكليف من الله (ص ١٨٥) .

ويفسر «كونج» التثليث في النصرانية كما يلي :

١) الإيمان بالله الأب ، معناه في الكتاب المقدس الإيمان بالله الواحد ، ويشترك في ذلك اليهود والمسلمون مع النصارى .

٢) الإيمان بابن الله معناه الإيمان بالوحي الذي أنزله الله الواحد على عيسى الإنسان .

٣) الإيمان بالروح القدس معناه الإيمان بتأثير قدرة الله وقوته في الإنسان وفي العالم أجمع .

وهذه هي العقيدة الصحيحة ، بخلاف العقيدة الخاطئة التي نشأت وتبلورت في الكنيسة في عصور متأخرة (ص ١٩٠) ويقول «ويلفريد كانتويل» (Wilfred Cantwell) : إن الإسلام يذكّر المسيحيين بأصلهم (المصدر نفسه) .

أما النقاط التي يمكن أن تكون قاعدة للنقاش أو الحوار بين المسلمين والنصارى فهي :

١) كل من المسيحي والمسلم يؤمن بوحدانية الله ويصدّق بنبوة آدم ونوح وإبراهيم وآباء إسرائيل .

٢) لا يصح للمسيحي أن ينكر نبوة محمد ﷺ الذي يشهد بنبوة المسيح .

٣) يعتبر المسلمون عيسى (عليه السلام) صاحب رسالة مهمة فيها خير باق للبشر .

وهذه النقاط تؤكد ــ كما يرى كونج ــ أن الإسلام والمسيحية لا يتناقضان ، بل يتصلان ، ويخلص «كونج» من هذا العرض إلى مطالبة المسلمين اتباع الطريق الذي اتبعه عيسى (عليه السلام) أي جعل القانون في خدمة الإنسان وليس العكس ، أي الإنسان في خدمة القانون ، وقد سبق الرد على هذه النقطة في القسم الرابع من هذا البحث ، وأوجزه في أن اتباع شرع الله في الإسلام (القانون الإلهي) هو نفسه خدمة للإنسان وليس ضد خدمة الإنسان ، لأن الله لا تضره ولا تنفعه معصية أو طاعة ، وإنما جاء هذا الشرع الإلهي لتنظيم حياة الإنسان بما يعود على الإنسان بالخير . وأحب أن أسأل «كونج» عما إذا كان يعرف مجتمعاً يسيِّر أموره أي مصالح الإنسان فيه بدون قانون ، بالتأكيد لا يوجد مثل هذا المجتمع على الأرض ، إذن لابد من قانون يضبط سلوك الإنسان في تعامله مع الآخرين ، وهذا القانون لابد أن يكون له مصدر ، وهو إما مصدر بشري أو إلهي ، فالخيار إذن بين هذين المصدرين أيهما أفضل ؟ لعل «كونج» يقصد من ذلك أن القانون البشري يمكن تعديله وتغييره بما يتفق مع مصلحة الإنسان ، بينما القانون الإلهي لايمكن تغييره من الإنسان ، وهذا التفسير له وجه ، ولكن عليه أيضاً بعض التحفظات ، فمن الذي يضمن للإنسان أن تغيير القانون يكون دائماً في مصلحة الإنسان ؟ الواقع يشهد أن كثيراً من القوانين البشرية لم تصل بعد إلى درجة العدل المطلق بين الناس ولكنها عادة ما تميل إلى جانب فئة على حساب الأخرى ، وهي في أحسن الأحوال عندما لا تميل إلى فئة على حساب الأخرى فقد تميل إلى جيل على حساب أجيال أخرى ، كما نرى الآن في كل العالم القوانين التي تبيح للإنسان في هذا الجيل أن يعيش ويستمتع بما

سوف يضر الأجيال القادمة وقد يجعل حياتها مستحيلة ، وأقصد هنا ما يدور في مجال الأبحاث والصناعات النووية ، وأعتقد أن كونج وغيره من العلماء لا يختلف معي في خطورة ما يصنعه هذا الجيل على الأجيال القادمة ، وعلى الطبيعة بشكل عام ، هذا هو حال القانون الوضعي الذي يشكل طرف الخيار الآخر مع القانون الإلهي الذي لانجد فيه أي ميل للفرد على حساب الآخر ، أو إلى فئة على حساب أخرى ، أو إلى جيل على حساب الأجيال التالية .

وإذا كان كونج ينطلق من أن عيسى عليه السلام قد ألغى عبادة القانون كما رآها من اليهود الذين كانوا يغيرون ويبدلون ما شاءوا منه ويوقفونه وينفذونه حسبما شاءوا ، فعمَّ الظلم والفساد الذي ثار ضده عيسى عليه السلام ، فهل يعني ذلك أن الشرع الإلهي كله أياً كان يؤدي إلى الظلم والفساد الذي هو ضد الإنسان بالطبع ؟ ثورة عيسى عليه السلام لم تكن ضد الشرع الإلهي ، فهو لا يثور على شرع أوحاه الله الذي كلفه بتبليغ رسالة سماوية ، ولكنه كان ثائراً على طريقة استخدام هذا القانون . وأما ما نادى عيسى عليه السلام بتغييره ، أي بتحليل بعض المحرمات وتحريم بعض المحلَّلات فقد كان ذلك بوحي من الله ، الذي له الحق وحده في نسخ ما يرى من أحكام وإبدالها بأخرى أو تعطيلها كلية لأنه هو مصدرها وصانعها .

هذا هو اعتقاد المسلمين وفهمهم لشريعة الله التي هي رحمة لهم .

وفي ختام هذا الفصل الذي يعني ختام الحديث عن الحوار الذي من أجله نظمت الندوات وجمعت محاضراتها ومناقشاتها في هذا الكتاب موضوع العرض والنقد ، يهيب «كونج» بالنصارى أن يؤمنوا برسالة محمد إيمانهم برسالة عيسى (عليهما الصلاة والسلام) لأن كلاً منهما لم يكن سوى نبي ونذير لقومه ، وكلاهما نادى بتوحيد الله ، وهو شخصياً يفعل ذلك ويؤمن بنبوة عيسى ومحمد (عليهما الصلاة والسلام) ويخلص «كونج» من هذا النداء إلى أن التنصير والدعوة من جانب النصارى أو المسلمين ليس لها أي داع . ويرى أنه من الأفضل أن نوجه الجهود إلى الإيمان الحقيقي بواحدانية الله وبصدق أنبيائه واتباع ما جاؤوا به .

وفي هذه الحال يمكن أن يتعلم المسيحي من المسلم ، وكذلك المسلم من المسيحي ، بحيث يقوي كل منهما عقيدته بمساعدة الآخر وليس على حسابه ؛ ويجب أيضاً على المسلمين أن يعترفوا بالمسيحية الحقيقية التي توجد أيضاً في القرآن الكريم لترتبط كل ديانات التوحيد برباط الإيمان بالله في مواجهة عالم لا يعترف بالدين .

والذي يسترعي الانتباه في هذا القول وفي غيره مما جاء في هذا الفصل والفصول الأخرى التي كتبها «كونج» وبين فيها موقفه من الإسلام وفهمه للمسيحية الحقة من وجهة نظره ، أن هذا الموقف الإيجابي إلى حد كبير كان ينتظر أن يأتي من علماء تخصصوا في العلوم الإسلامية من غير رجال الدين المسيحي ، أي من المستشرقين الذين يدّعون أنهم علميون وموضوعيون ، ولكن كما نرى بعد المقارنة بين ما ذكره «فان إس» المستشرق ، وما ذكره العالم الكنسي المسيحي فإن نصيب دراسة كونج من المنهج العلمي والتفكير الموضوعي أكثر بكثير مما يتوفر في الدراسة الأولى للمستشرق «فان إس» .

وقول «كونج» على ما فيه من فائدة كبيرة يمكن أن يفهم على أنه محاولة لإيقاف نشاط الدعوة الإسلامية بين المسيحيين ، وكذلك من جانب المسيحيين إيقاف التنصير بين المسلمين ، وهذا يعني في أفضل الأحوال دعوة إلى توحيد ديانات التوحيد وهي اليهودية والنصرانية والإسلام في مواجهة تيار الإلحاد الذي ساد كثيراً من بقاع العالم ، ولم يعد يقتصر على المجتمعات الشيوعية ، بل إن أكثر المجتمعات النصرانية وبعض المجتمعات التي يعيش فيها غالبية مسلمة تزخر بالفكر الإلحادي المتمثل فيما يسمى بالعصرانية (العلمانية) أو الحداثة أو البنوية فهي كلها وإن لم تطابق معانيها تفصيلاً فهي جملة تتحد في الهدف .

ولكنني أعرف أنه لا يدعو إلى توحيد الديانات بالمعنى المعروف لهذه الكلمة ، أي أن تنصهر الديانات الثلاثة في دين واحد ، ولكنه يسعى إلى ما يشبه الاتحاد الفيدرالي بين ولايات متعددة تتمثل في دولة واحدة على الرغم من احتفاظ كل منها بقدر كبير من الاستقلالية ، كما هو الحال في الولايات المتحدة وألمانيا الغربية وغيرها .

ومثاله في ذلك ما سبقت إليه الكنائس المختلفة لإيجاد إطار عام تتحد تحته ، ويضمن لكل منها استقلالاً عن الأخرى في شؤونها الخاصة ، ولا تزال الكنائس تسعى إلى هذا الهدف لمواجهة الديانات الأخرى غير المسيحية ، وهذا هو العمل الرئيسي للمعهد الذي يديره المؤلف «هانس كونج» التابع لجامعة توبنجن منذ أكثر من عشرين عاماً . وهو يرى أن الوقت قد حان لتطوير محاولة توحيد الكنائس لتصبح محاولة لتوحيد الديانات السماوية (Interreligiöse Ökumen) ويسمي هذه المرحلة «مرحلة ما بعد العصر الحديث» (Die Postmoderne Zeitalter) فهو لا يريد ــ بالتأكيد تأسيس دين جديد تتوحد فيه الديانات السماوية كما هو الحال في البهائية مثلاً ، ولكنه يسعى إلى تقريب الديانات السماوية بعضها من بعض عن طريق إبراز ما يجمعها والتركيز عليه وترك ما يفرقها من كل الأطراف المشتركة ، فهي أقرب إلى وحدة بين الديانات منها إلى توحيد الديانات . ولكن هذا التصور يعني بالنسبة لنا نحن المسلمين أن نهمل واجباً أساسياً من واجباتنا وفرضاً من فروض ديننا وهو الدعوة إلى الله ، وهذا أمر خطير لا يمكن لمسلم أن يقبله ، فالأمر بالدعوة إلى الله واضح جلي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وترك الدعوة خروج على أمر من أهم أوامر الله لهذه الأمة الإسلامية . ولكن لعل ما يقصده كونج ليس إيقاف الدعوة تماماً ، بل توجيهها إلى غير أهل الكتاب وخاصة الملحدين .

يقول تعالى في كتابه الكريم : **﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾** (يوسف ١٢/١٠٨) ويقول تعالى في آية كريمة أخرى : **﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾** (النحل ١٦/١٢٥) . علينا أن نستبشر خيراً ما ذكره كونج عن الإسلام ، ولكن علينا أيضاً أن نحذر ما قد نقع فيه إذا وافقناه على كل شيء ، ولكن الحذر لا ينبغي أن يجعلنا نرفض كل ما جاء في هذا الكتاب ، مهما كان الأمر ، فهذا الكتاب يعد من أخطر ما كتب عن الإسلام ، وخاصة أن كاتبه من العلماء المرموقين ذوي الشهرة الواسعة في الأوساط الدينية والكنسية ، ولا ينبغي أن يثنينا ما ورد من نقد عن الاهتمام بأفكار هذا العالم الذي يستحق الاحترام ، ومحاولة كسبه إلى صف الإسلام . والله من وراء القصد .

الأنبياء في القرآن

لسعد صادق محمد

توفيق علي وهبة

محمد ، سعد صادق/الأنبياء في القرآن .ـــ الرياض : دار اللواء ؟

مقدمة :

القرآن الكريم حافل بكثير من الجوانب .. جوانب تدعو الفرد والجماعة للتحلي بالأدب والأخلاق ، وتصلح قلوبهم ، وتدخل بها إلى منازل التوحيد والحق ، وتبتعد بها عن مهاوي الشرك والخرافة والدجل .

وجوانب تدعو الإنسان للنظر في ملكوت السموات والأرض لتنتفع بما سخر الله له في الدنيا .

وجوانب تشرح قصص الأمم السابقة مع أنبيائهم من هدي منهم بهداية السماء ففاز ونجا ، ومن أعرض منهم عن آيات الله وكفر بها ، فغضب الله عليه ولعنه .

ومن هذه الجوانب التي اشتمل عليها كتاب الله ، اختار المؤلف الجانب الذي يشرح قصص الأمم السابقة مع أنبيائهم .

وفي المقدمة يبين المؤلف أن الإنسان بعد أن أوجده الله على الأرض فترة من الزمن ، وفدت عليه تيارات خارجية ، حملت إليه الغواية والضلال ، وشوّهت فطرته السليمة ، وانحرفت به عن سبل الهدى والرشاد .. وأن الإنسان عندما ضلّ واتخذ له أرباباً وآلهة شتى في الأرض اتجه إلى المادية ، فعبد المادة ، ومن هنا ضل الطريق إلى كل ما يتصل بالروحانيات ، فانقلبت حياته إلى فوضى في العقيدة وفي الأخلاق وفي الحياة الاجتماعية .. وفي المعاملات المالية ، فكان لابد من رسل تنتشله من حياة الفوضى والتشريعات البشرية الظالمة التي يحيا في دائرتها ، وتعيده إلى شرع الله حيث يجد فيها الحياة الكريمة .

وتحت عنوان «مدخل» يتناول نوعين من الآيات الكونية :

النوع الأول : الآيات التي يسير عليها نظام الكون ، وهي آيات ثابتة لا يعتريها تبديل ، وترتبط فيها الأسباب بالمسببات ، وتزخر بها حياتنا اليومية ، ومن أمثلتها : ولادة الإنسان بعد أن يمكث المدة المقررة ببطن أمه ، ثم مروره بأطوار الطفولة ، ثم الصبا ، ثم المراهقة ، ثم الإدراك ، ثم الشباب ، ثم الكهولة .

ومنها : شروق الشمس من المشرق ، وغروبها من المغرب ، وأن العكس لا يمكن أن يحدث .

النوع الآخر : آيات الله لرسله ، وهي الآيات التي تجري على خلاف السنن الكونية ، فهي سنن تجري بقوى خارقة للعادة ، وتأتي من غير الطريق المعروف للإنسان في سننه الكونية . إنها آيات يعجز البشر عن إتيانها ، ولهذا سميت معجزة وجاءت لتتحدى البشر للدلالة على أن رسالات الأنبياء والرسل هي من عند الله ، وليست من عند البشر ، وأن وظائف الرسل والأنبياء هي تبليغ دعواتهم للناس ، وأن هذه الدعوات تعود كلها إلى أصل واحد هي تحقيق كلمة «لا إله إلا الله» وهذه الكلمة تعني : نفي العبودية عن غير الله وإثباتها لله وحده .

ثم يبين المؤلف أنه لولا الآيات المعجزة التي أيد الله بها الرسل والأنبياء ما استطاع هؤلاء الدعاة أن ينتزعوا العادات المذمومة وعقائد الشرك والوثنية التي رسخت في أذهانهم لأنها من موروثات الآباء ، ومقدسات الأجداد ، ولذلك استلزم الأمر أن تكون المعجزة مفحمة ، مقنعة ، ولكي تكون كذلك كان لابد أن تأتي لهم على مستوى أكبر مما ارتقوا فيه من الفنون والعلوم ، فلو جاءت لهم المعجزات أقل من هذا المستوى ما استطاع النبي أو الرسول إقناعهم بأن ما جاءهم به هو من عند الله لا من عنده ، وخاصة أن عناصر دعوته تضمنت : الإقرار بالغيب ، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث والنشور وغير ذلك مما يدخل في نطاق الغيبيات .

ثم أوضح المؤلف أن المعجزات ليست جميعها من نوع واحد ، ولم تقم بأداء وظيفتها بكيفية واحدة ، بل اختلفت في مادتها وتغايرت في عملها ، فقد جاءت كل معجزة بما يناسب حال الأقوام ، وبما نبغوا فيه من فنون .

بعد هذا يبدأ المؤلف في الحديث عن كل رسول أو نبي على حدة وموقف قومه من دعوته .

فبدأ بنبيِّ الله نوح عليه السلام : فيذكر أنه دعا قومه لعبادة الله

وحده وإفراده بالشكر والضراعة ، وترك عبادة الموروثات الباطلة ، وخاطبهم بالقول الطيب لعلهم يذعنون لدعوته ، وكان نوح صابراً على مجادلة قومه ، لكن المعاندين منهم أبوا أن يعرفوا طريق الهداية ، فعموا وصموا عن دعوة نبيهم .

ومكث نوح فيهم **﴿ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾** ينذرهم ويبشرهم ، دون جدوى ، ولما نفد صبره من الاستجابة لدعوته طلب من الله أن ينصره عليهم وينجيه منهم **﴿قال ربِّ إن قومي كذّبونِ ، فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجّني ومن معي من المؤمنين﴾** الآيات ١١٧ ـــ ١١٩ الشعراء .

فأمره الله أن يصنع الفلك ليخرج بها ومن آمن به دون المكذبين من بلده : **﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنِي في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾** الآيتان ٢٦ ـــ ٢٧ هود .

وفي الفلك الذي صنعه نوح صحب معه المؤمنين به ، وعندما أراد أن يشفع لابنه لم يستطع ، لأنه كان في عداد الكافرين به ، ويقول الله في خروج نوح ونهاية القوم : **﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولاتكن مع الكافرين . قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين . وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾** الآيات ٤٢ ـــ ٤٤ هود .

وهود عليه السلام : أرسله الله إلى قومه عاد الذين رزقهم الله بساتين غنّاء وحدائق فيحاء وقصوراً وغير ذلك من النعم ، ولكنهم بدلاً من أن يشكروا الله معطي هذه النعم ، راحوا يتخذون أصناماً يفزعون إليها لقضاء الحاجات ، بالإضافة إلى إفسادهم في الأرض بالظلم والبغي .

فأرسل الله إليه هوداً يدعوهم إلى معرفة الله وترك الشرك والفساد ولكنهم رفضوا دعوة هود لهم ، وأصروا على العناد والكفر **﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾** الآية ٧٠ الأعراف .

وإزاء موقف العناد أرسل الله إليهم ريحاً صرصراً دمّرت بيوتهم وتركتهم صرعى . وفي شأنهم قال الله تعالى : **﴿تدمّر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾** الآية ٢٥ الأحقاف .

أما هود فقد نجّاه الله ومن معه من هذه الريح العاتية .

وصالح عليه السلام : أرسله الله إلى قومه عاد ، عندما انحرفت عن جادة الطريق . ذكرهم صالح بنعم الله عليهم حيث كانوا يعيشون في حضارة من بعد عاد ، قال لهم صالح : **﴿أتتركون فيما هاهنا آمنين . في جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين . فاتقوا الله وأطيعون ..﴾** الآيات ١٤٦ ـــ ١٥٠ الشعراء .

وكشأن كل مرتاب ، طلب القوم من صالح أن يأتيهم بآية تؤكد صحة دعوته ، طلب القوم منه ناقة عشراء ، فأخذ صالح منهم المواثيق أن يؤمنوا به إذا أجابهم إلى طلبه ، فأعطوه ميثاقهم ، وحذرهم ألا يمسوها بسوء ، ولكن المستكبرين من قومه عقروا الناقة معرضين عن إنذاره ، وطلبوا منه التعجيل بعذابهم **﴿وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين﴾** الآية ٧٧ : الأعراف .

فأرسل الله عليهم صيحة من السماء فأصابتهم رجفة شديدة ، فهلكوا ، يقول الله في هذا : **﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمودا كفروا ربهم ألا بعداً لثمود﴾** الآيتان ٦٧ ـــ ٦٨ هود .

وإبراهيم عليه السلام : كان يعيش في بابل ، فأرسله الله إلى أهلها ، حيث انصرفوا إلى معبوداتهم ، ونسوا الله الذي خلقهم ، وأسبغ عليهم نعمه ، ويقصّ الله علينا مقالته لقومه : **﴿إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾** الآيتان ٥٢ ـــ ٥٤ الأنبياء .

ولكن قوم إبراهيم أصروا على العناد والكفر ، وكان أبوه يتابعهم في كفرهم ، وأراد إبراهيم أن يبين أنهم يعبدون أوهاماً ، فانتهز فرصة رحيلهم إلى عيد لهم يقيمونه كل عام للآلهة ، فهوى على الأصنام بمعول وحطّمها ، فلما عادوا ورأوا ما حدث لأصنامهم ، ذهلوا وغضبوا واتهموا إبراهيم بإهانة أصنامهم فقرروا حرقه بالنار .

وأوقد القوم النار لإبراهيم عليه السلام ، ولكن عناية الله ترعاه فتحدث المعجزة ، إذ يأمر الله النار بأن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم ، يقول الله تعالى : **﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾** الآية ٦٩ الأنبياء . وبهذا ينجو إبراهيم الخليل من كيد أعدائه **﴿وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين﴾** الآية ٧٠ الأنبياء .

ولوط عليه السلام : أرسله الله لأهل سدوم ـــ وهي بلدة كانت متاخمة لبيت المقدس ـــ وكانوا قبل أن يأتيهم لوط يأتون المنكرات ومنها : إتيان الرجال شهوة من دون النساء التي أحلهن لهم .. كانوا يأتون هذا المنكر ، ويشيعونه في أنديتهم ، يقول الله في هذا : **﴿ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل**

وتأتون في ناديكم المنكر﴾ الآيتان ٢٨ ــ ٢٩ العنكبوت .

ولكن قوم لوط استحبوا الضلالة على الهدى **﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾** الآية ١٦٧ الشعراء .

واشتد الحزن بلوط تمادي قومه في إتيان الفاحشة ، فأمره الله بالخروج من قريته في وقت من الليل ، وبعد أن تجاوز لوط منازل القوم ، نزل بهم عذاب الله ، ويقول الله في هذا : **﴿فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾** الآية ٧٤ الحجر **﴿وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾** الآية ٨٤ الأعراف . ونجا لوط ومن معه من العذاب .

وشعيب : كان نبياً عاش في قومه مدين ، وكانوا كغيرهم من الأقوام الذين انحرفوا عن عقيدة التوحيد ، وعبدوا غير الله ، وبالإضافة إلى ذلك اعتادوا أن يستوفوا لأنفسهم الكيل والوزن إذا اشتروا من الناس ، فإذا وزنوا هم لهم نقصوا في الميزان ، يقول الله في شأنهم : **﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾** الآية ٨٥ الأعراف .

ولم يرق القوم دعوة شعيب لهم للإصلاح ومعاملة الناس بالعدل ، فاستهزؤوا بدعوته **﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾** الآية ٨٧ هود .

وتمادى القوم في تكذيب شعيب ، ورفضوا اتباعه ، وقالوا **﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين﴾** الآية ١٨٧ الشعراء . فأنزل الله عليهم عذابه **﴿فكذّبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم . إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾** الآيتان ١٨٩ ، ١٩٠ الشعراء **﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾** الآية ٩٤ هود .

وموسى عليه السلام : أرسله الله إلى فرعون «ملك مصر» الذي مكنه الله في أرضها ، وجعله سيداً عليها ، ولكنه استبد بملك مصر ، وانفرد بإدارة الأمور ، وأعلن نفسه إلهاً على شعب إسرائيل يعذبهم وينكل بهم ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، فقرر ذبح كل مولود يولد من بني إسرائيل بعد أن جاءه من يخبره بمجيء مولود من رعيته سيكبر ويعمل على إسقاط ملكه ، يقول الله في هذا : **﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾** الآية ٤ القصص .

وعندما ولد موسى عليه السلام ، تولاه الله برعايته ، فحفظه حتى كبر واشتد عوده ، وهو في بيت فرعون ، يقول الله في هذا : **﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولاتخافي ولا تحزني إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين ، فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون﴾** إلى قوله تعالى **﴿فرددناه إلى أمه كي تقرّ عينها ولا تحزن﴾** الآيات ٧ ــ ١٣ القصص .

وتمضي الآيات تتلو علينا اشتداد ساعد موسى ، ثم قصة ذهابه إلى مدين وزواجه بابنة أحد شيوخها ، ثم خروجه من مدين ليتلقى رسالة ربه إلى فرعون وملئه لوقف طغيانه وجبروته ، يقول الله تعالى : **﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين . إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين﴾** الآيتان ٤٥ ــ ٤٦ المؤمنون .

ورفض فرعون دعوة موسى وأخيه هارون ، وقال هو وملؤه : **﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين﴾** الآية ٧٨ يونس .

ولما كان فنّ السحر منتشراً في ذلك الوقت ، فقد دعا فرعون موسى إلى مؤتمر يلتقي فيه سحرة فرعون بموسى ليلقوا فيه بما لديهم من فنّ السحر .

وفي المؤتمر ألقى سحرة فرعون بما ظنوه مغالبة لموسى الذي ظنها حقيقية فهابها ، ولكنها كانت خيالاً كما قال الله عنها : **﴿فإذا حبالهم وعصيّهم يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾** الآية ٦٦ طه .

وأمدّ الله موسى بمعجزة لنصرته ، يقول الله عز وجل : **﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ، وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾** الآيتان ٦٨ ــ ٦٩ طه .

أما سحرة فرعون فقد آمنوا بموسى أمام المعجزة الباهرة **﴿فألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . ربّ موسى وهارون﴾** الآيات ٤٦ ــ ٤٨ الشعراء .

ولم يعجب فرعون إيمان السحرة بموسى وهارون ، فغضب ، وقرر مطاردتهما خوفاً من انتشار دعوتهما ، فطلب الله من موسى أن يخرج بمن آمن معه من المدينة **﴿فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون﴾** الآية ٢٣ الدخان .

ولما خرج موسى والمؤمنون به تبعهم فرعون إلى شاطىء البحر ليقتله ، ولكن تداركته عناية الله ، فمهّد له طريقاً يابساً في البحر وقال له : **﴿فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا**

تخشى﴾ الآية ٧٧ طه .

وجاوز موسى ومن معه البحر ، إلى الشاطىء المقابل ، وعندما تبعه فرعون ليقتله عاد البحر إلى حالته الأولى وغرق فرعون ، فاستغاث بالله ، يقول الله في شأنه : **﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا ادّاركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾** الآيات ٩٠ — ٩٢ يونس .

بعد أن نجى الله موسى ومن معه ، وهلك فرعون ، سار موسى بمن معه إلى صحراء سيناء ، ولكن بني إسرائيل عادوا إلى عبادة الأصنام في غفلة من موسى وهو بميقات ربه ، يقول الله عنهم : **﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليّهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين﴾** الآية ١٤٨ الأعراف .

وعيسى عليه السلام : أرسله الله بعد موسى إلى بني إسرائيل حين ضلوا وفسدت حياتهم .

حارب عيسى في قومه ثلاث اتجاهات هي :

- قيام أحبار اليهود بتحريف أحكام التوراة ؛ فكانوا يكتبون للعامة شرائع من الخرافات والبدع ، ويدّعون أنها من عند الله ، يقول الله سبحانه : **﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾** الآية ٧٩ البقرة .
- حبهم للمال حتى غدا كل شيء عندهم مقوّماً بالمال .
- إنكارهم القيامة والحساب والبعث ، وانغماسهم في شهوات الحياة .

وعندما دعاهم عيسى عليه السلام إلى نبذ هذا الفساد والانحراف ، طلب الكهنة منه أن يأتيهم بالدليل على صدق دعوته .

ولمّا كان بنو إسرائيل أهل علم بالطب ، فقد أمدّه الله بمعجزات تتصل بفنون الطب ، فكانت معجزاته هي :

«خلق طير من الطين . إبراء الأكمه والأبرص . وإحياء الموتى . الإنباء بما هو مجهول من طعامهم ومدّخراتهم . إنزال المائدة للحواريين حافلة بمختلف الأطعمة والأشربة» . يقول الله عن معجزاته : **﴿ورسولاً إلى بنى إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله . وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾** الآية ٤٩ آل عمران .

وبعد أن أيّد الله نبيه عيسى بهذه المعجزات ، لم يؤمن بها بنو إسرائيل ووصفوها بالسحر **﴿فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾** الآية ١١٠ المائدة .

ثم تركهم عيسى وأخذ ينشر دعوته على الناس ، ويكشف باطل الكهنة حتى خشوا على مكانتهم ، فوشوا به عند الحاكم الروماني ، فأصدر عليه حكم الإعدام ، فأخذوا يبحثون عن عيسى لإعدامه ، ولكن الله حفظه منهم ورفعه إليه ، وقبضوا على شخص شبيه به ، فقتلوه وصلبوه ، ويقول الله في هذا : **﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾** الآية ١٥٧ النساء . **﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا﴾** الآية ٥٥ آل عمران .

وخاتم هؤلاء الرسل والأنبياء ، هو محمد : ﷺ ، أرسله الله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً .

ولد الرسول في بيئة جاهلية ، انتشر فيها ظلام الوثنية ، وخيم عليها ركام العادات الموروثة ، كما قامت حياتهم على التعصب للقبيلة وإذلال الضعفاء حتى أضلّتهم هذه الحياة عن كل سبيل يهدي إلى الخير ، فكان لابد من داع يدعوهم إلى التوحيد والحق والهدى .

ولقد عرف النبي في مراحل حياته قبل البعثة بالاستقامة ، والبعد عن مجالس اللهو وحياة الفساد العقائدي والأخلاقي والاجتماعي ، ولذلك اضطر إلى اللجوء إلى غار حراء ليكون بعيداً عن فسادهم وضلالهم .

وحينما أذن الله لشمس الهداية الإسلامية أن تبزغ نزل عليه جبريل يبلغه أمر ربه بالخروج إلى الناس ليبلغهم رسالة الإسلام الهادية ، وخرج رسول الله إلى قومه وعشيرته يدعوهم للاحتكام إلى شريعة الله وحده ونبذ شريعة الجاهلية ، فآمن به نفر من قومه وأهل بيته ، شرح الله صدورهم للإسلام ، أما باقي الناس فقد وقفوا ضد دعوته ، ووصفوها بالأساطير ، يقول الله تعالى : **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا أساطير الأولين﴾** الآية ١٥ القلم .

كما طلبوا من الرسول تبديل القرآن **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله﴾** الآية ١٥ يونس .

وكذلك دأب قومه وعشيرته على الإساءة لشخصيته بالقول والفعل فكان يصبر ويتحمل ، وكذلك آذوا أصحابه بالتعذيب والتنكيل ، فصبروا .

كانت معجزة الرسول ﷺ «القرآن» وقد جاءهم الرسول به ليعجزهم ، لأنهم كانوا أهل بلاغة وبيان ، تحداهم الرسول أن يأتوا بمثل سورة من القرآن فعجزوا ، وقد شهد الوليد بن عتبة بتفوق القرآن على بلاغتهم عندما سألته قريش أن يقول شيئاً ضد القرآن لأنه

كان معروفاً بتذوقه لفنون البلاغة ، فقال الوليد : «والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، وإنه ليحطم ما تحته».

وبعد هذه الشهادة الصادقة من الوليد ، ألحت قريش عليه أن يقول شيئاً ضد القرآن ، ولكي يرضيهم أخذ يفكر ، ثم خرج عليهم بقوله عن القرآن : ﴿**إن هذا إلا سحر يؤثر**﴾ الآية ٢٤ المدثر .

هذا هو كتاب «الأنبياء في القرآن» كما كتبه مؤلفه .

لقد كان المصدر الوحيد الذي اعتمد عليه المؤلف ليعرض هذه القصص هو (القرآن) ومن ثم ابتعد عن المراجع الأخرى التي تشوبها بعض شوائب الوضع والكذب ، ولما كان مرجعه هو القرآن وحده ، فقد ابتعد عن الخيال ، وعن حشد الموضوع بالإسرائيليات كما يفعل البعض ، ذلك لأن القرآن صادق في موضوعه حقيقي في أحداثه .

ديوان ديك الجن

بتحقيق مظهر الحجي

مصطفى الحدري

جامعة البعث - حمص

ديك الجن الحمصي ، عبد السلام بن رغبان ، ت ٢٣٦ هـ/ديوان ديك الجن الحمصي ؛ جمع وتحقيق مظهر الحجي .ـ ط ١ .ـ دمشق : وزارة الثقافة ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧م ، ٢٧٠ ص (إحياء التراث العربي ــ ٧٣) .

كان لديك الجن الحمصي المتوفى سنة ٢٣٦ هـ ديوان مجموع ، ولكنه ضاع فيما ضاع من تراثنا العظيم . وقد لقي هذا الشاعر في العصر الحديث من العناية ما يغبطه عليه أمثاله من الشعراء لو كانوا أحياء ؛ إذ حاول عدد من الباحثين العراقيين والسوريين ــ من أهل حمص ــ جمع أخباره وأشعاره .

وأول من توجه اهتمامه إلى ديك الجن محمد السماوي من العراق ، فقد جمع من أشعاره مقداراً سماه «الملتقط من شعر عبد السلام بن رغبان ديك الجن» ولكن عمله بقي مخطوطاً إلى أن جاء من بعثه من مرقده . وتلاه الأستاذان الحمصيان عبد المعين الملوحي ومحيي الدين الدرويش ــ ولم يكونا على علم بما فعل ــ فجمعا من أشعار مواطنهما ما أمكن جمعه ، ونشر عملهما سنة ١٩٦٠ م أي بعد وفاة السماوي بعشر سنوات .

وصدر سنة ١٩٦٤ م ديوان لديك الجن اتخذ مخطوطة السماوي أساساً ، وزاد عليها ما أمكن جمعه . وقام بذلك باحثان من العراق هما أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري . وتلا ذلك استدراك على ديوان ديك الجن لهلال ناجي وغيره .

وقد نشرت وزارة الثقافة السورية سنة ١٩٨٨ م ديوان ديك الجن بجمع مظهر الحجي وتحقيقه . وقد أفاد من عمل سابقيه وأمده بالعون علماء أجلاء ، ومع ذلك فإن لي على هذا الديوان بعض الملاحظ .

وتخوض هذه الملاحظ غمار أخباره وأشعاره ، فتنتقد تقصير المحقق في بعض الشروح وتحقيق نسبة الأبيات وضبط الروايات ، وتذكر بعض التخريج الذي فاته . وقد كان بودي أن أجد من أشعار ديك الجن ما يضاف إلى هذا الديوان ، فما وجدت إلا قوله :

حرّ الإهاب وسيمه برالإيا ب كريمه محض النصاب صميمه[1]

وقد وردت الكلمة الأخيرة عند ابن أبي أصيبعة بلفظ «حميمه» وما ذلك بصواب .

أخباره :

نقل المحقق في ص ٢٢ من الديوان عن تاريخ دمشق لابن عساكر ، قطعة لابن المدبر (أحمد بن محمد) يعبث فيها بديك الجن ،

ونقلها وقصتها في حاشية ص ٦٠ . وفيها أن ديك الجن أرسل قطعة من شعر المديح إلى ابن المدبّر ، فقرأها ابن المدبر وقال : أريد أن أتولّع به ، فوقع على ظهر الورقة التي فيها قطعة المديح :

١ ـــ ما عندنا شيء فعطيه ولا نفــي بالشكـــر شكريـــه

٢ ـــ ....

٣ ـــ ....

٤ ـــ وإن رضي منا بميسورنا أمرت (.................) أن تعديه

وأمر بإخراجها إليه ، فلما قرأها قال : «لأصيرن باطن أمه ظاهرها» والبيت الأول كما تراه لا يماثل صدرُه عجزَه ، فالصدر من الكامل التام ، والعجز من مجزوء الوافر . وقد رأينا مثل هذا في تجارب شعراء التجديد ، ولكنا لا نعهد وجوده في عصر ديك الجن . فكتابته بالشكل الذي رأيت خطأ ارتكبه ناسخ قديم . والبيت وما تلاه من البحر السريع ، وكتابته الصحيحة هكذا :

ما عندنا شيء فنعطيَهُ ولا يفي بالشكرِ شكريَهُ

وقد رأيت أن كلمة «يفي» قد تصحفت من قبل إلى «نفي» أما البيت الرابع فأقدّر أن يكون هكذا :

وإن رَضِيْ منا بمسورنا أمرْت أرضي أن تعدّيَهْ

وعليه فإن «باطن أمه» الذي جاء في القصة هو «باطن أرضه»

وقد طلب جماعة من أبي تمام الشاعر أن يوقظ ديك الجن من إحدى سكراته ففعل ، ولكنه بعد ما أيقظه ما زال به حتى نام ، فعاتبوه ، فقال : «دعوا ذا ينام ، فإنه إن انتبه كرّمنا عشرة آلاف كبيرة» وأعتقد أن قوله «كرمنا» ليس صواباً ، وإنما الصواب «أركبنا» أو كلمة من هذا القبيل .

وأشار المحقق إلى أن دِعْبلاً الخزاعي قد زار ديك الجن في حمص . ومن المقدمة ص ٢٤ ـــ ٢٦ نرى أن اللقاء كان على الشعر وامتداح الخمر . وظهر لي من بعض المراجع والمصادر أن اللقاء كان على رواية الحديث النبوي أيضاً[٢] . وبين المحقق آراء النقاد القدامى في ديك الجن ، غير أن رأي ابن المعتز قد فاته ، وقد كان يلقّب ديك الجن بشاعر الشام[٣] .

الشروح :

ومن المآخذ على الديوان الذي أخرجه مظهر الحجي أنه احتفظ بالشروح والتعليقات التي ورثها عن سابقيه من العاملين في الديوان . وكان عليه أن يغني ما كان فقيراً منها ، أو أن يوضح ما كان غامضاً غير جلي . فمن ذلك أنه نقل عن الطبعة العراقية تعليقها على هذا البيت :

شــرفـي محبّــة معشــر شرُفـوا بسـورة هـل أتـى

وهو «إشارة إلى قوله تعالى : **﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾** سورة الإنسان ١» والحقيقة أن الشاعر لا يريد مطلع السورة وإنما يريد آيات منها ، ولها قصة ـــ زعموا ـــ أنها تتعلق بتلك الأبيات[٤] .

ومن هذا الباب ما ورد في ص ٨٨ وهو :

يحدثنا عن قوم هود وصالح وأغرب من لاقاه عمرو بن مرثد

فقد كان على المحقق أن يعرف بعمرو بن مرثد تعريفاً شديد الإيجاز . والنص في الطبعة العراقية :

.... وأغرب ما لاقاه ....

وهو الصواب ، لأن قصد الشاعر غرابة الأحداث لا غرابة الأشخاص .

وورد في ص ١٠٤ قول ديك الجن :

قفوا على رحلة ترو عجباً في الجهل يحكي طرائف البَصِرَه

فقال المحقق في الحاشية : «الرحل : المنزل والسكن . والبصرة : بلد معروف في العراق ، وهو بفتح الباء وكسرها ، ويحرك وتكسر الصاد . وفي الديوان ب : بضم الباء وفتح الصاد والراء : صيغة مبالغة من بصير ، وهو ذو الفراسة البعيد النظر» وكون بيته يحوي طرائف البصرة مدح لا هجاء . وهذا ما يرجح أن يكون ما في النسخة العراقية وهي نسخة ب هو الصواب . ولكنه أراد بالبُصَرَة المشعوذ الذي ندعوه في هذا العصر بالمُبَصِّر ، وهو الذي يدعي كشف المغيبات ، وإن له لحركات طريفة .

وقال ديك الجن في ص ١٦٧ :

ارحم اليوم ذلتي وخضوعي فلقد صرت ناحلاً كالخلال

ففسر المحقق الخلال بأنها جمع خل ، وهو الثوب البالي . ولا يناسب الجمعُ المفردَ الذي هو الشاعر الناحل ، وعليه فإن الخلال هنا هو العود أو الحديدة التي يُتخلّل بها .

تقسيم الديوان :

قسم المحقق ديوان الشاعر إلى ثلاثة أقسام ؛ الأول للشعر الذي أجمعت المصادر على نسبته إلى ديك الجن ، والثاني للشعر الذي تنازع نسبته ديك الجن وغيره ، والثالث للشعر المنسوب إلى ديك الجن وهو في شعر غيره .

والحقيقة أن ما وضعه المحقق في القسم الأول قد أجمعت المصادر التي راجعها على نسبته إلى ديك الجن . ولكن المصادر التي لم يراجعها قد تنسب بعضه إلى غير ديك الجن . وهذا ما نراه في القطعة التي أوردها المحقق في القسم الأول في ص ٨٩ ـــ ٩٠ فهي أربعة أبيات ، ورد منها بيتان في التوفيق للتلفيق الذي ألّفه الثعالبي[٥] منسوبان إلى أبي محمد الفياضي (عبد الله بن عمر) كاتب سيف الدولة ونديمه ، وهما :

قم فاسقني بين خفق الناي والعود ولا تبع طيب موجود بمفقود
نحن الشهود وخفق العود خاطبنا نزوّج ابن سحاب بنت عنقود

وأشار محقق التوفيق إلى مصادرهما ، ومنها يتيمة الدهر ١٠١/١ وخاص الخاص ١٤٥ وهذان موضعان يمكن أن يضافا إلى مصادر تخريج القطعة في ديوان ديك الجن .

وفي القسم الثالث من الديوان أورد قصيدة نقلها عن الورقة ٤٠ من مخطوط كتاب «جمهرة الإسلام» لمسلم بن محمود الشيزري ، الذي قدّم لها بنسبتها إلى ديك الجن ، ولكن المحقق ارتاب في أن تكون من شعره قائلاً : «وفي ظني أنه واهم تمام الوهم في هذه النسبة ، لأن هذه القصيدة بعيدة كل البعد عن روح ديك الجن وطرائقه في البناء الفني لشعره» . وهذا الميزان الأسلوبي النوقي ليس دليلاً قطعي الثبوت في الرفض أو القبول . ولو حكمنا هذا الدليل لرفضنا نسبة عدد من القطع التي في الديوان لديك الجن ، ولاسيما بعض القصائد ذات الصفة المذهبية ..

تخريج :

أشار المحقق إلى المواضع التي ترد فيها القصيدة أو أبياتٌ منها . ولا بأس بالإشارة إلى مواضع فاته أن يراها ، ومن ذلك أن ستة الأبيات التي في ص ١٠٥ ــ ١٠٦ قد وردت خمسة منها في فصول التماثيل لابن المعتز[٦] ومطلعها :

بها غير معذولٍ فداوِ خمارها وصل بعشيات الغبوق ابتكارها

وفيما أورد ابن المعتز كلمات يمكن الرجوع إليها لضبط الرواية .

وأورد المحقق في ص ١٣٢ ــ ١٣٦ من الديوان قصيدة في عشرين بيتاً ، ذكر عدة مصادر في تخريجها . وأضيف أن البيت العاشر منها في فصول التماثيل[٧] ، وكذلك البيتان الحادي عشر والخامس عشر[٨] ، والبيتان التاسع عشر والعشرون[٩] .

وأورد المحقق في ص ٢٠٧ أربعة أبيات مطلعها :

يا بديع الدل والغنج لك سلطان على المهج

وأحال في التخريج إلى موضع في ديوان الشبلي[١٠] . ومن المفيد أن محقق ديوان الشبلي قد استوفى تخريج هذه الأبيات في موضع آخر منه[١١] وفات محقق ديوان ديك الجن أن يفيد من استيفاء التخريج .

وأورد في ص ١٩٢ ــ ١٩٣ ثمانية أبيات في ساق وساقية ، خرجها من مصادر متعددة . وأضيف أن السابع والثالث والرابع منها قد جاءت في فصول التماثيل برواية يمكن الرجوع إليها[١٢] .

وذكر المحقق في ص ١٩٧ ــ ١٩٨ قطعة خرجها من مصادر متعددة ، وأضيف إليها أني رأيتها في ديوان ماني الموسوس[١٣] وفيه تخريج لها من مصادر فات بعضُها محقق ديوان ديك الجن .

روايات :

ومن الجدير بالذكر أن ضبط الروايات مفيد في عمل ديوان من هذا النوع ، وقد قصّر المحقق في عدم الإحاطة بالروايات واختلاف الكلمات في النص الواحد ما بين مصدر وآخر ، أو ما بين موضع وآخر من المصدر الواحد . ومن ذلك ما تراه في هذا البيت :

قد ذكر الناس عن قيامهم ذكرى بعقلي ما أصبحت نكره

فآخر البيت في الطبعة العراقية «فغرة» وهي كذلك في نسخة من مخوطات الأغاني ، وأزيد أنها في نسخة أخرى «طفرة»

وأورد المحقق في ص ١١٠ قول ديك الجن :

غُصَص تكاد تغيظ منها نفسه وتكاد تخرج قلبه من صدره

وذكر تردد المصادر ما بين «تفيض» و «تفيظ» وكلاهما بمعنى ؛ ولكنه آثر «تغيظ» بالغين وما ذلك بصحيح .

وأورد في ص ١٣٤ بيتاً من قصيدة ، وهو :

فاصرف بصرفك وجه الماء يومك ذا حتى ترى نائماً منهم ومنصرفا

وللصدر ثلاث روايات في الديوان والحاشية ، منها رواية ابن عساكر ، وهي :

فاصرف بصرفك وجه الماء نومك ذا ....

وقد ظنها المحقق تصحيفاً ، وما أرى ذلك . وهو في فصول التماثيل[١٤] هكذا :

فاصرف بصرفك صرف الماء يومك ذا ....

وأورد في ص ١٣٥ هذا البيت :

فاستلّ راحاً كيض وافقت حجناً خلالنا أو كنارٍ صادفت سعفا

وأضيف إلى ما ذكر من رواياته أنه في فصول التماثيل[١٥] هكذا :

فاستلّ راحاً كيض صادفت جَحَفاً ....

وقوله «جَحَفاً» هو الصحيح الذي يوافق معنى البيت ، فهذه الخمرة تلمع في الليل وتضيء كالسيوف التي تصيب الجَحَف ؛ أي تصيب الترسة .

هفوات :

نقل المحقق في ص ٥٢ ــ ٥٩ قصيدة من المنسرح في مديح الخليفة الرابع علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد ورد البيت السابع في ص ٥٣ هكذا :

نفسي فداء لكم ومن لكم نفسي وأمـي وأسرتي وأبي

وأنا في ريب من قوله «ومن لكم» وأتوقع أنها «وحَنّ لكم»

وفي القصيدة نفسها عدة أبيات مدوّرة كتبت هكذا :

٣١- أودى ولو مدّ عينه أسد الغا ب لناجى السرحان في الهربِ
٣٣- لهول يوم تقلّص العلم والدّ ين بثغريهمـا عن . الشنبِ
٣٦- وغادر المعولات من هاشم الخـ ير حيارى منهوكة الحجبِ

٤٠ - ففي لذاك الرواء أم ذلك الرّ أي وتلك الأنباء والخطبِ
٤١ - أو أسمر الصدر أصفر أزرق الرّ أس وإن كان أحمر الحلبِ
والصواب أن يكون التدوير في الأبيات هكذا :
.... أسدال غاب ....
.... وال دين ....
.... هاشم الـ خير ....
.... ذلك الـ رأي
.... أزرق الـ رأس ....

ومن المفيد الإشارة إلى أن قوله «منهوكة الحجب» هو تصحيف عن «مهتوكة الحجب» .

— وأورد المحقق في ص ٦٠ — ٦٢ قصيدة لي تعليق على ثلاثة مواضع منها . وقد كان البيت الأول فيها هكذا :

إني بابك لا ودي يقربني ولا (..............) أبي ولا نسبي

وهو مأخوذ من تاريخ دمشق لابن عساكر ، وفيه طمس مقداره كلمة . وقد نقل المحقق اجتهاد الملوحي والدرويش إذ رقّعا البيت هكذا :

.... ولا أبي شافع عندي ولا نسبي

وهذا الاجتهاد مرفوض ، لأن المعنى يقتضي أن تكون «عندك» في مكان «عندي» وبذلك ينكسر الوزن . ومن ناحية أخرى فإن الكلمة المطموسة بين «لا» و «أبي» وليست كلمتين بعدهما . وأنا أتوهم أنها «يقربني» لأن البيت من البحر البسيط ، ولا يسدّ عواره إلا كلمة بهذه الزنة ، فيصبح هكذا :

.... ولا يقربني أبي ولا نسبي

وقد ورد البيت الخامس من هذه القصيدة هكذا :

فإن (..........) وتحظ بها وإن يضق لا يضق في الأرض مضطربي

وأتوقع أن يكون صوابه هكذا :

فإن تَوَسَّعْ لك الدنيا وتحظ بها وإن تَضِقْ لا يَضِقْ في الأرض مضطربي

وجاء البيت التاسع هكذا :

ما الشنفرى وسليك في مغيَّبة إلا رضيعا لبانٍ في حمىً أشبِ

والشاعر لا يريد أن يذكر تماثل الشنفرى وسليك ، وإنما يريد أن يفخر بكونه مثلهما ، فالصواب إذاً :

.... إلا رضيعا لباني ....

— وأورد في ص ٦٣ قطعة من المنسرح هذا رابعها :

وتـارة كالسطـــور متصلاً (.........) في جوانب الكتب

وأقترح كلمة «حروفها» في مكان الكلمة التي طمست .

— ونقل في ص ٦٤ قوله من الخفيف يصف جواداً :

أحمرٌ كالخضاب في صفح هاديه من الهاديات مثل الخضاب

والصحيح أن يصرف الممنوع «أحمر» وأن يلحقه التنوين ليستقيم الوزن ، وأن تجعل الهاء في العجز لتكون الكتابة دقيقة .

— وأورد في ص ٦٧ قوله من مجزوء الكامل :

خيار لـون قـد أتـى أبيضْ ترى منـه العجبْ

وأنا أستغرب أن تجيء الضاد من «أبيض» ساكنة ، وأرى أن في البيت تصحيفاً ، وأتوقع أن يكون عجزه هكذا

.... أبيضُ لي منه العجب

هذا مع إمكانية تخريج الإسكان بأن العرب تميل إلى السكون عند تكاثر الحركات .

— وورد في ص ٧٣ هذا البيت من مجزوء الكامل أيضاً :

ثقل الهدى وكتابـه بعـد النبي تشتتـا

وأنا أشك في كلمة «ثقل» وأتوقع أنها «شمل» .

— وورد في ص ٨٣ قوله من الطويل :

مضى قاسم فاستخلف البث والأذى عليّ فَذا خلٌّ وذاك مساعدُ

وأنا أشك في كلمة «فدا» وأرى أنها «فذا»

— وورد في ص ٨٧ قوله من الطويل :

فقلم ديكا غدُ مليا مُلَدَّحاً مُبَرْنَسَ أثيابِ مؤذن مسجدِ

والذي في الطبعة العراقية «مُؤَنَّس أبيات» وهو الصواب .

— ونقل المحقق في ص ١٠٠ — ١٠٤ قصيدة منها هذا البيت في ص ١٠١

قد ذكر الناس عن قيامهم ذكرى بعقلي أصبحت نكره

والصدر بهذا الشكل من المنسرح وعجزه من السريع ، والصحيح ما ورد في الأغاني[١٦] وهو :

.... ذكرى بعقلي ما أصبحت نكره

— وأورد في ص ١١٢ — ١١٤ قصيدة من الكامل الأحذّ في مديح الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، منها في ص ١١٣ قوله :

عمّت مصيبتك الهدى فغدا الـ إسلام لا يدري بما يدري

وقوله «بما يدري» ليس صواباً ، وأظن الصواب «بما يجري»

— وأورد في ص ١١٨ قطعة من مخلع البسيط مطلعها :

هل لكما في اصطباح كأسٍ وفي نهوض إلى تحاسي

وأرى أن همز «كأس» وإظهار التنوين غير صواب ، لأن التصريع يقتضي إبدال الهمزة الساكنة المسبوقة بفتح ألفاً ، ويقتضي أن تكون الكسرة المشبعة ياء ، صلة للروي في المطلع ، وبهذا تكون الألف قبل السين ردفاً في القافية .

— وفي ص ١٢٥ ختام قصيدة من البحر الوافر يصف فيها ديك الجن جماعة من الصقور ، وهو :

كأن جآجئاً منها وهامـا أعارتها النفوسَ يدا عروس
والمعنى أن رؤوس تلك الصقور وصدورها منقطة ، فلهذا تكون كلمة «النفوس» تصحيفاً ، يبدو أن صوابه «النقوش» .

ــ وفي ص ١٣٠ بيت من قطعة يرثي فيها صغيراً هذا البيت :
لصغيـر أعـارَ رُزْءَ كبيرٍ وفريـد أذاق فقـد جميـع
وأظن «أعار» تصحيفاً ، والصواب «أعاد» إذ لا مكان لإعارة الرزء وإنما المكان لإعادته .

ــ وورد في ص ١٣٨ قوله من الوافر :
وغَدراوين من حَلَب الأماني أدرتُهما ومن حَلَب القطافِ
ولا مكان للغدراوين ــ أي للظلمتين ــ هنا . وأتوقع أن أول البيت «وعذراوين» وذلك على وصف الخمرة بالعذراء إذا كانت لم تمزج بالماء .

ــ وفي ص ١٥٥ مرَّ هذا البيت من قصيدة يمدح بها الشاعر الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو :
سطا يـوم بـدر بقرضابـه وفي أحد لم يزل يُخمَلُ
والصواب «يَحْمِل» أي لم يزل يحمل على الكفار .

ــ وورد في ص ١٥٧ من الرجز :
فَزَيَّنَ الجناتِ[٨] أعلـى زينـة ....
والصواب «فَزَيَّنَ الجناتُ»

ــ ومرّ في ص ١٦١ من الوافر قوله :
رأيت الناس أكثرهم (..............) فلم أحفل بهم جَهْلاً وغَفْلا
وأقدِّر في مكان الكلمة المطموسة كلمة «غبي» أو «جهول» أو أخرى مما يقارب هذا المعنى ووزانه «فعولن» .

ــ وقال في ص ١٨١ من البسيط :
إن تدم فخذاك من ركض فربمتا أمسي وقلبي عليك الموجع الدامي
ولعل كلمة «فربمتا» خطأ طباعي صوابه «فربتما»

ــ وأورد المحقق في ص ١٩٨ أبياتاً من المتقارب أولها :
أما آن للطيـف أن يأتيا وأن يطـرق الوطـن الدانيـا
وإني لأحسـب ريـب الزما ن سيتركـنـي جسـداً باليـا
ورأى أن تحذف الهمزة من «يأتيا» لتكون الألف الحاصلة من تخفيف الهمز ألف تأسيس في القافية ، فتقابل ألف التأسيس التي في «الدانيا» ورأى أن تجعل كلمة «الزمان» كلها في الصدر على أنها العروض .

الهوامش

١ ــ بديع القرآن لابن أبي أصيبعة ١٠٨ .
٢ ــ المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة لمحمد بن عبد الباقي الأيوبي ص ٢٤ ــ ٢٦ وانظر دعبل بن علي الخزاعي لعبد الكريم الأشتر ١٥٤ فقد نقل ذلك عن بغية الطلب ٥/ورقة ٣١٨ .
٣ ــ انظر فصول التماثيل لابن المعتز ص ١٤ و ٢٠ و ٢٨ و ٣٢ و ٣٤ .
٤ ــ انظر مجمع البيان للطبرسي ١٣٨/٣٠ .
٥ ــ التوفيق للتلفيق ٥١ و ١٠٤ .
٦ ــ فصول التماثيل ١٤ و ٢٨ .
٧ ــ المصدر السابق ٣٤ .
٨ ــ المصدر السابق ٣٥ .
٩ ــ المصدر السابق ٢٠ .
١٠ ــ ديوان الشبلي ٧٣ .
١١ ــ المرجع السابق ١٣٩ .
١٢ ــ فصول التماثيل ٣٢ .
١٣ ــ شعر ماني الموسوس وأخباره ص ١٠١ .
١٤ ــ فصول التماثيل ٣٤ .
١٥ ــ المصدر السابق .
١٦ ــ الأغاني ٥٣/١٤ .

فَصِيحُ العَامِّيِّ
في شمال نجد

لعبد الرحمن السويداء

يحيى بن عبد الله المعلمي

السويداء ، عبد الرحمن بن زيد/فصيح العامي في شمال نجد .ــ الرياض : دار السويداء ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ، ٢ جـ : ١١١١ ص .

لقد أعجبت بروح البحث والاستقصاء والتمحيص التي رأيتها في ثنايا الكتاب ، وبرغبة المؤلف العارمة في تأصيل الكلمات العامية .

وفي الحقيقة إني أخالف من يسعون إلى إثبات أن كلمة عاميةً أصلها عربي ، فالكلمات العامية في البلدان العربية معظمها ــ إن لم أقل كلها ــ تعود إلى أصول عربية ، وبخاصة في وسط الجزيرة الذي ظل قروناً لم تطأه قدم مستعمر ــ حتى الآن ولله الحمد ــ ولم تختلط بسكانه عناصر أجنبية مثلما حصل في أجزاء أخرى من الوطن العربي على درجات متفاوتة . وإنما ينبغي أن نبحث عن الكلمات ذات الأصول العربية في اللغات الأجنبية ، كالإنجليزية أو الفرنسية أو التركية أو الفارسية أو الأردية ونحو ذلك .

والأجدر بنا أن لا نسعى إلى البحث عن أصول الكلمات المستعملة في الحديث بين الناس لنؤكد عروبتها ، فذلك أمر طويل ولا يكاد يحيط به جهد ، وإنما ينبغي ــ في نظري ــ أن يبذل الجهد في تنقية اللغة ــ وبخاصة لغة الكتابة والإذاعة ــ من الكلمات الأجنبية الدخيلة الوافدة من اللغات الأجنبية ، وإحلال كلمات عربية فصيحة بدلاً منها .

ولكن هذا لا يقلل أبداً من قيمة المجهود الكبير الذي بذله الأخ الكريم عبد الرحمن السويداء ، فهو قد بذل أقصى جهده وأصدر كتاباً في مجلدين ضخمين يزيد عدد صفحاتهما عن ألف ومائة صفحة ، وبلغ عدد الكلمات التي اشتمل عليها ما يزيد على ثلاثة آلاف كلمة يشتق منها ما يزيد على عشرين ألف لفظ ، إضافة إلى ما يزيد على مائة وخمسين كلمة مختزلة . وقد رتبت فيه الكلمات ترتيباً هجائياً ، واستشهد المؤلف في شرح أكثر الكلمات بأبيات من الشعر وبمقولات من الزجل العامي ، وإن كان في أكثر الأحوال لم يذكر أسماء الشعراء أو الزجالين الذين استشهد بشعرهم وزجلهم ، ولم يذكر مطلقا المراجع التي رجع إليها عند كل معلومة رجع فيها إلى مرجع ، وإنما اكتفى بسرد المراجع في نهاية الكتاب بدون ترتيب على حسب أسماء المؤلفين أو أسماء الكتب ؛ كما لم يذكر الأسماء الكاملة للمؤلفين ولا تواريخ ولادتهم ووفاتهم ــ لمن كان ذلك معلوماً عنهم ــ ولم يذكر حتى أسماء الكتب كاملة ، ولم يذكر سنة طبع أي كتاب ولا مكان الطبع ولا اسم ناشره .

وهذه المعلومات مما يرى أساتذة الجامعات وجوب إيضاحه وإثباته وبخاصة في الكتب التي تعد من الكتب الموثقة التي تصلح لأن تكون مرجعاً للباحثين اللاحقين .

وهذا الكتاب (فصيح العامي في شمال نجد) يعد من الكتب التي ستصبح مرجعاً للباحثين ، وهو على ضخامته وكثرة ما اشتمل عليه من كلمات ومشتقاتها يدل على صحة ما ذهبنا إليه من صعوبة استقصاء الكلمات المستعملة في الأحاديث العامة وإرجاعها إلى أصولها العربية ، مع أنه قد اقتصر على ما هو مستعمل في لهجة سكان شمال نجد ، واكتفى بالألفاظ دون الإعراب والاشتقاق وقال : «إنني فضلت البحث في منطقة محدودة خشية أن أخوض في أرجاء لا ألم بالألفاظ التي تنطق بها فأقعَ في شيء من الحرج مثلما حصل لي في كتابي (نجد بالأمس القريب) ... على أمل أن يقوم في كل جزء من نجد أحد أبنائه بعمل مماثل تكون حصيلة هذا العمل مجتمعاً حصيلة جيدة تضم معجماً لغوياً للألفاظ الفصيحة من اللهجة العامية ... وربما تبع ذلك جهود مماثلة في أرجاء الوطن العربي الكبير ...» .

وأعود فأقول إن الجري وراء تأصيل الكلمات المستعملة لدى العامة جهد كبير لهدف مشكوك في فائدته ، وإنما الأولى أن نستخرج الكلمات التي ليس لها أصل عربي فصيح فننبه إليه للتحذير من استعمالها ولاستنباط كلمات أو تعبيرات عربية فصيحة بدلاً عنها :

هذا من حيث الأساس الذي بني عليه الكتاب . أما عن الكتاب

نفسه فقد اكتفيت بمراجعة مقدمته والتمهيد الذي قدمه المؤلف بين يدي كتابه فوجدت فيهما بعض الملحوظات التي أوضحها فيما يلي من سطور وأضعها بين يدي المؤلف الكريم وقراء كتابه ليقبلوا قولي فيما أصبت فيه ويردوا عليَّ خطأي إن أخطأت .

أولاً : لقد لاحظت في المقدمة بعض الأخطاء التي يمكن أن تعزى إلى المطبعة ــ أو إلى صفافي الحروف ، منها :

١ ــ كتابة كلمة (مواراة) بالتاء المفتوحة ، والصواب أن تكون بتاء مربوطة .

٢ ــ كتابة كلمة (حظيرة) بالضاد ، والصواب أن تكون بالظاء .

٣ ــ كتابة كلمة (كيلاً مربعاً) بعد العدد مائة وخمسين وألف ... والصواب (.. كيل مربع) بالجر .

٤ ــ كتابة كلمة (عدلت) بالذال المعجمة ، والصواب أنها بالدال المهملة .

٥ ــ كتابة كلمة (أصبو) بألف بعد الواو ، والصواب أن تكتب بدون ألف لأنها فعل مضارع للمفرد المتكلم وليست فعل أمر للجمع .

ثانياً ــ جاء في المقدمة كلمات داخلني الشك في صحتها وهي :

١ ــ قال المؤلف : « ... بقيت على ترها ..» ولعله يقصد أنها بقيت على أصلها ، والترّ بضم التاء وتشديد الراء معناه الأصل ، ولكن الكلمة التي أوردها المؤلف مضبوطة بكسر التاء ، ولعل ذلك خطأ طباعي .

٢ ــ قال المؤلف : « ... فهذا من واجب المدارس التي ستنوء بهذه المهمة ..» ، والنوء بالحمل النهوض به بجهد ومشقة وثقل أو الإثقال والسقوط والميل . فهل قصد المؤلف إلى هذه المعاني معبراً عن صعوبة حمل المدارس لمهمة تقويم ألسنة الطلاب عن اللحن ؟

إني أظن أن المدارس لن تنوء بهذه المهمة وإنما ستقوم بها بجد ونشاط ، ولن تثقلها هذه المهمة أو تميلها أو تسقطها إذا صحت عزيمة القائمين عليها .

٣ ــ قال المؤلف : « .. في تقديم مساهمة بسيطة ...» وكلمتا (مساهمة بسيطة) من الأخطاء الشائعة المشهورة ، وإنما يسهم الواحد ولا يساهم إلا إذا اشترك معه غيره ، والبسيط لا يعني القليل أو اليسير وإنما يعني المنبسط .

ثالثاً ــ جاء في التمهيد شرح لبعض الكلمات والأصوات بدا لي عليها ملحوظات :

١ ــ قال المؤلف : إن كلمة (وش) من قول القائل : (ويش نوحك) أصلها أي شيء ، وأخذت الهمزة من أي والشين من شيء فأصبحت (إش) أو (أيش) ثم أبدلت الهمزة (إلى) واو فأصبحت (وش) .

وأقول : إن (وش) أصلها (وأي شيء) أخذت واو العطف وهمزة أي موصولة والشين من شيء فأصبحت (واش) ثم صارت تكتب (وش) بإسقاط الهمزة التي عدت همزة وصل وهي همزة قطع

٢ ــ قال المؤلف : «إن العامة ... يختصرون جملة (أي شيء هو) إلى أيش هو ، ويقلبون الهمزة إلى واو ... فيقولون : (وش هو) ثم يدمجون (وشو) ...»

وأقول : سبق الكلام عن أصل (وش) وأوضحنا أن الواو ليست منقلبة عن همزة وإنما هي واو العطف ، ولكن المؤلف غفل عن حذف الهاء من هو وقال إن المحذوف هو الهمزة ، والحقيقة ــ في نظري ــ أن المحذوف هو الهاء من هو .

٣ ــ قال المؤلف عن كلمة (أرى) : أساس هذه الكلمة : (أنا) فقلبوا (في الأصل فقبلوا وهو خطأ طباعي) النون إلى راء رقيقة (في الأصل رقيقية وهو خطأ طباعي أيضاً) جداً شبيهة بالراء الحجازية ...

وأقول : إني لا أعرف ما يسمى بالراء الحجازية ، فليس الحجازيون وحدهم هم الذين يرققون الراء ، بل إن ترقيق الراء من أحكام التجويد الواجب اتباعها في ترتيل القرآن إذا جاءت مكسورة أو ساكنة بعد كسر ، ثم إنه ليس كل أهل الحجاز يرققون الراء دائماً ، وإنما يفعل ذلك بعض المستعربين في مكة وجدة فقط ، أما غيرهم ، من أبناء المدينة المنورة والطائف وغيرهما من سكان أنحاء الحجاز ، فهم يفخمون الراء إلا إذا كانت مكسورة أو ساكنة بعد كسر حسبما تقتضيه أحكام التجويد .

٤ ــ قال المؤلف : إن ... فتح الحرف الأخير من كلمة بقى ورضا ونعى .. لغة طائية ، وقد ضبطت هذه الكلمات بضمة على الباء وفتحة على القاف وفتحة على الألف اللينة في كلمة (بقى) وبضمة على الراء وفتحة على الضاد والألف الممدودة في كلمة (رضا) وبضمة على النون وفتحة على العين والألف المقصورة في كلمة (بقى)

وفي الضبط خطآن مشتركان في الكلمات الثلاث ، وهو وضع فتحة على الألف سواء كانت ممدودة أو مقصورة ، فالمعروف أن الفتحة يتعذر ظهورها على الألف . ثم إن المقصود هو فتح الحرف الذي هو قبل الأخير من هذه الكلمات وليس الحرف الأخير . إذن فوضع فتحة على الحرف الأخير لا وجه له ، كما أن كلمة (بقى) الواردة في شعر زيد الخيل مفتوحة الباء كما ضبطها المؤلف ، أما كلمتا رضا وبقي ، فقد ضبطهما المؤلف بضم الراء والنون ، ولعلهما مفتوحتان في شعر زيد الخيل .

٥ ــ عد المؤلف من لهجة بعض سكان شمال نجد المد الزائد لحرف

الألف في ضمير الغائب ، وأحسب أن المد الذي يرد في هاء ضمير الغائبة لا (الغائب) مد طبيعي لا زائد ، وأن غير الطبيعي هو عدم إشباع فتحة الهاء في كثير من اللهجات .

٦ ــ وعدّ المؤلف من لهجات سكان شمال نجد تضخيم الراء وتثقيله في كلمة (حبارى) وبصرف النظر عن كون (تفخيم) الراء (لا تضخيمها) هو الصحيح ، فإن كلمة (حبارى) قد ضبطت بالشكل بوضع فتحة على الألف اللينة في آخرها ، والألف لا تظهر عليه الفتحة بل يتعذر ذلك .

٧ ــ عد المؤلف من لهجة سكان شمال نجد تنوين بعض الأسماء عند الوقف إذا جاء بعده حرف معرف بـ (الـ) التعريف .

وأقول : إن الحرف لا يعرف بـ (الـ) التعريف أو بغيرها ، وإن التنوين الذي يوضع في آخر الاسم المتبوع باسم (لا حرف) معرّف بـ (الـ) هو الوضع الطبيعي الصحيح ، ما لم يكن الاسم السابق ممنوعاً من الصرف ، وإن ذلك يتم عند الوصل لا عند الوقف .

٨ ــ عدّ المؤلف من لهجة سكان شمال نجد استعمال كلمة (ضنا) بمعنى الطفل وإطلاقها على الذرية .

والمعروف أن كلمة ضنء بفتح الضاد وكسرها وسكون النون وبهمزة في آخره ، معناه كثرة النسل والولد ، وهو اسم جمع لا مفرد له من لفظه ، وهو بكسر الضاد بمعنى الأصل .

٩ ــ عد المؤلف من لهجة سكان شمال نجد حذف الألف من كلمة (أوفاض) فيقولون (فاض) بمعنى الخشب التي يقطع عليها اللحم والخشب .

وأقول : بل إنهم ــ حسبما رواه المؤلف ــ قد حذفوا الهمزة (وليس الألف) والواو أيضاً .

١٠ ــ عدّ المؤلف من لهجتهم أيضاً إبدال حرف التاء (إلى) هاء في جمع المؤنث السالم : النباه والنخلاه بمعنى النبات والنخلات .

وأقول : إن الأصل أنهم يعدّون هذه التاء تاء مربوطة فيقفون عليها هاء ولا يبدلون التاء هاء ، وهي لهجة عربية شاذة ، ولكن المسموع أن سكان شمالي نجد يقلبون التاء ياء لا هاء ، فهم يقولون : (البناي) و (النخلاي) بمعنى النبات والنخلات .

١١ ــ عدّ المؤلف من لهجاتهم استعمال كلمة (ابك) للاستنجاد والاستنهاض ، ولم يبحث المؤلف أصل هذه الكلمة .

وأقول : إنها اختصار لجملة (رحم الله أباك) أو (رُحِم أبوك) أو (لعن الله أباك) أو (لُعِن أبوك) أي أنها دعاء للمخاطب أو دعاء عليه ، ونحن نسمع بعض العامة عندما يريد أن يستنهض أو يستنجد يصرخ بلعن أبي المخاطَب وأحياناً بلعن أبي المخاطَب وجدّه أيضاً .

ولعل بعضهم يختصر العبارة فيذكر كلمة (أبوك) أو (أباك) ويترك بقية العبارة استهجاناً لها أو اختصاراً للكلام .

١٢ ــ عد المؤلف من لهجتهم نطق القاف بين التاء والسين (تس) مثل قول (عاشتس) أو (فريستس) بمعنى عاشق أو فريق .

وأقول : إن القاف لا تنطق بين التاء والسين ، وإنما تنطق بين الدال والزاي أو بين التاء والزاي ، أما ما ينطق بين التاء والسين فهو حرف الكاف لا القاف .

١٣ ــ عدّ المؤلف من لهجاتهم أيضاً اختزال كلمة صادق وصدق بحذف الدال منها لتصبح (صاق) و (صق) وأن القاف تنطق بين التاء والسين .

وقد تقدم بيان أن القاف تنطق بين الدال والزاي وليس بين التاء والسين ، ونضيف إلى ذلك أن الدال لم تحذف من كلمة (صادق) و (صدق) وإنما أدغمت في الدال (أو التاء على رأي المؤلف) التي بعدها ، والدليل على الإدغام هو تشديد الحرف الأخير من الكلمة .

١٤ ــ أورد المؤلف كلمة (فيدت) ثلاث مرات بالتاء المفتوحة ، وإنما هي بالتاء المربوطة التي تظهر في درج الكلام ، وتبدل هاء عند الوقف ، وإن كان بعض العامة يقفون على التاء المربوطة بالسكون ولا يبدلونها هاء .

١٥ ــ أورد المؤلف كلمة (يامل) وقال إنها تستخدم للدعاء للإنسان أو عليه مثل قولهم : (يامل الغنيمة) أو (يامل العافية) أو (يامل المرض) أو (يامل الجنة) .

وأقول : إن الكلمة أصلها (يامال) وقد قال المؤلف : «انظر هامش الكتاب» وقد نظرنا فلم نجد في الهامش شيئاً يوضح ما أراد المؤلف أن يقوله تعليقاً على هذه الكلمة .

١٦ ــ أورد المؤلف كلمة (دوى) بكسر الدال وفتح الواو وفتحة على الألف اللينة ، وقد سبق أن أوضحنا أنه يتعذر ظهور الفتحة على الألف .

١٧ ــ ذكر المؤلف أن من لهجتهم اختزال اسم الإشارة (ذاك) بإبدال الذال (إلى) هاء ، فيقولون (هكا الرجل) و (هكالشيء) و (هكا الجبل) و (هكا لمرة) أي ذاك الرجل وذاك الجبل ... الخ .

وأقول : إن الاختزال وارد فعلاً ، ولكن ما اختزل هو اسم الإشارة (ذا) فقط ولم تختزل الكاف ولم يبدل اسم الاشارة بالحرف ها ، وإنما اختزل اسم الإشارة (هذاك) و (هذيك) فبقيت الهاء التي هي للتثنية وحذف اسم الإشارة (ذا) وبقيت الكاف التي هي للدلالة على البعد .

١٨ ــ عدّ المؤلف من لهجاتهم استخدام كلمة (ماش) بمعنى أثاث البيت ومتاعه ، واستشهد بالمثل العامي : (ماش خير من لاش) وقال : إن معناه : بيت فيه متاع خير من بيت فارغ .

وأقول : إن كلمة (ماش) لا تعني أثاث البيت ومتاعه ، وإنما هي (ماشيء) بمعنى (شيء قليل لا يذكر وكأنه لا شيء) .

وعلى ذلك فالمثل : (ماش خير من لاش) معناه (شيء قليل خير من لا شيء)

١٩ ـ ذكر المؤلف أن من لهجاتهم استخدام كلمة (أبي) و (إياك) للمفاضلة والتحذير واستشهد بقول (سيبوية) [هكذا]

ولقد علمت إذا الرجال تناهروا أيي وأيكم أعـز وأمنـع

وأقول : إن وضع نقطتين فوق الهاء من كلمة (سيبويه) خطأ طباعي ، ثم إن سيبويه لم يعرف عنه أنه شاعر ، وربما كان البيت مما استشهد به في كتابه .

ثم إن كلمتي (أيي وأيكم) في البيت لا تفيد المفاضلة ولا التحذير وإنما هي أداة استفهام .

٢٠ ـ أورد المؤلف كلمة (ترك) وقال إنها بمعنى (إذا) الشرطية في قولهم : (ترك إن جئت تجدني) ونحو ذلك ، وأنها تستخدم للتحدي في مثل قولهم (ترك مهزوب تفعل كذا) ..

وأقول : إن ترك ليست بمعنى إذا الشرطية وإنما هي (تراك) .

٢١ ـ قال المؤلف : إن من لهجتهم استعمال كلمة (دوك) بمعنى خذ أو انظر .

وأقول : إن الكلمة أصلها (دونك) .

٢٢ ـ أورد المؤلف كلمة (يبي) وقال : إنها بمعنى (يريد) .

وأقول : إن أصلها (يبغى) وحذفت منها الغين .

٢٣ ـ وأورد المؤلف أن من لهجاتهم نطق كلمة (يا أخي) بإبدال الألف المهموز (إلى) واو فيقولون : ياوخي (وقد ضبط المؤلف الواو بالسكون) .

وأقول : إن أصل الكلمة (أخي) تصغير لكلمة (أخ) وقد أبدل العوام الهمزة واواً لوجود الضمة عليها .

٢٤ ـ أورد المؤلف من لهجاتهم استعمال كلمة (يودع) بمعنى (جعل) .

والصواب أنها بمعنى (يجعل) وأصل الكلمة (يدع) مضارع (ودع) .

٢٥ ـ أورد المؤلف أن من لهجتهم استخدام كلمة (ذُوِي) (بضم الذال وكسر الواو) بمعنى (ذو) فيقولون : هذا الرجل من (ذُوِى) فلانٍ .

وأقول : إن (ذُوِي) بضم الذال عند العوام أصلها (ذَوى) بفتح الذال وهي ليست بمعنى (ذو) المفردة وإنما بمعنى (ذَوي) الدالة على الجمع .

٢٦ ـ أورد المؤلف أن من لهجاتهم نطق حرف (فيَّ) بلفظ (فيَّهْ) و(عليَّ) بلفظ (عليَّهْ) (بتشديد الياء) وإضافة هاء .

وأقول : إن كلمة (فيَّ) ليست حرفاً وإنما هي كلمتان (في) حرف الجر والياء الدال على المتكلم ضمير في محل جر . وكذلك الأمر في (عليّ) أما الهاء التي لحقت (لا أضيفت) لكلمتي (فيّ) و (عليَّ) فهي هاء السكت ، وقد وردت في القرآن وفي أشعار العرب .

٢٧ ـ قال المؤلف : إن من لهجاتهم : « .. استخدام كلمة (ذلان) و (وذلان) أو (الياذلان) بمكان (همزة الاستفهام ولَمْ) ، فيقولون : (ذلان ما جاء الرجل) أي ألم يأت بعد ... الخ .

وأقول : إن كلمة (ذلان) و (وذلان) و (الياذلان) ليست بمكان (همزة الاستفهام ولَمْ) وإنما هي بمعنى (هذاالآن) أو (إلى هذا الآن) وقد قال المؤلف إنها قد تكون اختزالاً لجملة (هذا الآن) ونقول : بل هي حقاً اختزال لكلمة (لا لجملة) (هذاالآن) .

٢٨ ـ أورد المؤلف من لهجاتهم استخدام كلمة (إيزى) و (يِزّى) بمعنى كفى ويكفي .

وأقول : إن الكلمتين : أصلهما (أجزأ) و (يجزيء) أبدلت الجيم ياء وسهلت الهمزة ، ثم إن (ايزى) لا يصح أن توضع فتحة على الألف اللينة في آخرها لأن الفتحة يتعذر ظهورها على الألف .

٢٩ ـ قال المؤلف : إن من لهجاتهم « ... استعمال كلمتي استح وانتخ» وإن أساس كلمة انتخ هو انتح (بالحاء المهملة) وإن الحاء (المهملة) أبدلت (إلى) خاء (معجمة) تجنباً للثقل .

وأقول : إن (انتخ) بخاء معجمة ، وليست الخاء فيها بديلاً عن حاء مهملة ، وهي من الافتخار والتعظيم ، وعبارة (استح وانتخ) معناها (استح وعظم نفسك عن الفعل الذي يستحى منه) .

٣٠ ـ أورد المؤلف من لهجاتهم استخدام جملة (اي والنبص) للاستهزاء والتهكم فيقولون : (اي والنبص رجل لولا كذا ...)

وأقول : إن كلمة والنبص قد تكون محرفة عن القسم بالنبي ﷺ ، فإذا كان الأمر كذلك فإن القسم بالنبي محرم شرعاً ، كما أن تحريف اسمه أو صفته ﷺ قد يدخل في باب الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام فهو محرم شرعاً أيضاً .

٣١ ـ أورد المؤلف أن من لهجاتهم استعمال كلمة (سكة) بمعنى قيمة أو هدف ، فيقولون (وش) سكة وقفتك هنا ؟ ... الخ .

وأقول : إن كلمة (سكة) هنا بمعنى طريق أو طريقة وليست بمعنى هدف أو قيمة .

٣٢ ـ أورد المؤلف استعمال كلمة (وراك) وقال إنها بمعنى لماذا ؟

وأقول : إن أصل الكلمة : ما وراءك ؟ ثم حذفت ما الاستفهامية وسهلت الهمزة .

٣٣ ـ أورد المؤلف استخدام كلمتي (وش عاد) و (وشعاد) وقال

إنهما بمعنى لا بأس .

وأقول : إن أصل الكلمتين (وأي شيء عاد) .

٣٤ ــ أورد المؤلف أن من لهجاتهم إبدال السين والقاف بزاي مضعفة في مثل قولهم (فلان يزي غنمه) أي يسقيها (وليس يسقها) .

وأقول : إن السين والقاف لم تبدلا بزاي مضعفة ، وإنما أبدلت القاف وحدها بتاء وزاي أو دال وزاي وأدغمت فيها السين ، ولتقارب مخرجي السين والزاي أصبحتا كأنما هما حرف الزاي مضعفاً .

وبعد :

فهذه أربع وثلاثون ملحوظة على أكثر من مائة وسبعين فقرة أوردها المؤلف في المقدمة والتمهيد اللذين استهلّ بهما كتابه ، وهي نسبة ضئيلة ، وتدل على دقة المؤلف وتحريه للصواب . أما مادة الكتاب نفسه فلم أتعرض لها لسببين :

الأول ــ ما أوردته في بداية هذه الكلمة ، وهو أني أرى من الأجدى والأفضل تتبع الكلمات الدخيلة في اللغة بدلاً من محاولة تأصيل الكلمات العامية التي هي أصيلة في الواقع ومستمدة بتحريف قليل أو كثير عن اللغة الفصيحة .

الثاني ــ أني لا أستطيع مجاراة المؤلف في سعة اطلاعه واستيعابه للهجة سكان شمال نجد فهو منهم ، واللهجة لهجته التي انفتق لسانه عليها من الطفولة ، وهو بلا شك أعرف بها مني .

ولا يفوتني في ختام هذا التعليق أن أشيد بجهد المؤلف في وصف الأصوات الغريبة التي يحدثها بعض الناس بأفواههم تعبيراً عن الرفض أو القبول أو الاستحسان أو التعجب أو مخاطبة الحيوان ، ولعلي أقول إنه كان سابقاً في حكاية هذه الأصوات ووصفها بالألفاظ وإن كنت لا أتفق معها تماماً في كل ما حكى به الأصوات من ألفاظ ، ولكني لا أغمط جهده في محاولة حكايتها بأقرب الحروف إلى أصواتها . وهي محاولة عبقرية جديدة جديرة بالبحث والتأمل والدراسة ، وينبغي أن يرفق بالوصف اللفظي حكاية صوتية لهذه الأصوات .

وأختم تعليقي بالشكر الجزيل للمؤلف على ما بذله من جهد وما قدمه للمكتبة العربية من أثر سيكون ــ في نظري ــ مرجعاً للأجيال القادمة في التعرف على لهجات سكان شمال نجد . والله الموفق .

الكتابة العربية والسامية

لرمزي البعلبكي

د. ابراهيم السامرائي
كلية الآداب - جامعة صنعاء

البعلبكي ، رمزي / الكتابة العربية والسامية ـ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م .

كان لي وقفات على «الكتابة السامية» عرضت في جملتها لطائفة من المواد يتصل شيء منها بالرسم ، كما يذهب كثير منها إلى الأصوات وعلاقة بعضها ببعض ، وقد شغلت العربية من تلك الوقفات الرقعة الفسيحة .

وأعود اليوم لأجد هذا الذي كان لي منه أشياء ، وذلك بالنظر في «كتاب» جديد حاز فيه مؤلفه على درجة الدكتوراه . والكتاب يشتمل على دراسات في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين ، وصاحبه رمزي البعلبكي ، وفيه علم نافع أخلص فيه المؤلف كل الإخلاص فوقف على جملة مسائل وقفات مفيدة .

ويبدو أن المؤلف كان يعتلج في صدره شيء يتصل بعنوان الكتاب ، ولست أراه إلا قد أطال النظر فيه مؤثراً أن يحبسه على شيء أقصر من ذلك فيبعد العربية من العنوان لأنها شيء يدخل في مصطلح «السامية» فيكون الكتاب «الكتابة السامية» ، ولكن ضرورات عدة يتصل بعضها برغبة «الناشر» الذي ينظر إلى رواج ما ينشر وشيوعه وذيوعه ، وإثبات «العربية» في العنوان يحقق هذا الذي يصبو إليه الناشر فأثبت «العربية» قبل السامية ، وهل العربية إلا إحدى هذه «اللغات» بله أعمرها وأشيعها وأقومها .

ولعل المؤلف الفاضل قد استشعر ما أشيع من استنكار هذه التسمية ، وهي مصطلح «السامية» لدى نفر من أهل العلم من الباحثين العرب الذين استبدلوا به «العربية» فأراد ألّا يناله منهم ذرء من طائلة النقد ، فراح يجمع بين «العربية» و «السامية» ليتجنب ما عسى أن يبتئس منه هؤلاء «الباحثون» ، وهو يرى بعد ذلك أن هذه الإضافة لا تقدح في نهجه العلمي الذي درج عليه في «الكتاب» .

والذي أراه أن مصطلح «السامية» على افتقاره ونقصه ، وعلى أنه قد ألصق في هذا العلم قبل أكثر من ثلاثة قرون بشيء من الاعتباط ، قد اكتسب صفة «المصطلح» ودرج على الأخذ به أهل العلم ، ومتى كانت «المصطلحات» وافية بكل أجزاء العلم ؟

والذي أعرفه أن «المصطلح» تقرره السيرورة والشيوعة واتفاق الدارسين ، وقد يكون هذا الشيء الذي يشيع ويعتمده أهل العلم ناقصاً لا يفي بجميع مايندرج تحته من مراد . ألا ترى أن مصطلح «الكيمياء العضوية» مثلاً بعيد كل البعد عن واقع مادة هذا الضرب من «الكيمياء» الخاصة ، من أجل أن طائفة من أجزاء هذه «الكيمياء» ليست عضوية في أيامنا هذه ؟

إن مصطلح «السامية» ناقص أيضاً بسبب أنه يرجع إلى «سام ابن نوح» الذي ورد خبره في «الإصحاح العاشر» من «سفر التكوين» في «العهد القديم» ، وكان العالم الألماني «شولتزر» قد افترض في أواخر القرن الثامن عشر أن لغات الأمم التي تنتسب إلى «سام بن نوح» مجموعة خاصة جرياً مع النهج العلمي في تلك الحقبة في توزيع اللغات إلى مجموعة من «الأسر» اللغوية . وأن لهذه الأمم لغاتها التي تضرب إلى أصل واحد هو «السامية الأمّ» وقد فاته أن بين الأمم التي تنتسب إلى «سام بن نوح» من يتكلم لغة غريبة عن مجموعة هذه اللغات ، غير أن «المصطلح» قد شاع كثيراً واستعمله أهل العلم على «عواره» ونقصه .

وفي نفسي أن أقول : إن مقولة أصحابنا الدارسين في إلغاء مصطلح «السامية» لا تقوم على أساس قوي من العلم ، ذلك أن هذه اللغات القديمة تشتمل على جملة من لغات سبقت العربية بقرون طويلة ، ولا يمكن أن تكون شيئاً من «عربية» قديمة . إن العربية تشتمل على أنماط قديمة هي العربية الجنوبية في ألوانها السبئية والحميرية والثمودية واللحيانية والقتبانية ، وهذه الأنماط القديمة بعيدة كل البعد عن العربية التي نعرفها في حقبة ما قبل الإسلام ، تلك التي سُجلت في «الشعر الجاهلي» . وإذا كانت هذه بعيدة عن العربية الجاهلية ، فكيف حالها مع البابلية «الأكدية الآشورية» ثم اللغات الأخرى في المجموعة الآرامية بشعبها الكثيرة ؟ وكيف نقول في مسألة العربية «العبرانية» ، ثم سائر هذه المجموعة الكبيرة «السامية» ؟ لا أدري كيف نقول إن أفراد هذه «الأسرة اللغوية» عربية قديمة ؟ لا أدري كيف تكون هذه المقولة «المتهافتة» من العلم ؟ وإذا كانت قد

وجدت هوىً لدى غير أهل الاختصاص فإنها لا ترضي المختصين من أهل العلم ، بل هي مما يحمل الضيم على «العربية» . وهل يعد أصحابنا هؤلاء أن ما ذهبوا إليه تمجيد للعربية ؟

إن احترام العربية وتقديسها يفرضه العلم الصحيح كما يفرضه «الإسلام» الذي جعل من هذه اللغة مادة لحضارة عالمية .

ولنرجع إلى «كتابنا» هذا ، وما أرى أن المؤلف الفاضل قد اقشعرَّ مما ذهبت إليه ؛ فليس ذلك بشيء ، وإني لأظنه أبعد كثيراً مما يمكن أن يُقصيه عن العلم النافع .

إن الكتاب من كتب العلم النافع التي يضطلع بها أهل الاختصاص ، فهو في «الكتابة السامية» في تاريخها ، وهو يعرض للأصول التي انبثقت منها الألفباء السامية . وقد اقتضاه هذا أن يعرض لعلاقة هذا العلم بالمصرية والسينائية والجبيلية . ولابدّ له أن يشتمل اعتماداً على هذا على الكتابة السامية الشمالية وهي الفينيقية في الاصطلاح ، كما أشار إلى الكتابة الأوجاريتية[٢] وصفة الألفباء فيها إلى جنب صفة «المسمارية» .

ومن أبواب الكتاب ما جاء في هذه الشمالية وانصرافها إلى العربية في الشمال والجنوب ، وإذا كان الحديث عن «العربية الجنوبية» فمن البديهي أن يكون كلام على «الحبشية» .

وفي مجموع ذلك لابد من بسطة وافية تعرض لأسماء الحروف[٣] وترتيبها وكتابة «الصوائت» (Voyels) . وهذا الباب يشتمل على أجزاء كثيرة تدخل في المواد المجملة التي جاءت في البابين الأول والثاني .

لقد أجملت ما ورد في هذا الكتاب في هذا الموجز[١] ، وقد يكون هذا الإيجاز «مضلّة» لا يمكن للقارىء أن ينال منها ما اشتمل عليه من فوائد دقيقة اتّسمت بشمولية واستيفاء يقبل عليها أهل الاختصاص غير مزورّين مما جاء فيه من «عمومية» لا تنال من دقة العلم ، ولكنها مستهدفة يرمي من ورائها المؤلف أن يتقدم للناشىء من الدارسين بشيء يقدر على احتوائه واستيعابه .

وقد أفاد المؤلف من آثار أهل الاختصاص وجلهم علماء غربيون كتبوا في هذه المسائل دراسات جادة في لغات غربية معروفة ، كما أفاد شيئاً مما ورد في العربية في المصادر القديمة والحديثة مما يتصل بالعربية التاريخية . وجملة هذه المواد التي اضطلع بها المؤلف مبسوطة بمنهج علمي سليم .

إن عرض هذه المواد القديمة اقتضى المؤلف مادة تاريخية وافية واقفاً فيها على المصادر النافعة ، ولا تعدم أن تجد المؤلف أمام النقوش التي لقي فيها نصباً فبذل جهداً قد حاول واجتهد وناقش الدارسين وخلص إلى شيء مفيد .

وإذا كانت الإشارة إلى مصادر المؤلف فمن المفيد أن أشير إلى ما كان له أن يفيده مما كتبه الفرنسيون في مادة «الكتابة السامية» وذلك لأن للأستاذ «دورم» (Dhorm) من أساتذة «مدرسة الدراسات العليا» في السوربون كتاباً جليلاً في هذا الموضوع وقد وسمه بـ «الكتابة السامية» .

وللأستاذ دوبونت سومير (Dupont Sommaire) مشاركة جيدة في هذا الموضوع ، وقد أفاد المؤلف شيئاً مما كتبه هذا الأستاذ .

قلت : لقد أفدت من هذه الدراسة الموفقة ، وذلك يتأتّى من كونها ألمَّت بجملة ما ورد في كتابات العلماء الغربيين من أهل الاختصاص ، ثم إني وقفت على موادّ مفيدة كان للمؤلف فيها قول ورأي وإفادة ، وأود أن أقول فيها ما بدا لي في ذلك :

١ ـــ جاء في الفصل الخامس في «أصول الكتابة العربية الشمالية» وتأثرها بالخط النبطي بسبب التأثر الحضاري بالآراميين كلام على «نقش النمارة» المشهور فقال المؤلف في (ص ١٢٦) :

السطر الأول :

ـــ ت ي (تي) :

اسم إشارة للمؤنث ، وقد ذكر النحويون العرب التاء عنصراً من عناصر أسماء الإشارة المؤنثة (المقتضب ٢٧٧/٤) .

أقول :

إن التاء مادة الإشارة ، ولكنها مفتقرة إلى «صائت» وهو إما كسرة تلي التاء (تِ) ، أو فتحة تليها أيضاً (تَ) وقد تمد فتكون «تا» كما في الشاهد الذي ذكره المؤلف الفاضل :

ها إنّ «تا» عِذرةٌ إن لا تكن نَفَعَت
فإنّ صاحبَها قد تاه في البَلَدِ

وأقول : إن زيادة «الصائت» هو من أجل أن تكون مادة الإشارة وهي «التاء» شيئاً من تركيب يؤلف «كلمة» ولو كانت ثنائية .

وعندي أن زيادة «اللام» في «تلك» من أجل جعل الثنائي ثلاثياً ليكون كلمة كسائر الكلمات في اللغات السامية ، وأما الكاف فشيء دالّ على المخاطب ، ولذلك يقال : تلكَ و تلكِ وتلكم .... وليس شيئاً قول النحاة العرب : إن «اللام» للبعد .

وقد سَمّى المؤلف «الهاء» في «هذي» ونحوها في «حاشيته» عنصراً إشارياً ، وهو شيء أفاده مما اجتهد فيه النحاة المحدثون من الغربيين ، وهو ما عَبّر عنه النحاة العرب بأنه مفيد للتنبية .

والذي أراه أن «الهاء» زيادة أراد منها المعرب الواضع القديم أن يكون للمادة الإشارية وهي «الذال» بناء يجعله كلمة كسائر الكلم الثلاثي . وقد أُضيفت هذه الهاء في «هذي» لهذا الغرض ، وهو

نفسه الذي يتحقق من إضافة الهاء الأخيرة من «هذهِ» مع صائت قصير هو الكسرة أو بدونها .

وهذا هو نفسه الذي جرى في العبرانية فإننا نجد الذال المكسورة (أي السيجول العبرية) זֶה Zeh للمذكر ، والذال بعدها ضمة طويلة كما في זוֹת zoz للمؤنث .

وقد أشار المؤلف في «حاشيته» المشار إليها إلى :

إن الصيغة التي بالكسر (وهي זֶה Zeh) تختص بالمذكر في الأصل استعمالها في العربية نفسها للتذكير في «الذي» و «الذين» . وقد يكون استعمال «ذي» للمؤنث بدلاً من المذكر قياساً على استعمال «تي» للمؤنث .

أقول : ومجيء الكسر في المذكر والمؤنث ينفي الاختصاص . والاختصاص في هذا يكون في أن «التاء» خاصة بالمؤنث ولاترد في المذكر .

٢ ـــ وجاء في الصفحة (١٢٧) في الكلام على «النقش» نفسه ، فقد ورد فيه :

م ر ا ل ق ي س ب ر ع م ر و (امرؤ القيس بن عمرو) .

قال المؤلف :

والباء والراء لفظ «بار» (Bar) الآرامية التي تعني الابن ، والأرجح أنها ليست منقلبة عن «بن» الموجودة في سائر اللغات السامية ، أي أن كلاً منهما أصل .

أقول : من المفيد أن نقف قليلاً لنرى أنّ : «بن» تقابل «بَر» ، وقد شاعت «بَرْ» في الآرامية وهي ليست غريبة عن «بن» ، ولا دخيلة على العربية كما في «بَرْنسا» أو «البَرْنساء» أو «البَرْنشاء» وهو معرَّب ܒܪܢܫܐ الآرامية[٤] ، وذلك لأنّ «بَر» وإن كانت مشهورة في الآرامية السريانية فهي غير بعيدة من «بن» العربية ، ولابد من النظر فيها إلى المسألة الصوتية ، فقد عرفنا أن «بن» في العربية قد تتحول النون فيها إلى اللام فنقول : «بَلْعَنبَر» و «بَلْيزيد» ، وإذا كنا قد وصلنا إلى هذه المسألة الصوتية أدركنا بيُسر أن اللام والراء يشتركان في صفة «الميوعة» في علم الأصوات ، وهكذا ليس غريباً أن ندرك «بن» و «بر» وليس من إشكال .

ثم قال المؤلف :

أما اسم العلم «عمرو» فمماثل تماماً لنظيره العربي حتى في كتابته .

أقول : وهذا يعني أن «الواو» في «عمرو» شيء لا يراد به أن يُميّز القارىء بين «عُمَرَ وعَمْرو» كما ذكر اللغويون العرب ، وذلك لأن هذه الواو صوت صائت يظهر في النطق القديم ، وقد تخففت منه العربية إيجازاً ، مثله كمَثَل «سيبويه» المكسور الآخر الذي تخفّفت في النطق فصار كأنه ساكن الآخر .

ويبدو أن هذه الواو في الآخر لزمت الاسم كما لزمت في «عبدو» في عصرنا ، وهي مجتزأة من «عبد الله» وغيرها من الأسماء التي حذف منها المضاف إليه ، وقد أشار المؤلف إليها في (ص ١٣٣) .

٣ ـــ وجاء في الصفحة ١٢٩ في كلام المؤلف على النقش المذكور :

ـــ ذو (ذو) :

اسم الموصول المفرد المذكر ، يقابله «الذي» في العربية الباقية . وقد احتفظت لهجة «طيّء» بـ «ذو» بدلاً من «الذي» كما يذكر النحويون منبّهين على استعمالها بلفظ واحد للمذكر والمؤنث إفراداً وتثنية وجمعاً ....

جاء في كتاب سيبويه (٤٦٠/١) : ... لا أفعل بذي تسلم ، ولا أفعل بذي تسلمان .....

أقول :

إن «الذال» هو مادة اسم الموصول وإضافة «الألف واللام» في «الذي» من أجل أن يكتمل نصاب للكلمة يُحسِّنها ، وهذه الإضافة كإضافة الصائت الأخير وهو الياء ، وعلى هذا يكون «الذي» في الأصل مثل «ذو» وكلاهما «ذال» هو الأصل ، وإذا أضيف الصائت الأخير فهو ياء تارة ، وواو تارة أخرى ، وعلى هذا فليس «ذو» شيئاً مختلفاً في مادته عن «الذي» ، وقد قلنا إن الألف واللام إضافة في العربية ، ألا ترى أن السريانية تكتفي بالدال للإعراب عن اسم الموصول مذيّلاً بصائت هو الكسرة ؟ وليس من ألف ولام .

ويحسن بنا أن نشير إلى أن النحاة العرب قد ذكروا صوراً عدة لاسم الموصول وهي : «الّذي» بالذال تليها الياء مُخففة ، و «الذيّ» بالياء مُشدَّدة ، و «اللذِ» بالذال مع صائت هو الكسرة ، و «اللّذْ» بالذال الساكنة ، وقد أوردوا في ذلك شواهد ، وأنشدوا :

وليس المال فاعلَمُه بمالٍ من الأقوام إلّا للذيّ

وقد استعمل المتنبي «اللّذْ» بسكون الذال في قوله : «اللّذْ عَنَا» في نونيته التي مطلعها :

الحبُّ ما مَنَعَ الكلامَ الألسُنا وألذُّ شكْوَى عاشق ما أعلَنا

وهذا كله يدل على أن «الذال» اسم الموصول ، وهو في هذا يتفق مع اسم الإشارة ، وليس الموصول ولا الإشارة إلا مادتين تؤدّيان معنى متشابهاً .

وعلى هذا ليس من موجب أن نقرِّب بين «اللذون» و «ذو» كما ذهب المؤلف .

٤ ـــ وجاء في الصفحة ١٣٨ النص الآتي :

ـــ و ب ي ن ب ن ي هـ ال ش ع ر ب :

قال المؤلف :
تختلف ترجمة هذه العبارة باختلاف تفسير الكلمة الأولى منها ، وغالباً ما قرئت هذه الكلمة «بيَّن» بمعنى «قسَّمَ» أو «وزَّعَ» فكأنَّ امرأ القيس قسم الحكم على الشعوب بين أبنائه .
أقول : ولم يَر المؤلف في هذه الترجمة شيئاً من وجاهة ، ومن أجل ذلك افترض في «الحاشية» أن تكون «بيَّن» بمعنى «زوَّجَ» والمعنى على ذلك يكون أن امرأ القيس زوّج بنيه الشعوب ، أي عقد معهم الأحلاف بهذا .
أقول : لقد افترض المؤلف هذه الترجمة ولكنه غير مطمئن من ذلك كما أشار .
وأرى أن المادة « ب ي ن » في « النقش » لا يفترض فيها أن تدل على «البيان» أو «التبيين» أو على الظرف «بين» ليس غير . ذلك أن النظر في النقوش يقتضي أن ينظر فيه الفاحص فيضع صوراً عدة قد يكون لكل منها وجه ، وعلى هذا ألا يجوز أن تكون «بين» مفيدة للزواج إذا عرفنا أن العربية قد اشتملت على مقلوبها وهو «ب ن ي» وقولهم : بنى بها أي «تَزَوَّجَها» ؟!
٥ ــ وجاء في الصفحة ٢٢٩ في الكلام على الحرف pē ، وأنه إما مقطع واحد يشتمل على الحرف الصامت وبعده صائت قصير ، وإما كلمة ذات معنى وليس مجرد مقطع لا معنى له . ومعناها «فَم» ، وهي في العبرية פֶּה Pe (h) ، وتقابل فوه في العربية .
وقد علّق المؤلف في حاشيته فأشار إلى الميم التي تلحق الفاء في العربية ، وأنها من آثار «التمييم» الذي يقابل التنوين في عربيتنا اليوم .
قلت : لقد كنت أوّل من أشار إلى مصطلح «التمييم» في كتابي «فقه اللغة المقارن» ، وقلت : إنه يقابل نون التنوين في العربية الشمالية ، وليس «عربيتنا اليوم» كما أشار المؤلف . ولكن «الميم» رسمت كتابة بخلاف نون التنوين . وقلت : لعل من هذه الميم الميم في آخر بلعوم وحلقوم وزردوم وحَيْزوم ، ونظائرها .

ولِمَ لا يكون ذلك إذا عرفنا أن نون الجمع للمذكر السالم في العربية وقبله الياء ، يقابله ميم في العبرانية مسبوقاً بالياء ، وهو الميم الذي «يُمَيِّم» الكلمات الأكدية القديمة ؟ وكأن العربية الجنوبية قد جرت على هذا أيضاً ، ومنها جاءت «فم» إلى العربية الشمالية .
٦ ــ وجاء في الصفحة ٣٠٧ في الكلام على الصوامت والصوائت في العربية قول المؤلف :
.... لعل ذلك لأن «ا» في أول ترتيب الألفباء يرمز إلى الهمزة لا إلى الصائت الطويل الذي يمثّله هذا الرمز .
قلت : وقد أُحرج أصحاب المعجمات في هذا الحرف «ا» الذي تبدأ به الألفباء العربية فجعلوه معبراً عن الهمزة فبدأوا به الكلم التي آخرها همزة كما في «الصحاح» وما جاء على نظامه مثل «لسان العرب» وغيره .
وهذا الحرف سبَّب إشكالاً وذلك لأنه في الاسم والرسم يرمز حيناً إلى الهمزة كما في كتب اللغة ومنها المعاجم ، وهو حيناً آخر يرمز إلى الفتحة الطويلة كما في كتب الصرف وكتب الأصوات . وكأنَّ «الهمزة» قد تجنّبوها رسماً كما تجنّبوها اسماً ، فلم ترد في عدّة الحروف ، ولم يكن لها رسم خاص بها . وأمّا رسمها الذي نعرفه فمتأخر ، وذلك أنهم اقتطعوه من «العين» (ع) فجعلوا الرأس للهمزة (ء) . وهذا كله مما حمل الضيم على الهمزة ، وعلى ما جرَّ من مشكلات في رسمها وكتابتها .
وحجّة القدامى في موقفهم من «الهمزة» ما ذكره الخليل في «مقدمة العين» من أن الهمزة مهتوتة إذا رُفِّهَ عنها لانت ، ويريد بذلك أنها تُسَهَّل إلى المدّ ألفاً وواواً وياءً ، وتلك حجة غير مقنعة من الناحية العلمية .
٧ ــ وجاء في الصفحة ٣٠٩ في الكلام على الذال «ذ» قول المؤلف :
الحرف «ذ» يقع بعد الحرف «د» وهو مقابله في النبطية والسريانية فكلمة «ذَكَر» في العربية هي ܕܶܟܪܳܐ Dekrâ في السريانية ، وهي في العبرانية זָכָר Zàkàr .
أقول : وهذا قد يحصل في اللغة الواحدة نفسها ألا ترى أن «ذَخَر» يبدل فيه الذال في المزيد إلى دال فيكون «ادَّخَرَ» . وأنّ «بَذّ» تصبح «بزّ» .
ولو أنك عَدَلتَ إلى علاقة الفصحى بالألسن الدارجة لرأيتَ شيئاً من هذا ، ألا ترى أن «حاظَ» ، ومعناه معروف ، يصبح «حاصَ» في لغة العراقيين ، و «الحِياصة» ضرب من الزنانير القديمة .
وقد أشار المؤلف إلى «الغُرْلة» في العربية ومقابلها «العوروليا» في السريانية و «العورلا» في العبرانية ، وأضيف أن «غَرْب» في العربية هو עֲרָב عِرِب في العبرانية .

ولِمَ لا تنظر إلى الفصيحة في لفظ «المُعْرَب» الذي يكون «مُعرَّب» في العامية القروية في العراق للحيوان الذي جاء من اجتماع أصلين ، أي هجين .
٨ ــ وجاء في الصفحة ٣٣٣ قول المؤلف في «الحاشية» :
يستعمل فعل qtl في اللغات السامية ، وهو يقابل «قَتَلَ» العربية ، كما يستعمل «فَعَل» في العربية لتحديد أوزان الصيغ .
أقول : واستعمال «فَعَلَ» لأوزان الصيغ معروف في العبرية أيضاً فقد يُشار إليه لبيان الأوزان . أما الفعل «قطل» في اللغات السامية ومنها العبرانية فيستعمل كما يستعمل الفعل «ضَرَبَ» في استشهاد

النحويين العرب . وكأنهم صاروا إلى «قطل» تجنباً من «فعل» التي لا يقبل فيها حرف العين التضعيف في «العبرانية» .

٩ ــ وجاء في الصفحة ٣٣٥ في «حاشية» المؤلف :

... هذا طبعاً إذا اعتبرنا اسم الفاعل صيغة اسمية ، فإن جعلناه فعلاً كانت التفرقة بين صيغتين فعليتين إحداهما للماضي والأخرى للحال ، أو «الفعل الدائم» كما سمّاه الفراء والكوفيون .

أقول : ولا أدري أين وجد المؤلف مصطلح «الفعل الدائم» بتسمية الفراء والكوفيين .

وأودّ أن أشير إلى أن الفراء وحده استعمل «الدائم» وليس «الفعل الدائم» في «معاني القرآن» مراتٍ عدّة ، ويُريد به اسم الفاعل في كلامه على الفعل ، فتوسع المعاصرون في فهم قول الفراء هذا وأضافوا إلى «الدائم» كلمة «الفعل» ثم ألصقوا هذا القول بعامة الكوفيين .

وأغلب الظن أن المؤلف قرأ هذا في كتاب «مدرسة الكوفة» فسلَّم به ولم يتحقق من المصدر الأصل .

١٠ ــ وجاء في الصفحة ٣٥٧ قول المؤلف في الكلام على ثلاثة الصوائت القصيرة في العربية وعلى ثلاثة طويلة ، وهو يقول :

ونعلم يقيناً أن الأصوات العربية أكثر من ذلك بكثير .

أقول : هذا صحيح من الناحية العلمية ، ولكن القدامى لم يتركوا لنا إلا هذا العدد القليل من الصوائت ، فلم يكن لديهم رموز أخرى تشير إلى أصوات ما يدخل في بابي «الإمالة» و «الوقف» ، وما هو داخل في «الرّوم» ونحو هذا .

ألا ترى أن العرب في حاضرهم يختلفون في الفتحة طولاً وكمّاً كما يختلفون في الضمّة والكسرة ، وإني أذكر أن اللبنانيين كانوا يشيرون إلى اسمي أنا «السامرائي» في كلامهم على كتاب أو نحو هذا فيرسمون المدّ الطويل بعد السين فتحة فيكون اسمي «السمرائي» ومثل هذا قد حدث في العربية القديمة فزاد من الكلم المحفوظ في كتب اللغة . ألا ترى أن «زَمَن» و «زَمان» شيء من هذا ؟ ومثل هذا كثير ، ولو انبريت له مستقرياً ومستوفياً لجرَّدت من ذلك كتاباً برأسه .

وقد يكون من المناسب أن أعرض لجملة هذه النقوش القديمة مما يتصل بالعربية الشمالية أو العربية الجنوبية كنقش «النمارة» الذي أشرنا إليه ، ونقش «أمّ الجمال» الذي تحدث عنه المؤلف و «حجر مؤاب» وسائر النقوش القديمة المحمولة على العربية فأقول : إن جملة هذه النقوش لا تنبيء عن مستوىً عال من التطور اللغوي ، فهي أقرب إلى أسلوب العوام منها إلى أسلوب الخاصة ، وفرق بين راع للحيوان يثبت نصاً في حجر ، وآخر يثبت شيئاً يتصل بوفاة ملك أو أمير أو كاهن .

أريد أن أقول : إن هذه النصوص البدائية لا يمكن أن تُلحق بالعربية الناصعة في الأدب الجاهلي ، ومعنى هذا أن بين أحقاب هذه النقوش وبين الأحقاب الجاهلية المتصلة بالأدب الجاهلي قروناً طوالاً ، فلا يمكن أن يحمل هذا «اللغو» الذي تكشف عنه النقوش على أنه عربية قام عليها أدبنا القديم .

إن العربية في نصوص الشعر الجاهلي عربية عالية الدرجة من حيث أنها قبل كل شيء لغة موحدة عامة لم يبق فيها غير القليل من صفات اللهجات القديمة ، فإنك مثلاً لا تلحظ من الأصول اللهجية القديمة شيئاً في شعر امرىء القيس مثلاً يُميزُه عما في لغة زهير وسائر الجاهليين ، ذلك أن عناصر الوحدة بينها هو الطابع العام الذي تتضاءل معه خلافات اللهجات .

ثم إن هذه العربية الجاهلية قد استوفت في الأشكال والمضامين أزكى الدرجات ، فأنت واجد فيها من حيث الشكل أن الكلمة في مختلف أبنيتها تراكيب متسقة منسجمة في صوامتها وصوائتها ، وهي أبنية كثيرة ، وكلها جاء على نمط موزون متسق . ولعل بسبب هذا حفلت العربية بما فيها من أوزان شعرية ينتظمها نظام موسيقي مكتمل الأداء والاتساق . ولم يتمّ لها هذا إلا بما كان للكلم في العربية من ناظم يقوم على حساب دقيق من القصر والطول في أبنيتها . ألا ترى أن هذه العربية تجافت بناء «افعالّ» وما يتأتى منه من اسم الفاعل والمصدر ونحو ذلك في أوزان الشعر ، وليس شيء من هذه يَتسمَّح في قبول هذا البناء إلّا «المتقارب» من بحور الشعر على ضيق وبَرَمَ بهذا البناء .

وما أظنك تجهل السبب في عدم طواعية هذا البناء لأوزان الشعر المعروفة ، ذلك أنّ طول المقطع الذي يكون في الفتح الطويل ، أي المدّ ، ثم يتبعه التشديد يؤلف كله في حشو كلمة «احمارّ» أو «حَمارّة» ثقلاً لا يفسر إلا في أنه يفتقر إلى الاتساق في الصوائت والصوامت في سائر أبنية العربية .

وقد درجت العربية على المحافظة على الاتساق في بنية الكلمة ، ألا تراهم اجتزأوا من الكلمة الواحدة بعضها حفاظاً على الوزن كقول لبيد :

دَرَسَ المَنَا بمَتالِع فأبـانِ فتقادَمَت بالحَبْسِ فالسوُّبانِ

وأراد «المنازل» فرخّم في غير النداء .

وقال العجاج :

وربِّ هـذا البلـد المحـرَّمِ
والقاطناتِ البيتِ غيرِ الرُّيَّمِ
قواطناً مكّة من وُرْقِ الحَمِي

وأراد بـ «الحَمي» الحمام ، وهذا مبسوط في كتب النحو القديم .
وقد يلجأ الشاعر إلى تغيير الكلمة الصحيحة فيأتي بأخرى لا تتفق في دلالتها اللغوية على ما كان للأصل من حقيقة تاريخية اعتماداً على شيء لا يعين على هذا الصنيع كقول زهير :

فتُنتج لكم غِلمان أشأمَ كلُّهُمْ كأحمر عادٍ ثم تُرضِعْ فتَفطِمِ

والأصل : كأحمر ثمود ، والذي جرَّأ الشاعر على ارتكاب هذا التجاوز كثرة ورود «عاد» مع «ثمود» فلا تأتي «عاد» في النصوص القديمة إلا جاءت معها «ثمود» .
وقد درجت العربية على الحفاظ على الاتساق والانسجام بين الأصوات وتجاوزت في ذلك الشعر إلى النثر ، ألا ترى أن ما يدعى بـ «التناسب» هو شيء من هذا ؟ وليس قراءة أبي جعفر «سلاسلاً وأغلالاً وسعيرا»(*) إلا لخدمة هذا الغرض الفني الجميل ، فتنوين «سلاسلاً» وهو بناء الجمع الذي لا يقبل هذه النون كما نعرف كان بسبب من الحصول على «التناسب» فتجيء الكلمات الثلاث على بناء واحد .
وقوله ﷺ : «ارجِعْنَ مأجُوراتٍ غير مأزُورات» من هذا الباب ، فقد كان يجب أن تكون «موزورات» هي المتطلبة الدالة على المعنى المراد من «الوِزر» وهو الذنب ، ولكنه ـــ صلوات الله عليه ـــ عدل عنه إلى المهموز «مأزورات» ليتم هذا الضرب من التناسب وهو غرض صوتي يحقق ضرباً من الكلام الجميل .
والحديث معروف مشهور وهو مما قاله إلى أزواجه بعد أن ابتأس منهن وصرفهن إلى بيوت أوليائهن .
وأنت إذا جئت إلى أي مادة في العربية وجدتها مادة مكتملة من حيث عدة أصواتها وعلاقة بعضها ببعض ، ولنأخذ مثلاً مادة الفعل مجرّداً و مزيداً لنقول إن أبنية الفعل في العربية جرت على أوزان ضبطت فيها النسب طولاً وقصراً ، وأنها حافظت على أن يكون بين أصواتها قدر كبير من الانسجام . ألا ترى أن أفعالاً من قبيل : سَلْقَى وخَنْثَى واسلَنْقَى واحرَنْبَى واحلَوْذَبَّ واحرَنْجَمَ واطلَنْخَمَ ونحو ذلك أبنية تجنّبتها العربية فلا يصار إليها إلا في ضرورة ملجئة ، أو أن يستعير شيئاً منها المعرب للمعاياة والتعالم والتفيهق .
ولم يرد اسم المفعول من الأجوف نحو : مصون ومَدوف ومَبيع إلا تجَنّباً لـ «مصوون ومدووف ومبيوع» وفي هذه الصيغ الأخيرة اجتماع لصوتين أبَت العربية أن يجتمعا وهما الواو والياء يعقبها صوت صائت هو الضمة الطويلة . وإذا كان قد سمع شيء من هذا فهو قليل نادر ، ولعل شيئاً منه اصطنعه النحارير ابتغاء السير في معرفة اللغات النادرة .
هذه نماذج من حفاظ العربية على الشكل في الأصوات وعلاقة بعضها ببعض .

ثم إننا لنلحظ أن هذا القدر من الإحكام والإتقان في الشكل صاحبه سمو في الدلالات ، فأنت تحسّ أن الشاعر الجاهلي قد أدرك من السمو العقلي درجة عالية ، ففي الشعر الجاهلي تجد أفكاراً تتصل بالخير والشر ، وتجد مواد تتصل بسلوك الإنسان في الحياة وكيف تجري علاقته بصاحبه ورفيقه في ذلك المجتمع البدوي القديم ، وما ندعوه بالقيم الإيجابية في الحياة نعرف منها الشيء الكثير في هذه النصوص القديمة . وإذا كنا نلمح شيئاً من فكرة القضاء والقدر في الشعر القديم ندرك أن المجتمع العربي القديم مجتمع كان له من أسباب الحياة المنظمة القائمة على الفكر قدر كبير . وليس غريباً أن نسمع قائلهم يصف الشعر القديم في أنه «ديوان العرب» .
ولو أنك أردت أن توازن بين هذا الفكر القديم الذي تفصح عنه النصوص الجاهلية ، وبين ما تكشف عنه النقوش في بلاد اليمن ، والنقوش الثمودية واللحيانية والقتبانية وغيرها ، لأدركت أن بينهما فجوات واسعة فاصلة بين عهدين وحضارتين ولغتين ، ولا سبيل إلى ملء هذه الفجوات إلا بما ستسفر عنه كشوف جديدة . ومن أجل ذلك كان على حق اللغوي القديم في قوله :

ما لغة حِمير بلغتنا ، ولا لسانها بلساننا .

ولقد عنيت العربية بتناسب الأصوات كما عنيت بتناسب الكلم ، ومن أجل ذلك قالوا في فصاحة الكلمة أن يتم فيها حُسن اتفاق في الأصوات ، وقد فسروا هذا بأن تكون أصواتها متباعدة المخارج ، فإذا جاءت متقاربة حكموا بعدم فصاحتها . والذي أراه أنهم وضعوا شيئاً لعله من صنيعهم ليثبتوا هذه المقولة ، فقد زعموا أن أعرابياً قال : تركت ناقتي ترعى «الهُعْخُع» ، وهو يريد «العُشب» فمجيء الهاء والعين والخاء والعين في كلمة واحدة على هذا النحو من الترتيب أفقدها الفصاحة . وعندي أن ذلك قد اختُرع من أجل غرض تعليمي .
وزعموا أن أعرابياً جاء إلى الخليل بن أحمد فأنشدَه :

ترافَعَ العزُّ بنا فارفَنْعَعا

فاستهجن الخليل ذلك منه ، فقا له الأعرابيّ : أقيس على قول العجاج :

تقاعَسَ العزّ بنا فاقعَنْسَسَا

أقول : إن «ارفنعَعَ» من الكلم الذي حَمَل الضيم عليه تقارب المخرج بل تماثله في مجيء العين يتلوه العين في الكلمة نفسها .
وفي صيغة الخبر ما يُشمُّ منه أثر الوضع انتصاراً لمذهب «القياس» ذلك أن أبا علي الفارسي من أشدّ القائلين بالقياس قد قال : ما قيس من كلام العرب فهو من كلام العرب .
وبعد ، فهذه جملة فوائد دفعتني إلى استذكارها في هذا الموجز قراءة في «الكتاب» الذي أشرت إليه في بداية هذه الدراسة .

الهوامش

(١) إضافة إلى هذا العرض الموجز بدا لي أن أعرض لشيء من الأصوات مما ينصرف إليه النظر في «الرسم» وعلاقته بالصوت .

(٢) إني لأميل إلى عدم استعمال الجيم العربية للإعراب عن لفظ «الأجارتيية» (كذا) على نحو ما يستعمل المصريون .

(٣) لقد استعمل المؤلف «الصوائت» وهو يقابل به «الصوامت» . ولست أرى ضرورة لاستعمال مصطلح «الحروف» فإنه من غير شك مضلّل .

(٤) أفاد المؤلف في «حاشيته» أن فرنكل (S. Frankel) لم يذكر الكلمة «بِرْنَساء» في كتابه «في الدخيل الآرامي في العربية» أقول : لقد ذكر الجواليقي هذه المادة في «المعرَّب» .